من بيدر المواعظ

أبوذا بحتةاهاال

الجزء الأول

من بيدر المواعظ

لقداسة مار إغناطيوس زكا الأول عيواص
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق
الرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم أجمع

منشورات دير مار يعقوب البرادعي
للراهبات السريانيات الأرثوذكسيات
العطشانة ـ لبنان

١٩٩٧/٨/١٥

/١٥٠٠/ نسخة

الطبعة الأولى

تمهيد

بعد حمد اللّه تعالى أقول:

شاء الرب يسوع فاختارني أنا الضعيف الضئيل، ودعاني لخدمته، فلبيت الدعوة، وأرسلني منذ شرخ شبابي لأعطي عبيده الطعام في حينه (مت ٢٤: ٤٥)، وأبسط أمامهم مائدة الكلمة الحية، وأرويهم من ماء الحياة. ومن جملة المسؤوليات الروحية التي وضعها الرب على عاتقي أن أعظ المؤمنين به. ففي عام ١٩٥٤ وهي السنة الأخيرة من مرحلة دراستي في مدرسة مار أفرام الإكليريكية في مدينة الموصل بالعراق مسقط رأسي، ابتدأت أعظ في كنيسة العذراء الداخلية التي كانت تدعى كنيسة (الطاهرة) أو كنيسة (القلعة) إحدى كنائسنا الخمس في مدينة الموصل يومئذ، وهي كنيسة آبائي التي كان بينها وبين دارنا قاب قوسين أو أدنى في محلة (حوش الخان) وقد نلتُ سر العماد المقدس فيها، وخدمت مذابحها المقدسة في صباي كشماس صغير، وقد ابتدأت فيها خدمة الوعظ بإيعاز من أستاذي الجليل مطرانها المثلث الرحمة الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام الخطيب المصقع والواعظ المفوّه. وقد اشتهر شعبنا السرياني الموصلي بإيمانه وتقواه وشغفه بسماع المواعظ. وإنني لمدين لهذا الشعب المبارك بتشجيعه إياي على الوعظ وبذلك نمت موهبة الوعظ فيَّ في سنٍ مبكرة، وابتدأت أعير اهتماماً كبيراً بتهيئة مواعظي احتراماً للسامعين، وتقديراً لهم، وسعياً للوصول بهم إلى الهدف الأسمى الذي نتوخاه من رسالة الوعظ وهو خلاص النفوس، وقد تعودت على الصلاة إلى اللّه ليعضدني تعالى ويُمدني بقوة منه وحكمة، ولينير روحه القدوس ذهني لأبذل قصارى جهدي بدراسة موضوع الموعظة جيداً، وأقوم بتقسيمه إلى أجزاء وأختار الآيات المناسبة من الأسفار المقدسة، أستشهد بها لدعم الحقائق الإيمانية والعقائد السمحة، وأستعين بتعاليم آبائي السريان الميامين وشروحهم

النفيسة للكتاب المقدس. ويشغل موضوع العظة ذهني بل يحيا معي فترة كافية من الزمن وتسرع نبضات قلبي عندما أكون على أهبة إلقاء العظة على ظهر قلبي. ولغتي في الوعظ سهلة سلسة وأتوخى دائماً البساطة والوضوح، وأتجنب التعقيد والألفاظ الغريبة غير المتداولة وغير المستساغة، محاولاً توصيل الحقائق الإيمانية والمبادئ الروحية إلى أذهان السامعين بسهولة قدر الإمكان.

وقد تعودت أن أسأل اللّه تعالى بصلاة حارة كي يضع في قلبي وعلى لساني الكلمات المناسبة المؤثرة في النفوس لتدخل هذه الكلمات الروحية إلى القلوب فتتطهر وتتوب إليه تعالى، وبذلك أكون قد بلغت الغاية المنشودة من الوعظ، ألا وهي خلاص النفوس. وفي هذا المضمار أسعى لخلاص نفسي أولاً لئلا ينطبق عليَّ القول: «أعلّم الناس ولا أتعلّم وأعظ ولا أتعظ» فكنت ولا أزال أعظ نفسي قبل أن أعظ الناس، وأطلب إلى الرب أن يملأ قلبي محبة للّه وللقريب وإيماناً به تعالى وثقة بالرب يسوع الذي وعد سائر خدامه الأمناء بأن يرسل إليهم روحه القدوس ليذكرهم بتعاليمه ويصون أفكارهم وألسنتهم من الخطل والزلل، فكنت أطلب إليه أن ينعم عليَّ بإصلاح نفسي قبل أن أسعى إلى إصلاح نفوس السامعين.

وبما أن أسلوبي في الوعظ هو غالباً عدم كتابة نص الموعظة بكامله مسبقاً، والاكتفاء بكتابة عناوين أقسامها الرئيسة، لذلك فقد فقدتُ أغلبَ عظاتي في عهد رهبنتي ومطرنتي، ولم يبق منها سوى ما سجله بعض الهواة لأنفسهم، وبخاصة مواعظ الجمعة العظيمة وبعض الأعياد الكبيرة. أما بعد أن تبوأتُ الكرسي البطريركي الأنطاكي بالنعمة لا بالاستحقاق عام ١٩٨٠ فقد كان بعض أبنائي الروحيين، يسجلون مواعظي على أشرطة تسجيل (كاسيتات) في المناسبات ثم يفرغونها على الورق وهكذا نشرت قسماً منها على صفحات المجلة البطريركية الغراء وبخاصة تلك التي كانت تذاع عبر إذاعة دمشق، كما نشرتُ بعضها في كتاب بجزئين طبع الجزء

الأول منهما عام ١٩٨٤ والجزء الثاني عام ١٩٨٨ تحت عنوان (حصاد المواعظ).

وبعدما أسستُ عام ١٩٩٠ رهبانية العذارى باسم (راهبات مار يعقوب البرادعي) اهتمت بناتي الروحيات الراهبات الفاضلات بإشراف رئيستهن الأم حنينة هابيل بتسجيل أهم مواعظي على أشرطة تسجيل (كاسيتات) أثناء إلقائي إياها على ظهر قلب، وتفريغها على الورق، فتجمع لديّ عدد وافر من العظات والخطب التي ألقيتها في عدة مناسبات رأيتُ أن أنشر نخبة منها باسم **(من بيدر المواعظ)** في سلسلة أنوي إصدارها تباعاً، ويتضمن الجزء الأول منها وهو الذي بين يديك أيها القارئ الكريم مقدمة لاهوتية ضافية بموضوع الأعياد المسيحية ومواعظ مختارة لمناسبات الأعياد المارانية (السيدية) أي أعياد الرب الكبيرة، ولبعض هذه الأعياد أكثر من موعظة، خاصة لعيدي الميلاد والقيامة، وسيتبع هذا الجزء إن شاء اللّه أجزاء أخرى متتالية تتضمن مواعظ الأعياد المارانية (السيدية) الصغيرة، وأعياد السيدة العذراء مريم، والشهداء والقديسين، وآحاد الصوم الكبير وشتى المناسبات الروحية على مدار السنة الطقسية السريانية وكلها معدّة وجاهزة وتنتظر دورها في الطبع وذلك لفائدة الإكليروس السرياني وخدام مراكز التربية الدينية والشعب المؤمن. نسأل اللّه تعالى أن تؤول هذه المواعظ إلى خلاص النفوس وأن تكون سبب بركة للقارئ الكريم آمين.

دمشق في ١٩٩٧/٨/١٥ **المؤلف**

المقدمة

بحث في الأعياد

العيد في المفهوم المسيحي هو فرصة روحية، ووقت تعيّن الكنيسة المقدسة موعده ومناسبته، وتفرض على المؤمنين إحياءه والاحتفال به بعدم مزاولة الأعمال الدنيوية العادية، والانصراف إلى الصلاة، وإقامة الشعائر الدينية إكراماً للّه تعالى، وتذكاراً لمنحه الإلهية التي سكبها على المؤمنين، والتأمل بالمناسبة التي خُصّص يوم العيد لأجلها.

وقد أخذت الكنيسة المسيحية سنّة الاحتفال بالأعياد من الكنيسة الموسوية، حيث ذكرت أسفار العهد القديم، أن اللّه نفسه قد فرض على شعب موسى أعياداً ليهيئ لذلك الشعب أوقاتاً يرتاح بها من أعماله العادية، ويتفرّغ خلالها للأمور الروحية، ويتأمل بأعماله تعالى ونعمه الغزيرة وعجائبه الباهرة، في سبيل خلاص ذلك الشعب (خر ١٢: ٢٤) وليذكر في أجياله اللاحقة مراحم اللّه وإحساناته على الأجيال السابقة وعنايته بهم (خر ١٢: ٢) وبذلك يُواصل الصالحون من البشر حفظ شريعة اللّه (خر ١٣: ٨ ـ ١٦) ولا ينسون فرائضه إذ يذكرون رعايته الدائمة للبشر ومحبته ويتّخذونه مثالاً لهم بالمحبة، ويعبّرون عن مشاعر الود الصافي بعضهم لبعض بمساعدة الفقير واليتيم والمحتاج.

فالأعياد إذن وضع إلهي، وترتيب سماوي، فرضها اللّه على بني اسرائيل، وأمر بحفظها والاحتفال بها، وحذّر من إهمالها،

كما أنه تعالى عاقب من لم يراعِ حرمتها (عدد ١٥: ٢٣و٢٦). فقد جاء في سفر اللاويين ما يأتي: «وكلّم الرب موسى قائلاً، كلّم بني اسرائيل وقل لهم مواسم الرب التي فيها تنادون محافل مقدسة هذه هي مواسمي، ستة أيام يُعملُ عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة محفل مقدس، عملاً ما لا تعملوا، إنه سبت للرب في جميع مساكنكم»(لا ٢٣: ١ ـ ٣) وقد خصّص اللّه تعالى هذه الأعياد له بقوله: «هذه مواسمي وأعيادي» (لا ٢٣: ١ ، ٣٧) وقال تعالى عن أحد هذه الأعياد ما ينطبق على سائر الأعياد بقوله: «وكل نفس تعمل عملاً ما ففي هذا اليوم عينه أبيد تلك النفس من شعبها»(لا ٢٣: ٣٠).

وأول أعياد العهد القديم هو العيد الأسبوعي **السبت** الذي ذكر في سفر التكوين أن اللّه استراح فيه وباركه (تك ٢: ٣) وجاء في سفر الخروج أن اللّه أمر شعب موسى بحفظه (خر ٢٠: ٨).

وثاني هذه الأعياد هو عيد الفصح، الذي هو أكبر الأعياد وأهمها عند اليهود (خر ١٢: ٤٢ ولا ٢٣: ٤) فيه يذكرون إخراج الرب آباءهم من أرض مصر فيحفظونه سنوياً ليلاً، وهذه الليلة ذكرت في سفر التثنية (١٦: ١) حيث قيل: «احفظ شهر أبيب (نيسان) واعمل فصحاً للرب إلهك لأنه في شهر أبيب أخرجك الرب إلهك من مصر ليلاً» فهذا العيد يُعدّ تذكيراً لهم بمراحم اللّه عليهم وتخليصه إياهم من العبودية وكذلك تخليص أبكارهم من الموت لعبور الملاك المهلك عن بيوتهم الملطّخة بدم خروف الفصح، وضربه كل أبكار المصريين (خر ١٢: ١) وكان خروف الفصح هذا رمزاً لحمل اللّه الرافع خطايا العالم، المسيح يسوع المذبوح لأجلنا ولأجل خلاصنا على حد تعبير الرسول بولس القائل: «لأن فصحنا أيضاً المسيح، قد ذُبح لأجلنا»(١كو ٥: ٧).

وثالث هذه الأعياد هو عيد الأسابيع أو عيد الحصاد (خر ٣٤: ٢٢ ولا ٢٣: ١٥ وتث ١٦: ٦ وحز ٢٣: ١٦) ويسمى أيضاً يوم الباكورة (عد ٢٨: ٢٦) وعيد الخمسين (أع ٢: ١) ويقع عند نهاية حصاد القمح، وكان مناسبة لتقديم الشكر للّه على الحصاد الذي تُقدّم باكورته للّه تعالى ويقع هذا العيد في اليوم الخمسين من عيد الفصح، وهو رمز إلى عيد العنصرة المسيحي الذي حلّ فيه الروح القدس على تلاميذ الرب، وعلى أثر خطاب مار بطرس، آمن بالرب ثلاثة آلاف نفس كانوا باكورة المؤمنين يوم ميلاد الكنيسة.

ورابع هذه الأعياد هو عيد المظال ويسمى أيضاً عيد الجمع لوقوعه في نهاية موسم الحصاد، وعند اجتناء الأثمار في آخر السنة (عدد ١٩: ١٢ وخر ٢٣: ١٦) وهو أحد أعياد اليهود الكبرى (لا ٢٣: ٢٤ـ٤٣) ويذكرهم بارتحال آبائهم في البرية وسكناهم في المظال، وفيه يخرج الشعب من أماكن سكناهم ليقيموا في مظال مصنوعة من أغصان الشجر ومنصوبة على أسطح الدور، وفي الدار الخارجية للهيكل وفي الأزقة وعلى الجبال المجاورة لأورشليم. وهذا العيد هو سبعة أيام للرب، وفي اليوم الثامن منها اعتكاف وراحة وعبادة في محفل مقدس عظيم (لا ٢٣: ٣٩ و ١٩: ٣٧).

وخامس هذه الأعياد هو عيد تذكار هتاف البوق (لا ٢٣: ٢٤).

وسادس هذه الأعياد هو عيد الكفارة (عد ١٩) وهو من أعيادهم المهمة أيضا نهى اللّه فيه الشعب عن كل عمل وأمر بإذلال النفس قائلا: «أما العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة محفلاً مقدّسا يكون لكم تذللون نفوسكم وتقرّبون وقودا

للرب، عملاً ما لا تعملون في هذا اليوم عينه لأنه يوم كفارة للتكفير عنكم أمام الرب إلهكم (لا ٢٣: ٢٤ ـ ٢٩) وفيه كان الحبر الأعظم يدخل إلى قدس الأقداس ويكفّر عن خطاياه وخطايا الشعب كافة.

وسابع هذه الأعياد هو عيد رأس الشهر (عدد ٢٨: ١١).

وثامن هذه الأعياد هو عيد الفوريم: الذي وضع تذكاراً لنجاة الشعب اليهودي من دسيسة هامان بواسطة مردخاي واستير (اس ٩: ٢٠ ـ ٣٢) ودعي بالفوريم لأن هامان سحب (فوراً) أي قرعة ليناسب يوما لإجراء مقصده الرديء (اس ٣: ٧).

وتاسع هذه الأعياد هو عيد التجديد، وقد وضع هذا العيد تذكارا لتطهير الهيكل وبناء المذبح وطرد الأعداء على يد يهوذا المكابي (١مك ٤: ٥٢ ـ ٥٩) وكان ذلك سنة ١٦٤ ق.م وقد ذكر هذا العيد مرة واحدة في الإنجيل المقدس (يو ١٠: ٢٢).

هذه أهم الأعياد التي فرضت من الله على اليهود بترتيب طقوسها وكيفية ممارستها، ذكرناها ههنا لنثبت أن الأعياد وضعها اللّه قديماً ، وأنه تعالى قد أمر بحفظها بقوله لشعب النظام القديم: «فتحفظون كل فرائضي وكل أحكامي وتعملونها. أنا الرب»(لا ١٩: ٣٧). وحذّر الرب الشعب من إهمالها، وهدّد بالعقاب الصارم لكل من لا يصون حرمتها بقوله: «وكل نفس تعمل عملاً ما في هذا اليوم عينه أبيد تلك النفس من شعبها» (لا ٢٣: ٣٠) وقد حفظ شعب النظام القديم هذه الأعياد حتى ظهور الرب يسوع وهو نفسه أظهر قبوله لها بحضوره بعضها، وبممارسته الفروض التي كانت تقام فيها (مت ٢٦: ١٧ ومر ١٤: ١٣ ولو ٢: ٤١ ويو ٢: ١٣).

فالرب مثلاً قد كمّل عيد الفصح مع تلاميذه بموجب السنّة الموسوية (مت ٢٦: ١٩). وقد حضر في الهيكل في عيد التجديد (يو ١٠: ٢٢) وحضر في عيد المظال (يو ٧: ٣٧و٣٨) ولم تفرض أعياد اليهود هذه على المسيحيين، ولذلك ساغ للرسول بولس أن يقول لهم: «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة» (كو ٢: ١٦) وقد تمت بذلك نبوة النبي هوشع عن الأمة اليهودية على لسان الرب القائل: «وأبطل كل أفراحها وأعيادها ورؤوس شهورها وسبوتها وجميع مواسمها»(هو ٢: ١١).

وبعد صعود الرب إلى السماء ابتدأ الرسل الأطهار يعيِّدون أعياد التدابير الإلهية من تجسد الفادي وفدائه البشرية. وأهم هذه الأعياد وأولها هو عيد قيامة الرب يسوع من بين الأموات في فجر الأحد والرسول بولس يقول بهذا الصدد: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا إذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق» (١كو ٥: ٧و٨). ولما كان الرسول بولس في أفسس أسرع إلى أورشليم ليحتفل بعيد العنصرة بقوله: «ينبغي على كل حال أن أعمل العيد القادم في أورشليم»(أع ١٨: ٢١) وكذلك لما كان في آسيا وعد مؤمني كورنثوس بالذهاب إليهم بعد أن يعيّد عيد العنصرة (١كو ١٦: ٨) فمن هذا يستدل على أن الأعياد مأمور بها في العهد الجديد، ومصرّح بممارستها وأن الاحتفال بها كان في أوقات معيّنة. ومما هو جدير بالملاحظة أن جميع الكنائس الرسولية في العالم تعتقد بالأعياد وتحتفل بها، وإذا كان الرب يسوع قد مارس بنفسه إبان تجسّده أعياد العهد القديم، أفلا يجب علينا من باب أولى أن نحافظ كل المحافظة على أعياد العهد الجديد التي هي أتمّ وأفضل حتى لا ننسى محبة اللّه لنا وإحسانه

إلينا لأن الأعياد تذكّرنا بمِنَحِ ملأت الأرض، وبركات من رحمة اللّه المتجسّدة في شخص الفادي العجيب، وتقدم للمؤمنين جيلاً بعد جيل دروساً بكيفية مؤثرة تضرم في قلوبهم نار الغيرة الدينية وتبثّ فيهم روح التقوى والتعبّد لله.

وقد شهد موسهيم المؤرخ البروتستانتي بأن الأعياد كانت وما تزال تمارس في الكنيسة منذ العصر الرسولي بقوله: «إن مسيحيي القرن الأول اجتمعوا للعبادة في اليوم الأول من الأسبوع، اليوم الذي استرجع فيه المسيح حياته ويظهر على أنهم كانوا يحفظون يوماً دينياً آخر لتذكار حلول الروح القدس على الرسل»(وجه ٤٢).

وقد زادت حقيقة تمسك الرسل بالأعياد وضوحاً في أوامر الرسل وقوانينهم، وإن جميع المسيحيين يحتفلون بالأعياد منذ فجر المسيحية وإن اختلافهم في تعيين موعد يوم عيد الفصح الذي توصّلوا إلى حل له في مجمع نيقية عام ٣٢٥ خير برهان على تمسّكهم بالأعياد منذ بدء المسيحية.

يـــوم الأحـــــد

فرضت الكنيسة المقدّسة منذ فجر وجودها يوم الأحد كيوم للرب، لأنه ذكرى قيامة الرب يسوع من بين الأموات. وحرّمت فيه الأشغال، وأمرت أن يكرّسه المؤمنون للتأمل بوصايا الرب، وتعاليمه، وعجائبه، وسائر أحداث سيرته في الجسد. وفي كل يوم أحدٍ تحتفل كنيستنا المقدسة في طقوسها الكنسية بقيامة الرب.

وعبر الدهور أضافت الكنيسة المقدّسة إلى يوم الرب، الاحتفال بأعياد مارانية أي سيدية، وهي أعياد الرب أيضاً من ذلك عيدا الميلاد والعماد اللذان كانت الكنيسة تحتفل بهما في يوم واحد، هو السادس من كانون الثاني وفي الربع الأخير من المائة الرابعة اتفق آباء الكنيسة على الاحتفال بعيد الميلاد في الخامس والعشرين من شهر كانون الأول وخصّصوا اليوم السادس من كانون الثاني للاحتفال بعيد العماد (الغطاس) على ما ذكر القديس سويريوس موسى ابن كيفا مطران بيت كيونا وبارمان في خطبته في عيد الميلاد. وعيد ختانة الرب، وعيد صعود الرب إلى السماء. وبهذا الصدد يكتب العلاّمة مار غريغوريوس ابن العبري (١٢٨٦+) في كتابه الهدايات الذي يحتوي على قوانين الكنيسة ما ترجمته: «لا يحلّ للمؤمنين البيع والشراء في يوم الأحد المقدس، والأعياد المارانية (السيدية)» ويقول أيضاً «لا يجوز لأحدٍ أن يؤوي إلى بيته غريباً لا يحترم يوم الأحد والأعياد[1]» ونص القانون الثالث والعشرون من القوانين الكنسية للقديس مار يعقوب الرهاوي (٧٠٨+) ما يأتي: «لا يحلّ للمؤمنين أن يبيعوا ويشتروا شيئاً في

(١) - كتاب الهدايات بالسريانية لابن العبري، باب ٥ ف ٣، طبعة بيجان العازاري سنة ١٨٩٨ ص ٦٠ (ܠܐ ܫܠܝܛ ܠܡܗܝܡܢܐ ܙܒܢܐ ܘܙܒܢܐ ܒܚܕ ܒܫܒܐ ܩܕܝܫܐ ܘܒܥܐܕܐ ܡܪܢܝܐ).

يوم الأحد المقدس وفي الأعياد السيدية، ولا يجوز أن يسافر أحد في طريق إلاّ إذا كان في مكان خال أو في صحبة كثيرين أو في أعمال ضرورية أو بغصب الحكام أو لعوارض أخرى اضطرارية[2]».

وفي عصور لاحقة وُضِعت تذكارات القدّيسين لغايات حميدة ونافعة. والكنيسة في كتب طقوسها، تميّز بين الأعياد المارانية السيدية فتسمّي الأولى ܥܐܕ̈ܐ أعياداً، وتفرض على المؤمنين البطالة فيها، وتكرّسها للعبادة وعمل الخير. أمّا تذكارات السيدة العذراء، والشهداء، والقدّيسين التي تسمّيها الكنيسة ܕܘܟܪ̈ܢܐ أي التذكارات، لم تفرض فيها الانقطاع عن العمل سابقاً. ولكن هذه التذكارات تأخذ أهمية كبرى في الكنائس المحلية التي شيّدت على اسم صاحب الذكرى. وفرضت في بعضها البطالة مع مرور الزمن.

يوم السبت خاص بالشعب اليهودي:

كان اليهود وحدهم دون سائر الأمم مكلّفين بحفظ يوم السبت، وحفظ المواسم والأعياد اليهودية، وسائر فرائض الكهنوت الموسوي وأحكامه، ووصفت هذه الفرائض بأنها أبدية كقول الكتاب لليهود: «فريضة دهرية في أجيالكم» (لا ١٧: ٣ولا ٦: ١٨و٢٠ولا ٧: ٣٤و ١٦: ٢٩و٣٤وعد ٢٥: ١٠ و١٨: ٢٣) والمفهوم بالفريضة الدهرية الأبدية هو أن هذه الفريضة تدوم بديمومة الشريعة التي فرضت ضمنها. وقد فرض اللّه على شعب موسى: ١ـ تقديس أيام معيّنة أي السبت، والأعياد، والهلال. ٢ـ الذبائح. ٣ـ شريعة الحلال والحرام في أكل اللحوم. ٤ـ الختان.

---

(٢) ـ المصدر ذاته ص ٦٠و٦١.

أما السبت فقد فرضه اللّه على شعب موسى يلتزمون بحفظه كيوم عطلة، وذكر كفريضة لأول مرة في حادثة إعطاء اللّه لهم المنَّ في البرية حيث كلّم اللّه موسى قائلا: «ها أنا أمطر لكم خبزاً من السماء... ويكون في اليوم السادس يهيئون ما يجيئون به فيكون ضعف ما يلتقطونه يوما فيوما... ثم كان في اليوم السادس أنهم التقطوا خبزا مضاعفا... فقال موسى هذا ما قاله الرب: وغدا عطلة سبت مقدّس للرب... ستة أيام تلتقطونه وأما اليوم السابع ففيه سبت لا يوجد فيه، انظروا ان الرب أعطاكم السبت... فاستراح الشعب في اليوم»(خر ١٦: ٤ ـ ٨ و ٢٢: ٣٠).

وضمن الوصايا العشر التي أعطاها اللّه لشعب موسى قال له: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي... اذكر يوم السبت لتقدّسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك...» (خر ٢٠: ١ ـ ٣ و٨: ١٠). وقال موسى لشعبه: «الرب إلهنا قطع معنا عهداً في حوريب... نحن الذين هنا اليوم جميعنا أحياء فقال: أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية... احفظ يوم السبت لتقدّسه، كما أوصاك الرب إلهك. ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك، وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك، لا تعمل فيه عملا ما... واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت» (تث ٥: ٢و٦و١٢ ـ ١٥).

من هذه الآيات المقدّسة وغيرها، نعلم أن اليهود وحدهم كلّفوا بحفظ يوم السبت اليهودي، تذكيرا لهم بمراحم اللّه عليهم،

وتخليصه إياهم من العبودية، فأراد اللّه أن يجعل هذا الخلاص ذكرا في أجيالهم، ليذكروا دائماً نعمته العظمى عليهم، ويجعله عهداً أبدياً بينه وبينهم، طالما بقي ناموس موسى وكهنوته الطقسي بتسلسله الشرعي، وطالما بقيت ذبائح هذا الناموس سارية المفعول، وطالما بقيت جداول أنساب ذلك الشعب محفوظة سليمة وصحيحة، وقد تبلبلت تلك الجداول وفقدت، وضاعت الأنساب بعد مجيء السيد المسيح، إذ كانت قد وجدت لتكون شاهدة على حقيقة مجيء المسيح، فشهدت بأن يسوع الناصري هو المسيح المنتظر، وأنّه من نسل داود، وفيه تمّت النبوات، وقد ذكر الإنجيل المقدس نسبه في الجسد. وبعد خراب أورشليم على يد طيطس عام ٧٠م تبلبلت الأنساب وفقدت جداولها، وزالت الذبائح ومعها زال الكهنوت الموسوي أيضاً، وانتهت الفروض الموسوية، فانتهى معها العهد الأبدي.

ومن دراسة حالة اليهود في عهد السيد المسيح، نعلم أنهم في أجيالهم كلّها أخطأوا في كيفية حفظ يوم السبت، ونسوا الغاية من فرضه، فالله يريدنا أن نخصّص سبعَ وقتنا للاستراحة، لأن جسد الإنسان يحتاج إلى راحة، لذلك خصّص اللّه للإنسان يوماً في الأسبوع يرتاح فيه وهو سُبعُ وقته، كما خصّص اللّه للإنسان الليل لراحة جسده من أتعاب النهار. ويريدنا الرب خلال راحتنا الجسدية الأسبوعية أن نعبده تعالى بالروح والحق، ونمجّده ونشكره على أنعامه الكثيرة علينا.

وقد حفظ الرب يسوع (يوم السبت) إذ جاء ليكمّل الناموس لا لينقضه(مت ٥: ١٧) ولكنه علّمنا كيف يجب أن نحفظ يوم الراحة بقوله: «إن السبت جُعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت»(مر ٢: ٢٧).

لذلك جاز لنا أن نعمل في يوم الراحة أعمال الرحمة، فقد أبرأ الرب يسوع في يوم السبت إنسانا كانت يده يابسة (مت ١٢: ١٠) وشفى المرأة المنحنية (لو ١٣: ١٠ ـ ١٤) وفتح عيني الأعمى (يو ١٩: ١ ـ ٧) وشفى المستسقى (لو ١٤: ٢) وفي يوم السبت قطف تلاميذه السنابل وأكلوا (مت ١٢: ١) وهذا ما كان يناقض تعاليم آبائهم وقوانين الفريسيين، فأراد اليهود قتل السيد المسيح لأنه نقض السبت (يو ٥: ١٦) حسب ظنهم.

وكان السبت لدى اليهود فريضة طقسية أكثر منه وصية أدبية. فأُلغي كيوم راحة بإلغاء الناموس الطقسي لديهم.

وألغى المسيحيون يوم السبت وسائر الأعياد اليهودية ونتيجة لذلك يوصي الرسول بولس أهل كولسي بقوله: «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة»(كو ٢: ١٦ ـ ١٧). فالرسول بولس يعلن هنا حقيقية بطلان الفروض الناموسية الموسوية في المسيحية.

يوم الأحد هو يوم الرب:

واتّخذت الكنيسة منذ العصر الرسولي اليوم الأول من الأسبوع أي «يوم الأحد» يوماً مقدّساً ودعته يوم الرب، وأعلنته يوم راحة للإنسان، وكرّسته لعبادة اللّه وتمجيده وعمل الخير فيه. ذلك أن الرب يسوع قام فيه من بين الأموات (مت ٢٨: ١) وظهر لتلاميذه الأبرار في اليوم ذاته ست مرات محققاً لهم قيامته (يو ٢٠: ١٩ ـ ٢٦) ولم يكن عبثاً تكرار ظهوراته لهم أيضاً وهم مجتمعون في العلّية في يوم الأحد الذي تلا أحد القيامة، كما كان قد دخل أورشليم يوم الشعانين يوم الأحد، وحلّ الروح القدس على التلاميذ وملأهم قوة وحكمة يوم الأحد، وآمن بالمسيح في ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس دفعة واحدة (أع ٢: ٤١)

وإذا صحّ التقليد القائل أن السيد المسيح قد ولد يوم الأحد يكون قد اختتن يوم الأحد، كما أنه اعتمد يوم الأحد. وهكذا اتفق التلاميذ على حفظ يوم الأحد وتعيينه للعبادة منذ قيامة الرب يسوع من بين الأموات في هذا اليوم المبارك (يو ٢٠: ١٩ـ٢٦) وبهذا الصدد قال أحد آباء الكنيسة بالسريانية قولاً دخل الطقس الكنسي ويرتل بعد ظهر كل يوم أحد وهو: ܪܒ ܗܘ ܚܕܒܫܒܐ ܘܛܘܒܘܗܝ ܠܡܢ ܕܢܛܪ ܠܗ ܒܗܝܡܢܘܬܐ: ܕܒܗ ܩܡ ܡܪܢ ܡܢ ܩܒܪܐ ܘܐܘܕܝܘ ܥܡܡܐ ܒܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܩܘܕܫܐ ܗ ܚܕ ܐܠܗܐ ܀

وترجمته: عظيم هو يوم الأحد، فطوبى لمَن يحفظه بإيمان، فإن فيه قام الرب من القبر وآمنت الشعوب بالآب والابن والروح القدس هللويا الإله الواحد.

ودعي يوم الأحد يوم الرب، وجاء ذلك أولاً في سفر الرؤيا بالنص اليوناني حيث قال يوحنا «كنت في الروح في يوم الرب»(رؤ ١: ١٠) وبما أن مفهوم المسيحية منذ بدئها بأن يوم الرب هو يوم الأحد لذلك فالترجمات اللاتينية والسريانية والقبطية ترجمت عبارة (يوم الرب) بـ «يوم الأحد».

وكان الرسل الأطهار وسائر تلاميذ الرب الأبرار يجتمعون في هذا اليوم لكسر الخبز والاشتراك في الأسرار المقدسة، وسماع كلام اللّه والوعظ.والإرشاد (أع ٢٠: ٧). ولذلك أمر الرسول بولس المؤمنين أن يجتمعوا في هذا اليوم المبارك، ويجمعوا الصدقات لسد احتياجات الإخوة القديسين قائلاً: «في كل أول أسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازناً ما تيسّر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذٍ»(اكو ١٦: ٢) «إذاً يحلّ فعل الخير في يوم الراحة» (مت ١٢: ١٢). ولذلك يكون تقديس يوم الأحد: أولاً ـ بالبطالة أي بالامتناع عن ممارسة كل عمل غير

ضروري، وترك مباشرة الحرف والصنائع والبيع والشراء والنزهات الدنيوية وسائر الأعمال غير الضرورية. ثانيا ـ بحضور القداس الإلهي وسماع كلمة الله، أي بالقيام بأعمال العبادة وممارسة الأعمال التقوية. ثالثا ـ بعمل الخير محبّة بالله والقريب.

وفي كتابات الآباء المسيحيين في القرون الأولى نقرأ في الديداكي أي تعليم الإثني عشر رسولا[٣] وصية ذكرت في الفصل الرابع عشر منه تقول: «أما يوم الأحد فهو يوم الرب، تجتمعون فيه لكسر الخبز والشكر، بعدما تعترفون بخطاياكم، ليكون قربانكم نقيا وليكفّ عن الاجتماع بكم من يخاصم أخاه حتى يصالحه لكي لا تتدنّس تقدمتكم».

وفي طقوس كنيستنا السريانية منذ القرن الرابع خُصّصت فصول من الكتاب المقدس لكل يوم أحد، موزّعة على آحاد السنة، تتلى في بدء الاحتفال بالقدّاس الإلهي. كما نظمت الكنيسة كلندارها على أساس الآحاد، كآحاد قبل الميلاد، وآحاد الصوم الكبير، وآحاد بعد القيامة والخ... وبناءً على ما كانت تمارسه الكنيسة من تقديس يوم الأحد، اصدر الإمبراطور قسطنطين الكبير في ٧ آذار سنة ٣٢١ أمراً بإبطال الأعمال في يوم الأحد حتى تعليم الجنود. كما منع الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير حضور المسارح وملاعب الخيل وكل وسائل الطرب يوم الأحد، وذلك سنة ٤٢٥. إن قرارات الملوك هذه تدل على ما كان للكنيسة من تأثير على المملكة فنفّذت المملكة قرارات

---

(٣) ـ وهو الكتاب الذي كتب باليونانية ولا نعرف بالضبط إلى أي عهد يرجع، والغالب على الظن أن وضعه يعود إلى منتصف القرن الثاني للميلاد، كما يرجح ببعض معلوماته إلى عهد أكثر قدما. وهو يشتمل على إرشادات أخلاقية، وأنظمة كنسية مع بعض صلوات شكر كانت تقال عند ممارسة سرّي العماد والعشاء السري، وما اقتبسناه ههنا من ترجمة عن الأصل اليوناني للقس الدكتور موريس سيد ـ بيروت ١٩٦٨.

الكنيسة، وإن آباء الكنيسة الرسوليين سجّلوا في كتاباتهم إلغاء يوم السبت، واتّخاذ الكنيسة يوم الأحد كيوم الرب، ومن ذلك ما قاله القديس مار إغناطيوس النوراني الشهيد (١٠٧+) في رسالته إلى أهل مغنيزيا: «إن الذين يعيشون تحت نظام الأشياء القديمة، اعتنقوا الرجاء الجديد، فلا يحفظون السبت أبداً، بل يوم الأحد، اليوم الذي فيه طلع نجم حياتنا بفضل الرب وموته، (وقيامته) هذا السرّ الذي ينكره كثيرون وهو ينبوع إيماننا»(٤). وقال يوستينوس الشهيد (١٦٧+) في احتجاجه عن المسيحيين الذي بعث به سنة ١٤٠ إلى الإمبراطور أنطونيوس بيوس أنه «في يوم معين يدعى الأحد، كان من عادة المسيحيين القدماء، سواء كانوا ساكنين في مدن أو قرى، أن يجتمعوا في مكان واحد. وكانت تقرأ بقدر ما يسمح الوقت تقارير الرسل أو كتابات الأنبياء. وبعد أن ينتهي القارئ كان المترئس يقدم خطاباً حاثاً هؤلاء المجتمعين على متابعة الأشياء الحميدة التي قرئت، وكان الجميع إذ ذاك يقفون ويقدّمون صلوات. وبعد نهاية الصلاة كان يُؤتى بخبز وخمر ممزوج بماء، ويوضعان قدام المترئس الذي يقدّم صلوات وشكرانات عند نهايتها يقول الشعب آمين. وكانت تلك العناصر المقدّسة توزّع حينئذ وتُناول إلى كل واحد، وقسم منها كان يرسل إلى الغائبين»(٥).

هكذا أبطل الرسل عطلة يوم السبت واتّخذوا يوم الأحد يوماً مقدساً للرب، وذلك بسلطان إلهي نالوه من الرب، وبترتيب إلهي، وإلهام رباني، وبهذا السلطان أيضاً كانوا قد أقدموا على إلغاء الختان وإحلال المعمودية محله، حتى ساغ للرسول بولس أن يقول: «لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا

(٤) ـ الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للبطريرك أفرام الأول برصوم حمص ١٩٤٠ ص ١٧٣.

(٥) ـ الترجمة العربية لكتاب مقام الصلاة العامة للأنكليكان المطبعة الإنكليزية ـ القدس عام ١٨٩٠.

الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة»(غلا ٥: ٦) مع أن ما قيل عن الختان في العهد القديم، مطابق لما قيل عن السبت إذ قال الله: «ويكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختتن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدي » (تك ١٧: ١٤). أما عن السبت فقيل: «سبوتي تحفظونها لأنها علامة بيني وبينكم في أجيالكم فتحفظون السبت لأنه مقدّس، من دنسه قتلاً يقتل، فيحفظ بنو اسرائيل السبت ليصنعوا السبت في أجيالهم عهداً أبديا»(خر ٣١: ١٤ ـ ١٧). فبالسلطان الرسولي الذي به أبطل الرسل عهد الختان الأبدي، أبطلوا أيضاً عهد السبت الأبدي. (أع ١٥: ١٨).

ولا غرو في ذلك، فليس ثمة ذكر للسبت في موعظة الرب يسوع على الجبل (مت ٥و٦و٧) ولا ذكر للسبت في جواب الرب يسوع للشاب الذي سأله قائلاً ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فعدّد له الوصايا دون أن يذكر له وصية حفظ السبت (مت ١٩: ١٦) مما يدل على عدم ضرورة حفظها لنيل الحياة الأبدية. وفضلاً عن ذلك، فإن قرار المجمع الرسولي الأول الذي عقد في أورشليم عام ٥١م كان خالياً من ذكر السبت (أع ١٥: ١٨).

هكذا أبطلت وصية السبت واتّخذ المؤمنون في المسيح يوم الأحد يوماً للرب مقدسا يحتفلون فيه بذكرى قيامة الرب من بين الأموات.

الأعياد المسيحية الأخرى

إلى جانب وجوب احتفالنا بيوم الرب أي يوم الأحد، نحن ملتزمون بالاحتفال ببقية الأعياد المسيحية التي تقسم من حيث رتبتها وأهميتها إلى:

١ـ أعياد مارانيـة أي سيدية وتدعـى بالسـريانية ܥܐܕܐ ܡܪܢܝܐ وهـي أعيـاد الـرب يسـوع فيهـا نذكـر أعمالـه الخلاصيـة، وفـي ممارستها نتأمل صورة تدابيره الإلهيـة، وكأننـا نرسـمها أمامنـا بصورة ناطقة. مكرّسين يوم العيد لعبادته له المجد ولذلك فهـي أعياد إلزامية تلزم فيها البطالة علـى المؤمنيـن كمـا يجـب فيهـا حضور القداس الإلهي.

٢ـ تذكارات وتسمى بالسريانية ܕܘܟܪܢܐ وهي أعياد وتذكارات السيدة العذراء مريم وبعض الشهداء الأبرار والقديسين، والعديد من هذه التذكارات يعتبر أعياداً فـي الكنـائس المحليـة المشيَّدة على أسمائهم أو في مناطق استشهادهم أو جهادهم الروحي.

وتقسم الأعياد المارانيـة (السيدية) إلى قسمين أ: كبـيرة، ب: صغيرة. فالكبيرة هي من وضع الرسل الأطهار وتلاميذهم الأوليـن[٦] وهي: ١ـ عيد البشارة، ٢ـ عيد ميلاد الـرب يسـوع بالجسد، ٣ـ عيد الغطاس أي عماد الرب يسوع في نهر الأردن على يد عبده يوحنـا، ٤ـ عيـد الشـعانين، ٥ـ عيـد القيامـة، ٦ـ عيـد الصعـود، ٧ـ عيـد العنصرة أي حلول الروح القدس على التلاميـذ. أمـا الأعيـاد المارانيـة (السيدية) الصغيرة فهي: ١ـ عيد ختانة الرب يسوع، ٢ـ عيد تقدمـة الطفل يسوع إلى الهيكل، ٣ـ خميس العهـد وهـو خميس الفصـح، ٤ـ ويضاف إليها أيضاً عيدا الصليب والأحد الجديد، وهـذه الأعيـاد كلهـا إلزامية. وفيما يلي نتكلّم عن كل منها باختصار.

أولاً: الأعياد المارانية (السيدية) الكبيرة وهي سبعة:

١ـ عيد البشارة: وهو ذكرى بشارة الملاك جبرائيل للقديسـة مريـم العـذراء بحبلهـا بمخلـص العــالم الــرب يسـوع المسـيح (لو ١: ٢٦ـ ٣٨). وتُعد هـذه البشـارة أول تدابـير عمـل الفـداء،

---

(٦) ـ إنظر البابين الثامن عشر والحادي والثلاثين من كتاب الدسقولية أي كتاب أعمال الرسل.

ومقدمة عهد الحرية والتخلّص من نير العبودية لإبليس ومن ربقة الخطية والموت الأدبي. وقد تسلّمت الكنيسة الاحتفال بهذا العيد من الرسل أنفسهم واحتفلت به منذ القرن الأول للميلاد.[٧]

ويقع هذا العيد في ٢٥ اذار، وهو من الأعياد الثابت حسابها في التقويم الكنسي، وقد يقع خلال أيام الصوم الأربعيني في وأسبوع الآلام وحتى في جمعة الآلام المحيية العظيمة، فيجب الاحتفال فيه بالقداس الإلهي فيه لأنه أصل الأعياد السيدية وأولها ـ ونحن السريان عادة لا نحتفل بالقداس الإلهي أيام الصيام إلا في يومي السبت والأحد وأربعاء نصف الصوم وارتفاع الصليب وسبت البشارة أي النور. ولكن لأهمية عيد البشارة يجب أن نحتفل بالقداس الإلهي فيه حتى ولو وقع في يوم جمعة الآلام المحيية، ونعيّد للبشارة متناولين الطعام الصيامي، ثم نبدأ بالاحتفال بطقس الصوم أو أسبوع الآلام أو الجمعة العظيمة موشّحين الكنيسة بالسواد علامة الحداد كالمعتاد.

وقد فصّل البشير لوقا حوادث البشارة العظيمة في الاصحاح الأول من الإنجيل المقدس الذي كتبه.

٢ـ عيد الميلاد: وهو ذكرى ولادة الرب يسوع المسيح بالجسد، في مغارة بيت لحم(لو ٢: ١ ـ ١٣).

وقد احتفلت به الكنيسة منذ فجر المسيحية، وأثبت مار سويريوس الكبير (+٥٣٨) قِدمه على ما ذكر ابن كيفا (+٩٠٣) وكانت أكثر كنائس الشرق تحتفل به في السادس من كانون الثاني مع عيد الغطاس وفي القرن الرابع عمّ تعييده في ٢٥ كانون الأول وبقي عيد الغطاس في ٦ كانون الثاني.[٨]

---

(٧) ـ الأعياد السيدية للقمص بطرس جرجس عن كتاب (ريحانة النفوس) للكنيسة الانجيلية صفحة ١٥و٤٠و٤١.

(٨) ـ كتاب الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة للبطريرك افرام الأول برصوم حمص ١٩٤٠ ص ٤٠٦و٥٧٦.

٣ـ عيد الغطاس: (الدنح) وهو ذكرى عماد الرب يسوع على يد عبده يوحنا المعمدان في نهر الاردن. ودعي بالسريانية ܕܢܚܐ - أي عيد الدنح أو الظهور الإلهي، لظهور الثالوث الأقدس الأقانيم الثلاثة الإله الواحد على أثر عماد الرب يسوع (مت ٣: ١٣ ـ ١٧ ومر ١: ٩ ـ ١١ ولو ٣: ٢١ ـ ٢٣).

ويقع هذا العيد في السادس من شهر كانون الثاني وهو قديم العهد.

٤ـ عيد الشعانين: وهو ذكرى دخول السيد المسيح إلى أورشليم راكباً على أتان وجحش ابن أتان (مت ٢١: ١ ـ ١١ ومر ١١: ١ ـ ١١ ولو ١٩: ٢٩ ـ ٤٠ ويو ١٢: ٢٢ ـ ٢٥). ويقع هذا العيد في الأحد السابع من الصوم الكبير وهو الأحد السابق لعيد القيامة المجيد.

٥ـ عيد قيامة الرب يسوع: من بين الأموات (مت ٢٨: ١ ـ ٤ ومر ١٦: ١). ويقع في الأحد الثامن من الصوم الكبير ولأهميته يسبقه أسبوع الآلام والصوم الأربعيني، وقد اختلف المسيحيون منذ فجر النصرانية في تعيين موعده، وعقدت مجامع محلية في أماكن عديدة لبحث هذا الخلاف، منها مجمع في ولاية الرها وفي فلسطين وبلاد البنطس، قررت أن يكون العيد يوم الأحد(٩). وقد وضع مجمع نيقية المسكوني الأول عام (٣٢٥) حداً لهذا النزاع، وقرر أن يُحتفل بعيد القيامة في الأحد الذي يلي السبت لتمام بدر نيسان، ووضع المجمع قاعدة مضمونة لحساب العيد، وأعطي أسقف الاسكندرية الصلاحية ليعلن إلى عامة المسيحيين موعده لكل سنة(١٠) معتمداً في تعيين موعده التقويم اليوليوسي

---

(٩) ـ الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للبطريرك افرام الأول برصوم ـ حمص ١٩٤٠ ص ٢١٩ـ٢٢١.

(١٠) ـ فيه ص ٥٧٥.

الذي كانت الدولة تتبعه منذ فرضه يوليوس قيصر في السنة ٤٦ قبل الميلاد. ولأهمية هذا العيد الدينية، واحتراماً لمقام قيامة الرب يسوع من بين الأموات، كان الملوك الرومان يعفون عن المجرمين فيه[١١].

وقد نشب الخلاف ثانية في صفوف الكنائس المسيحية في تعيين موعد عيد القيامة عندما اعتمد فريق منها الحساب الغريغوري أجراه البابا غريغوريوس الثالث عشر في السنة ١٥٨٢. وما يزال الخلاف قائماً، وأبدى بعض رؤساء الكنائس والمؤسسات الكنسية في أيامنا هذه نية طيبة في محاولة توحيد مواعيد الاحتفال بالأعياد الدينية، فكان مجمعنا الأنطاكي السرياني الأرثوذكسي المقدس المنعقد في حمص غضون شهر تشرين الثاني من عام ١٩٥٤ قد قرر بأكثرية الآراء قبول الحساب الغربي لعيد الميلاد والأعياد التي تتبعه بالتقويم السنوي. واعتبر اليوم الثاني من شهر كانون الأول شرقي، اليوم الخامس عشر منه. وأصدر الخالد الذكر البطريرك افرام الأول برصوم منشوراً في اليوم نفسه لكي تسلك الكنيسة فيما بعد بموجبه في جميع الأعياد، واستثنيت أبرشية القدس وكنيسة مصر، وأما حساب الصوم الكبير وعيد الفصح فهما باقيان على حاليهما. ونشكر اللّه الذي ألهم رؤساء الكنائس في أيامنا هذه فاخذوا يسعون إلى توحيد موعد عيد القيامة أيضاً وبهذا الصدد قرر مجمعنا المقدس المنعقد في دمشق في جلسته العشرين بتاريخ ١٩٨١/١١/١١ ما يأتي: «يرى المجمع أن يبقى موعد الاحتفال بعيد القيامة على وضعه الحاضر، ولا يجد مانعاً من بحث توحيد موعد الاحتفال به مع سائر الكنائس في الشرق

---

(١١) ـ الطرفة النقية للخوري عيسى أسعد حمص ص ١٥٥.

الأوسط على أساس الاحتفال به سنوياً يوم أحد في غضون شهر نيسان الغربي أو يوم أحد في أي موعد يُتّفق عليه مسكونياً»[١٢]

٦ـ **عيد صعود السيد المسيح** إلى السماء وجلوسه عن يمين اللّه الآب (مر ١٦: ١٩و٢٠ ولو ٢٤: ٥٠ـ ٥٣ وأع ١: ٩ ـ ١٢). ويقع بعد أربعين يوماً من عيد القيامة وقبل عشرة أيام من عيد العنصرة. وهذا العيد قديم العهد أيضاً وقد عيّدته أكثر الكنائس قبل القرن الرابع وذكره مار أفرام السرياني (+٣٧٥)[١٣]

عيد العنصرة: هو ذكرى حلول الروح القدس على تلاميذ الرب في العلية بعد صعود الرب يسوع إلى السماء بعشرة أيام وبعد قيامته من الأموات بخمسين يوماً. ولذلك يدعى أيضاً بالفنطيقسطي أي عيد الخمسين (أع ٢: ١ ـ ٤).

ثانياً: الأعياد السيدية الصغيرة. وهي أربعة:

١ـ **عيد الختان:** وهو ذكرى ختان الطفل يسوع (لو ٢: ٢١ ـ ٢٤) بعد ميلاده بثمانية أيام على حسب ناموس موسى، ويقع هذا العيد في الفاتح من شهر كانون الثاني وهو رأس السنة المسيحية الجديدة. وتبدأ السنة المسيحية بعيد الختان وليس بعيد الميلاد، لأن بدء حياة الإنسان في نظام العهد القديم هو يوم ختانه الذي فيه يقطع عهداً مع اللّه أن يكون في عداد المؤمنين به والمتمسكين بوصاياه، أما الأيام التي تقع بين يوم ميلاده ويوم ختانه، فلا تحسب من أيام حياته. فالرب يسوع الذي ولد من امرأة وولد تحت الناموس، أكمل الناموس، وطقسياً بدأت حياته بالجسد في يوم ختانه(غلا ٤: ٤).

---

(١٢) ـ المجلة البطريركية السريانية الأرثوذكسية دمشق عددا نيسان وأيار ١٩٨٩ وعددا كانون الثاني وشباط ١٩٩١ ص٧٨.

١٣) ـ الدرر النفيسة ص ٥٧٦.

٢- **عيد تقدمة الطفل يسوع إلى الهيكل** في المدينة المقدسة، حيث حمله شمعون الشيخ على ذراعيه (لو ٢: ٢٢ـ ٣٢) ويقع في الثاني من شهر شباط، وهو قديم العهد بدأت بتعييده الكنيسة في القدس ثم أخذت عنها ذلك بقية الكنائس المسيحية[١٤].

٣- **خميس الفصح أو خميس العهد**: وهو ذكرى تسليم الرب يسوع سر جسده ودمه الأقدسين إلى تلاميذه ليلة آلامه (مت ٢٦: ٢٦-٢٩ ومر ١٤: ٢٢-٢٥ ولو ٢٢: ١٩ـ ٢٠). ويقع في اليوم الخامس بعد عيد الشعانين.

٤- **عيد التجلي**: وهو ذكرى تجلي الرب يسوع على الجبل أمام ثلاثة من تلاميذه الأطهار هم بطرس ويعقوب ويوحنا، وظهور موسى وإيليا معه (مت ١٨: ١ـ ١٣ ومر ٩: ٢ـ ١٣ ولو ٨: ٢٨-٣٦) ويقع في السادس من شهر آب.

ويضاف إلى الأعياد السيدية الصغيرة الأحد الجديد وهو ذكرى ظهور السيد المسيح لتلاميذه بحضور توما أحد رسله (يو ٢٠: ٢٤-٢٩) ويقع في اليوم الثامن من عيد القيامة. وعيد الصليب الذي يقع في ١٤ أيلول. ولمار يعقوب الرهاوي (٧٠٨+) رسالة في هذا العيد يوضّح فيها أنه يجهل واضع هذا العيد وزمانه وسببه ولم يقف على ذلك في تاريخ أو كتاب. وكل ما يعلم أنه عيد جرت عليه الكنيسة من عهد عهيد بحسب التقليد القديم[١٥] والأغلب أنه نشأ في العقد الرابع من المئة الرابعة في القدس أولاً ثم أخذ يعمّ الكنائس. وقد تجدد ترتيبه في القرن السابع وخصص لتذكار إعادة ذخيرة خشبة الصليب إلى القدس

---

(١٤) - اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة بغداد ١٩٧٦ ص ٣٠١ والحاشية ص ٣٠٢.

(١٥) - اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة بغداد ١٩٧٦ ص ٣٠١ والحاشية ص ٣٠٢.

بعد أن سلبها كسرى ملك الفرس عام ٦٢٥ ومكثت في حوزته مدة أربع عشرة سنة فأعادها هرقل ملك الروم إذ انتصر على ملك الفرس في الحرب.

إن المجمع الأنطاكي السرياني المقدس المنعقد في دير مار متى في الموصل من ١١ ـ ٢٥ تشرين الأول عام ١٩٣٠ قرر «تحويل بعض الأعياد إلى تذكارات بشرط أن تبقى الأعياد السيدية والمكانية كما كانت». كما قرر المجمع المقدس المنعقد في حمص عام ١٩٣٢ وجوب حفظ يوم الرب الذي هو الأحد بكل دقة حسب الأمر الإلهي كذلك الأعياد المارانية (السيدية) الكبيرة والصغيرة.

وفيما عدا الاحتفال بالأعياد السيدية فقد خصصت الكنيسة منذ أواسط القرن الثاني للميلاد أياما للاحتفال بتذكارات السيدة العذراء مريم والشهداء ثم سائر القديسين الذين انهوا حياتهم على الأرض متمسكين بالإيمان، وقدّموا شهادتهم بالمسيح بالأعمال الصالحة وختموها بسفك دمهم الطاهر على مذبح محبة اللّه. فاعتبرتهم الكنيسة قدّيسين انتقلوا إلى كنيسة الأبكار في السماء وتشفّعت بهم. وفي غضون القرن الرابع شرعت تشيّد على أسمائهم الكنائس الفاخرة، وتزيّنها بصورهم على ما أثبت مار غريغريوس النوسي(١٦).

واستندت الكنيسة في عقيدة إكرام العذراء والشهداء وسائر القديسين إلى تعاليم الكتاب المقدس فقد قال الرب يسوع لتلاميذه: «الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني»(لو ١٠: ١٦) وقال أيضاً: «إن كان أحد يخدمني فليتبعني وحيث أكون أنا هناك

---

(١٦) ـ الدرر النفيسة ص ٥٧٦.

يكون خادمي. وإن كان أحد يخدمني يكرمه الآب»(يو ١٢: ٢٦). وجاء في سفر الأمثال: «ذكر الصديق للبركة»(أم ١٠: ٧) وجاء في سفر المزامير: «ذكر الصديق باق إلى الأبد»(مز ١١٢: ٦) وقال الرب يسوع عن المرأة التائبة التي دهنت قدميه بالطيب ومسحتهما بشعرها: «حيثما يكرز بالإنجيل في العالم، يخبر بما فعلته هذه تذكاراً لها»(مر ١٤: ٩). أما السيدة العذراء مريم فقد تنبأت عن أن تذكارها سيدوم إلى الأبد بقولها: «منذ الآن جميع الأجيال تطوّبني، لأن القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس، ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه»(لو ١: ٤٨ ـ ٥٠).

أعياد السيدة العذراء مريم وتذكاراتها، وندعوها بالأعياد المريمية:

رتبت الكنيسة عبر الأجيال تذكارات للعذراء مريم على مدار السنة. ففي الثامن من شهر أيلول تحتفل بتذكار ميلادها، والكنيسة عادة تعيد للشهداء والقديسين بعد انتقالهم إلى كنيسة الأبكار في السماء، وانتهاء جهادهم الروحي على الأرض. ولكنها استثنت من هذه القاعدة، من البشر، القديسة مريم العذراء والقديس مار يوحنا المعمدان فاحتفلت بتذكاري ميلادهما.

وتحتفل الكنيسة للعذراء في الخامس عشر من كانون الثاني بعيدها لبركة الزروع وفي الخامس عشر من أيار بتذكارها لبركة السنابل وفي الخامس عشر من آب بعيدها لبركة الكروم الذي حلّ محله مع الأجيال عيد انتقالها إلى السماء[١٧]، ولأهميته يسبقه صوم لمدة خمسة أيام.

وهذه الأعياد الثلاثة قديمة العهد في الكنيسة كما ذكر ذلك الشاعر السرياني شمعون الفخاري الذي اشتهر ورفاق له في أوائل القرن السادس ويُدعون بـ (ܩܘܩܝܐ) (قوقويي) القواقين أي

(١٧) ـ مصابيح على الطريق للمؤلف دمشق ١٩٨٤ ص ٣١.

الفخارين نسبة إلى مهنتهم كخزافين. فيقول الفخاري: ما تعريبه: «رشت أرض أفسس ونضحت بندى وطلّ عندما جاءها مار يوحنا بكتب العذراء التي دوّن فيها وجوب الاحتفال بأعياد العذراء المباركة ثلاث مرات في السنة. ففي شهر كانون الثاني عيدها (لبركة) الزرع، وفي شهر أيار عيدها (لبركة) السنابل، وفي شهر آب عيدها (لبركة) الكروم التي يصور فيها سر الحياة». كما كانت الكنيسة تعيّد للعذراء مريم في آخر شهر آب عيد (تزنير السيدة العذراء) ولقربه من عيد انتقالها أهمل على تراخي السنين[١٨].

وتعيّد الكنيسة أيضاً للعذراء مريم في السادس والعشرين من شهر كانون الأول أي اليوم الثاني لعيد ميلاد الرب يسوع، عيد تهنئة العذراء بالميلاد، وهو عيد شرقي قديم. كما تعيّد في الخامس عشر من شهر حزيران تذكار أول كنيسة بنيت على اسم العذراء في يثرب، ومن أشهر وأهمّ الأعياد في المسيحية عيد بشارة العذراء بالحبل الإلهي ويقع في الخامس والعشرين من شهر آذار، وقد مرّ شرحه. كما خصّصت الكنيسة السريانية في بدء السنة الطقسية ما يسمى بالآحاد السابقة للميلاد من ضمنها أحد بشارة العذراء وأحد زيارة العذراء لنسيبتها اليصابات، واحد وحي يوسف وهو تطمين الملاك جبرائيل ليوسف خطيب العذراء ببراءتها وكشف السر الإلهي له، أن الذي حبل به في العذراء مريم هو من الروح القدس[١٩].

وفي صدد تنظيم جدول الأعياد قرر السينودس المقدس المنعقد في حمص ٤ـ٧ كانون الأول عام ١٩٣٢ عن أعياد العذراء ما يأتي: «أعياد السيدة العذراء أربعة وهي: تهنئتها ٢٦

---

(١٨) ـ بيان بطريركي في زنار السيدة العذراء للبطريرك أفرام الأول برصوم ـ حمص ١٩٥٣ ص ٢١.

(١٩) ـ مصابيح على الطريق للمؤلف ص٣١و٣٢.

كانون الأول، ولبركة الزرع ١٥ كانون الثاني، وميلادها ٨ أيلول، وانتقالها ١٥ آب، وما بقي فهو تذكار فقط».

بناء على قرار هذا المجمع المقدس وقرارات ما تلاه من مجامعنا المقدسة وتمشيّاً مع ما يقتضيه تطور الزمان من عدم إمكان المؤمنين الالتزام بالبطالة لكثرة أعياد العذراء والقديسين، نرى أن يثبت عيد تهنئة السيدة العذراء بميلاد ابنها الذي يقع في ٢٦ كانون الأول، وكذلك ليثبت عيد انتقالها إلى السماء على ما هو عليه طالما سبقه صوم خمسة أيام وقد قرر مجمعنا الأنطاكي السرياني المقدس المنعقد في حمص في شهر تشرين الثاني عام ١٩٥٤ أن يضاف إلى عيد انتقال سيدتنا العذراء مريم تذكار اكتشاف زنارها الذي وجد في كنيسة حمص في سنة ١٩٥٣ أما بقية أعيادها فهي تذكارات وتنتقل إلى أقرب أحد منها. ويحذف عيد تشييد أول كنيسةٍ على اسمها في يثرب. وفي ما سواه من أعيادها وتذكاراتها غُني عنه.

كما قرر مجمع حمص عام ١٩٥٤ ما يأتي: قررنا نقل بعض أعياد وتذكارات قديسين من الأيام المعينة لها إلى يوم الأحد الأقرب منها وذلك تسهيلاً لأصحاب المهن والصناعات لحضور القداس وصلوات العيد المفروضة. ويستثنى من هذا النقل أعياد وتذكارات مكانية لها منزلتها الخاصة في بعض الكنائس.

بقية أعياد القديسين[٢٠]: وتنقسم إلى قسمين:

١ ـ الثابتة وهي:

تذكار قتل الأطفال في بيت لحم. ويقع في ٢٧ كانون الأول، ويمكن أن يحول إلى الأحد التالي.

---

(٢٠) ـ وقد أدرجها الخالد الذكر البطريرك أفرام برصوم في كتابه «التحفة الروحية في الصلوات الفرضية».

عيد استشهاد مار يوحنا المعمدان، ويقع دائماً في السابع من شهر كانون الثاني.

تذكار مار اسطيفانوس رئيس الشمامسة وبكر الشهداء وعيدته الكنيسة أولاً في القدس في صدر النصرانية ثم عمّ، ويقع في ٨ كانون الثاني، يحول إلى الأحد الذي يتلوه.

تذكار مار برصوم رئيس النسّاك ويقع في ٣ شباط يحول إلى الأحد التالي.

تذكار الأربعين شهيداً في سيبسطية ويقع في ٩ آذار يحول إلى الأحد الذي يتلوه.

عيد مار جرجس الشهيد ويقع في ٢٣ نيسان، وفي كنائس العراق في ٢٤ منه يحول إلى الأحد الذي يتلوه. أو في التاريخ الذي اعتادت الكنائس التي شيّدت على اسمه أن تحتفل به.

عيد هامتي الرسل مار بطرس ومار بولس وهو قديم العهد بدأ في القدس ثم عمّ، ويقع في ٢٩ حزيران يعيد في موعده إذ يسبقه صوم ثلاثة أيام وهو عيد مؤسسي الكرسي الرسولي الأنطاكي.

عيد مار توما الرسول يقع في ٣ تموز وهو تذكار انتقال رفاته من الهند إلى الرها يحوّل إلى الأحد التالي.

تذكار مار قرياقس وأمه يوليطي الشهيدين يحوّل إلى الأحد التالي.

تذكار الشهداء مار بهنام وأخته سارة ورفاقه الأربعين، ويقع في ١٠ كانون الأول يحول إلى الأحد التالي.

٢ ـ الأعياد المتنقلة أو المتحولة وهي:

تذكار مار سويريوس البطريرك معلّم المسكونة المعترف وفي العراق هو تذكار مار إغناطيوس النوراني البطريرك «وهو حديث الوضع» ويقع يوم الخميس بعد صوم نينوى، وعيد مار أفرام الملفان معلّم المسكونة ومار ثاودورس الشهيد ويقع في السبت الأول من الصوم الكبير وقد حوّل بقرار مجمعي إلى الأحد الذي يليه.

تذكار ارتفاع الصليب وأبجر الملك ويقع في يوم الأربعاء نصف الصوم، وتذكار جميع المعترفين ويقع يوم الجمعة الذي يتلو عيد القيامة، وعيد مار برصوم رئيس النساك ويقع يوم الخميس الذي يعقب يوم خميس صعود الرب إلى السماء وهو الخميس السابق لعيد العنصرة وهذا العيد موضوع في الكلندار للقديس برصوم أسقف كفرتوث الشهيد، أما الآن فيراد به مار برصوم رئيس النسّاك[٢١]، وتعدّ هذه الأعياد والتذكارات المذكورة عامة لكنيستنا المقدسة جمعاء. وهناك تذكارات خاصة ومكانية قد فصِّلَت في التحفة الروحية فليرجع إليها. وإكمالاً للبحث ندرج فيما يأتي أسماء الآحاد على مدار السنة[٢٢] فنقول:

إن السنة الكنسية عندنا تبتدئ في الأحد الثامن السابق لعيد ميلاد الرب يسوع في الجسد وهو يكون الأحد الأول من شهر تشرين الثاني إذا وقع أول هذا الشهر يوم الأربعاء أو الخميس أو الجمعة أو السبت أو الأحد لكنه إذا وقع في يوم الاثنين أو الثلاثاء كان الأحد الأخير من شهر تشرين الأول رأس السنة الكنسية. والأحد الأول يسمى تقديس البيعة، والثاني تجديد

---

(٢١) ـ عن التحفة الروحية في الصلاة الفرضية للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة حلب ١٩٥٦.

(٢٢) ـ عن التحفة الروحية في الصلاة الفرضية للبطريرك أفرام الأول برصوم طبعة حلب ١٩٥٦.

البيعة، الثالث بشارة زكريا، الرابع بشارة العذراء، الخامس زيارة العذراء، السادس ميلاد يوحنا، السابع وحي يوسف، الثامن الأحد السابق للميلاد. ثم الأحد الثاني للميلاد، والأحد الأول بعد الدنح، ثم الثاني فالثالث فالرابع فالخامس، ثم أحد الكهنة فأحد الموتى. وفي العراق جمعة الكهنة وجمعة الموتى الغرباء وجمعة الموتى كافة. وآحاد الصوم الكبير الستة وهي: الأحد الأول: احد أعجوبة تحويل الماء خمراً في قانا الجليل والأحد الثاني: هو أحد أعجوبة تطهير الأبرص وعيد مار أفرام السرياني الملفان معلّم المسكونة ومار ثاودورس الشهيد، الأحد الثالث: وهو أحد أعجوبة شفاء المخلع، والأحد الرابع: وهو أحد أعجوبة شفاء ابنة الكنعانية، والأحد الخامس: وهو أحد مثل السامري الصالح، والأحد السادس: وهو أحد أعجوبة شفاء الأعمى ابن طيما، والأحد السابع: وهو عيد الشعانين ومساء النهيرة. ثم أحد القيامة أي عيد قيامة الرب يسوع من بين الأموات، ثم الأحد الجديد وهو الأحد الأول بعد القيامة ويليه الثاني والثالث والرابع والخامس وأحد العنصرة وبقية الآحاد حتى عيد الصليب وكلها تخصّ القيامة، والآحاد التي تلي عيد الصليب وتعرف بالعامة.

ولكل من هذه الآحاد والأعياد والتذكارات طقوس خاصة بها نظمها آباء الكنيسة وملافنتها وضمتها مجلدات ضخمة سميت بالفناقيث أي المجلدات وهي تضم الصلوات التي وضعوها نظماً ونثراً لهذه المناسبات الروحية المقدسة تنشدها الكنيسة في الأيام المعينة لها.

بشارة العذراء مريم (*)

«فدخل إليها الملاك وقال: السلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك مباركة أنت في النساء... لاتخافي يامريم لأنك وجدت نعمة عند اللّه وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الابد ولايكون لملكه انقضاء»(لو ١: ٢٨ ـ ٣٣).

ماأبهج الفجر وهو ينبلج نورا وضياء بعد ليلة ليلى شديدة الظلمة. «ماأجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص»(اش ٥٢: ٧). ما أروع منظر الملاك جبرائيل وهو داخل إلى البيت البسيط الذي كانت تقطنه العذراء مريم في مدينة الناصرة، ليبشرها بالحبل الإلهي.

أجل كانت السماء قد تلبّدت بغيوم الغضب الداكنة، وكانت الأرض مضطربة على أثر اللعنة التي أصابتها منذ سقوط الإنسان بالخطية، وتورطه بالتمرد على اللّه تعالى. وكان الإنسان يشقى في أرضه بعد أن طرد من فردوسه، ويتعزى بالوعود الالهية بالعودة إلى وطنه السماوي.

ومرت الدهور اثر الدهور، والإنسان بعيد عن خالقه. لأن البر والاثم لايجتمعان، والقداسة والخطية لاتنسجمان، وبهذا الصدد يقول النبي أشعيا لبني البشر: «آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع» (اش ٥٩: ٢). ويقول الرسول بولس: «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في كاتدرائية مار جرجس بدمشق بمناسبة احد بشارة العذراء٢٥/٣/١٩٩٠.

الله»(رو ٣: ٢٣) ومع كل ذلك لم يخل جيل من أجيال البشر من أناس عبدوا الله وسعوا لعمل الصلاح لإرضاء الله فاختارهم الله لتبليغ إرادته الإلهية ونواميسه السامية لبني البشر. لأن الله رحيم كما انه عادل، ورحمة الله كانت الوازع لانزال الوحي والإلهام على المختارين من الآباء والأنبياء. فأوصلوا بدورهم الوعود الإلهية لإخوتهم البشر، فكان الرجاء بخلاص الإنسان سبب عزاء للأتقياء الذين عاشوا مع الله، وهم ينتظرون مجيء المخلص، مشتهى الأمم ورجاء الاجيال. وعاش أولئك الأولياء من الآباء وماتوا على رجاء الخلاص... ومهما كانت حياة بعضهم طويلة ومديدة لم يتمكنوا من الجمع بين زمن السقوط بالخطية وزمن مجيء المخلص لانقاذهم منها، وبهذا الصدد يقول عنهم الرسول بولس:« في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدّقوها، وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض» (عب ١١: ١٣).

بدت المواعيد الإلهية عبر الدهور كالنجوم الساطعة في سماء الإنسان المملوءة بالسحب الداكنة، وأخذها الخلف عن السلف، وهو يرددها بروح الرجاء والإيمان، وينتظر المخلص. ففي البدء،وعلى أثر تمرغ الإنسان بخطية الكبرياء والتمرد على الله، قال تعالى للحية إبليس «ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنتِ تسحقين عقبه»(تك ٣: ١٤ و١٥). ويوضح النبي أشعيا الذي استشهد سنة ٦٩٦قبل الميلاد، أن تلك المرأة هي عذراء، إذ قال «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل»(اش ٧: ١٤).

واشترك الملائكة بإعلان هذه المواعيد، وعين اللّه تعالى جبرائيل أحد رؤساء الملائكة ومعنى اسمه «جبار اللّه» وهو الواقف قدام اللّه (لو ١: ١٩) قد عينه اللّه ليكون ملاك سر التجسد الإلهي. أي ملاك العهد الجديد، عهد الخلاص، والنعمة، والرحمة. فقد أرسله اللّه قبل الميلاد بخمسة قرون إلى رجل اللّه البار، النبي دانيال، في أرض بابل حيث كان مسبيا مع شعب العهد القديم وهو يواصل الصلاة إلى اللّه لأجل عودة الشعب إلى دياره، ويدرس النبوات السابقة ويتوق إلى أن يرى إتمامها، فاستجاب الرب الإله صلاته، وأرسل إليه جبرائيل الملاك الذي أعلن له نبوة الأسابيع السبعين، محدداً بها زمن مجيء ماشيحا المسيح المنتظر «قدوس القديسين».

ولما أوشكت الأسابيع السبعون على الانتهاء أُرسل جبرائيل أيضاً من السماء إلى هيكل الرب فوقف عن يمين مذبح البخور مبشراً زكريا الكاهن العجوز بميلاد يوحنا الذي يقوم برسالة تمهيد السبيل لمجيء المسيح المنتظر وليبشر الناس بقدومه. وفي الشهر السادس من تاريخ الحدث العجيب بلغ ملء الزمان، فوقف جبرائيل قدام العذراء مريم، وهي تصلي في بيت بسيط كانت تقطنه في الناصرة، فحياها بإكرام لائق، قائلاً لها: «سلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك، مباركة أنت في النساء، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك لاتخافي يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند اللّه وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع.هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولايكون لملكه نهاية» (لو ١: ٢٨ـ ٣٣).

أجل لم يرسل جبرائيل الملاك في هذه المرة إلى عاصمة عظيمة شهيرة من عواصم الامبراطورية الرومانية، ولاحتى إلى المدينة المقدسة، بل أرسل إلى مدينة الناصرة الصغيرة التي قيل عنها بعدئذ: «أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح» (يو ١ : ٤٦) ولم يرسل الملاك جبرائيل في هذه المرة إلى هيكل الرب، بل إلى بيت بسيط متواضع، حولته العذراء مريم إلى قدس أقداس للرب إذ جعلته نظيفاً، أنيقاً، مرتباً، تفوح منه رائحة الفضيلة، وتعبق في جوانبه نسمات الصلاة النقية التي كانت العذراء مريم ترفعها إلى عرش اللّه بالسماء في أوقاتها الثلاثة يومياً مكملةً بذلك الفريضة المقدسة التي كان يقوم بها كل تقي وتقية من شعب العهد القديم. ويقول آباؤنا الميامين إن العذراء كانت حين بشرها الملاك بالحبل الإلهي، منفردة جاثية تصلي بحرارة ليقرب الرب موعد ارسال المخلص الذي بشر به الأنبياء عبر الدهور وتاقت إلى قدومه الشعوب والأجيال. فالعذراء مريم بالإضافة إلى قيامها بفريضتي الصوم والصلاة، كانت وهي ربيبة الهيكل تقرأ أسفار الشريعة والنبوات متأملة بذلك بتدقيق لتعمل بمشيئة الرب، وتطبق نواميسه الإلهية وأحكامه السامية. وهي ككل فتاة في شعب النظام القديم كانت تتوق من أعمق أعماق قلبها إلى أن يولد منها المسيح المخلص.

هذه الفتاة النقية الطاهرة والعفيفة القديسة مريم اختارها اللّه والدة لابنه الوحيد في سر تجسده الإلهي.

نعم لو خُيِّر الناس بانتقاء أمهاتهم لاختاروا بنات الملوك والعظماء والنبلاء والأغنياء، مهما كانت سيرتهن وسريرتهن، أما مقياس السمو لدى السماء فهو التمسك بشريعة اللّه والعمل بأحكامه بلا لوم، ولذلك اختار الرب هذه العذراء الطاهرة التي كانت تسير مع الرب، متمسكة بشرائعه، عاملة بوصاياه وأحكامه، فاختارها

الله أماً لابنه الوحيد الحبيب. وعلى الرغم من فقرها المدقع، ومسكنتها، ويتمها، وجهل الناس بها وإياها، فقد كانت محاطة بالعناية الربانية، وكانت عين اللّه ترعاها، والله فاحص القلوب والكلى يعرفها حق المعرفة فهي في عينه تعالى صفوة الخليقة، وقد اختارها منذ البدء، وأوحى إلى أنبيائه فذكروها بنبواتهم، فهي من ذرية داود(لو ٢: ٤) وكذلك خطيبها يوسف البار(مت ١: ٢٠) وهي المرأة التي نسلها (المسيح) يسحق رأس الحية، وهي العذراء التي تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره اللّه معنا(مت ١: ٢٣) فهي والدة الإله.

والسؤال الذي يطرح ذاته في هذا الموقف هو هل أن العذراء مريم ابنة الثلاث عشرة سنة أدركت فحوى بشارة الملاك لها؟! والجواب هو أن اللّه الذي اختارها هو الذي قوّاها ووهبها حكمة ونعمة وإيماناً متيناً ثخيناً فقبلت الحقائق الإيمانية وسلمت بها تسليماً ولكي تعرف كيف تتصرف مع هذا الأمر العجيب سألت الملاك بإيمان قائلة: كيف يكون هذا وأنا لم أعرف رجلاً؟ فشرح لها الملاك سر التجسد الإلهي الذي انما تم بصورة تفوق الطبيعة واعتبر أعجوبة الأعاجيب والذي وصفه الرسول بولس بعدئذ بقوله: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى اللّه ظهر في الجسد»(١تي ٣: ١٦) وفي هذا الصدد أجاب الملاك العذراء مريم قائلاً: «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله»(لو ١: ٣٤-٣٦) فأجابت مريم الملاك قائلة: «هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك»(لو ١: ٣٨) وبهذا سلمت مريم إرادتها بيد الله، وهذا هو الإيمان بل هذه هي الحكمة الحقيقية السامية أن يسلم الإنسان إرادته بيد الله. ليقول للرب صادقاً «لتكن مشيئتك» وحالما فاهت العذراء بعبارة: «فليكن لي كقولك» حل عليهاالروح القدس فطهرها، ونقاها وقدسها. كما حل نار اللاهوت في أحشائها، وجبل ابن اللّه له

جسداً كاملاً من جسدها اتحد به اتحاداً أقنومياً طبيعياً، فولدته العذراء مريم وهي عذراء قبل الولادة وفي الولادة وبعد الولادة، واستحقت أن تدعى والدة الإله لأنها ولدت الإله المتجسد وكانت ولادته عجيبة كما كان الحبل به عجيباً فريداً. فكما ظهرت العوسجة للنبي موسى وهي تلتهب بالنار، ولكنها لم تحترق، كذلك أنار نار اللاهوت العذراء مريم ولم يحرقها.

وهكذا بدأ سر التجسد الإلهي، إذ حبل بيسوع في العذراء من الروح القدس، فالمولود من مريم كما وصفه الملاك «عظيم، وقدوس، وإبن العلي». وسماه الملاك «يسوع» لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. فهو الفادي الذي أرسله الآب السماوي، فوفّق بسري التجسد بين عدل اللّه ورحمته. ومثل الإله والإنسان في آن واحد وفدى البشرية بدمه الكريم وأبرم بذلك الصلح بين السماء والأرض وبرر اللّه الإنسان وقدسه وأهله ليكون ابناً له تعالى بالنعمة.

لا غرو من أن للعذراء مريم في عمل الخلاص دوراً مهماً، فهي والدة المخلص ومربيته، وقد صارت لنا وللعالم أجمع مثالاً يحتذى بالطهر والنقاء والتمسك بشريعة اللّه وأحكامه وفرائضه من صوم وصلاة. ففي هذا اليوم وفي كل يوم نطوبها ونتشفع بها. ونقتدي بالملاك جبرائيل وباليصابات وبعض القديسين مقتبسين منهم العبارات المقدسة لنحييها بحسب طقسنا السرياني في ختام صلواتنا صباح مساء وفي كل صلاة قائلين: السلام عليك يامريم العذراء الممتلئة نعمة، الرب معك مباركة أنت في النساء، ومبارك ثمرة بطنك يسوع: «يامريم القديسة ياوالدة اللّه صلي من أجلنا نحن الخطاة الآن وفي ساعة موتنا آمين».

الميلاد المقدس(*)

«ولكن لمّا جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني» (غلا ٤:٤).

يبدأ تاريخ كل امرئ في هذه الحياة منذ ساعة ميلاده، أما ربنا يسوع المسيح فلا بدء لتاريخه. فهو الكلمة الذي قال فيه الإنجيلي يوحنا: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (يو ١: ١) وقال عنه النبي ميخا: «ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (٢:٥) وقال هو عن نفسه: «أبوكم ابراهيم تهلّل بأن يرى يومي فرأى وفرح ... قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن» (يو ٨: ٥٦و٥٨)، وأعلن عنه دستور الإيمان النيقاوي عام (٣٢٥م) أنه «نور من نور إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر».

هذا هو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس المولود من الآب أزلياً ولما عيّنت المشيئة الإلهية أن تفدي الإنسان تقرر أن يتجسد فولد من مريم العذراء في ملء الزمان وصار ابن الإنسان وهو ابن الله. والأبوة والبنوة بالنسبة للآب السماوي وابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح أمر يسمو عن إدراكنا ولا يمكن أن يشبَّه بالأبوة والبنوة البشرية. ويصف الكتاب المقدس سر التجسد العجيب بقوله: «والكلمة صار جسداً» (يو ١: ١٤) فقد جبل له من دم العذراء مريم جسداً كاملاً وولد منها ولادة

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المنقول باذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ٢٥/ ١٢/ ١٩٨٠ .ونشرت في المجلة البطريركية ـ دمشق السنة ١٩ العدد ١ كانون الثاني ١٩٨١ .

عجيبة في بيت لحم أفراتا إتماماً لنبوات ميخا وإشعيا وغيرهما من الأنبياء. وقد مهّد لميلاده العجيب في الجسد قبل حدوثه بآلاف السنين بالوعود والنبوات والرموز والإشارات ليهيئ البشرية لفهم هذه الحقيقة الإلهية. وكان الله قد كلّم الآباء والأنبياء بطرق عديدة قبل أن كلّمنا بابنه الحبيب (عب ١: ١و٢) الذي فيه وحده تكمل شروط المخلص. وحيث أنه جاء مخلصاً للعالم أجمع شاءت إرادته الإلهية أن تترجم أسفار الكتاب المقدس إلى اللغة اليونانية لغة الثقافة بأمر بطليموس في الاسكندرية قبل مجيء الفادي بقرنين من الزمان تقريباً، ليطّلع العالم الوثني على ما تنبأ به الأنبياء عنه.

ففي «ملء الزمان» كانت المعصية قد كملت والإثم قد تم، وظهرت علناً حاجة البشرية الماسة إلى المخلص ماسيا المنتظر. فالديانة اليهودية لم تقو على خلاص الإنسان من خطيته. كما عجزت النظريات الفلسفية والاجتماعية الوثنية عن إنقاذه من شروره. حيث كان اليهود قد فسدوا وحادوا عن الناموس وأهملوا النبوات وعندما ادّعوا أمام الرب يسوع قائلين: «لنا أب ابراهيم» أجابهم: «لو كنتم أبناء ابراهيم لكنتم عملتم أعمال ابراهيم. أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تفعلوا»(يو ٨: ٤٤) وصب الرب ويلات على زعمائهم من الكتبة والفريسيين قائلاً: «أتركوهم هم عميانٌ قادة عميانٍ وان كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرةٍ» (مت ١٥: ١٤).

أما الوثنية فقد استبدلت حق الله بالكذب وعبدت المخلوق دون الخالق، وانحطت بالإنسان إلى درك المعاصي والتمرغ بالشهوات.

«فالجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» بل إله المجد، ولقد سخّر الله قوات البشرية لخدمة مقاصده الإلهية. فالرومان كانوا يحكمون أغلب أجزاء العالم المعروف في ذلك الزمان، عبّدوا الطرق ووسّعوا البلاد وسيّروا سفنهم في البحار، ممهدين بذلك الطريق لنشر البشارة الإنجيلية دون أن يعلموا.

وأثقلوا النير على العباد وظلموهم، فعلا أنين الناس وارتفع، وتاقوا إلى ظهور ماشيحا (ماسيا) المنتظر وتشوقوا لرؤيته ولئن ظنوه مخلصاً بشرياً ينقذهم من سلطة الرومان ولم يعرفوا بأنه سيخلصهم من سلطان الخطية والموت والشيطان.

أجل يرى المراقب أن قوات عديدة دينية وفلسفية وثقافية واجتماعية وسياسية كانت تحكم العالم قبل ميلاد الرب يسوع، ولكن كانت هناك قوة سامية وإرادة إلهية وراء تلك القوات البشرية ألا وهي قوة الله تعالى وإرادته العظمى فإرادة الله هي وراء حوادث التاريخ أمس واليوم وإلى الأبد. فقد كتب البشير لوقا في الإنجيل المقدس قائلاً: «وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة» (لو ٢ : ١) ويعني بالمسكونة الأجزاء التي كانت خاضعة سياسياً لسلطة الدولة الرومانية في العالم المعروف يومذاك. وكانت غاية أوغسطس قيصر الافتخار بامتداد أرجاء مملكته وتسهيل أمر جباية الضرائب من الخاضعين لسلطانها. ولكن قصد الله من وراء ذلك الاكتتاب كان ليثبت أنه حقاً قد أرسل ابنه الحبيب إلى العالم فولدته ابنة داود في بيت لحم مدينة داود، لذلك كانت إرادته تعالى ألا يجري الاكتتاب بحسب نظام الرومان وحسب بل أيضاً بموجب تقليد اليهود وهو أن يذهب كل واحد إلى مدينة آبائه عند التسجيل.

وهكذا جاء إلى بيت لحم أفراتا، يوسف البار وخطيبته العذراء مريم وهي حبلى، جاءا من الناصرة إلى بيت لحم وهما لا يعلمان القصد من ذلك الاكتتاب، وبينما كانا هناك تمت أيام مريم لتلد(لو ٢: ١ - ٥) ولم يكن لهما منزل في الموضع ولا موضع في المنزل، فالتجأ إلى مغارة بسيطة ... هناك ولدت العذراء ابنها البكر «يسوع» المخلص، «عمانوئيل» الله معنا. وسجل اسمه في سجلات المملكة. ويستشهد يوستينوس الشهيد (+ ١٦٣؟) وترتليانوس (ت نحو ٢٢٠) وغيرهما بسجلات الامبراطورية الرومانية وهم يقيمون الحجة على أن ماسيا قد جاء إلى العالم، وولد بحسب النبوات في مدينة داود لأنه من نسل داود. فاليهود بلا عذر في رفضه.

أجل، في ملء الزمان ولد الإله من عذراء، ولد تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني، وسجل اسمه في سجلات المملكة كسائر البشر، ودخل التاريخ بل صار زمن ميلاده تاريخ التواريخ، وبدأ بميلاده عهد النعمة، والرحمة، والحق، والعدالة، والمساواة.

ها هي ذي الخطية تتزعزع أركانها لأن إله السماء قد كلم أبناء الأرض بابنه الحبيب، فالملائكة هتفت مبشرة الرعاة البسطاء أن «قد ولد لكم في مدينة داود مخلص هو المسيح»«المجد للّه في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرّة». والنجم يأتي بحكماء المشرق ليسجدوا له مقربين هداياهم ذهباً ولباناً ومراً معترفين بألوهته وملكه وفدائه، وهيرودس الملك الطاغية يرتعب وأورشليم معه، وعلماء اليهود وكهنتهم يعلنون نبوة ميخا عن مكان ميلاد ماسيا ولكنهم لا يستحقون النعمة فيهملون التفتيش عن المخلص ولا يبالون

بخلاص نفوسهم فيرفضون من الله ويتم فيهم قول الكتاب: «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو ١: ١١و١٢).

أجل لقد ولد متواضعاً، ناكراً ذاته، واشترك معنا في اللحم والدم، وأخذ كل مالنا ما عدا الخطية، ليعطينا نعمة التبني. فنكون أولاداً لأبيه السماوي بالنعمة.

فلنقدم له المجد مع الملائكة، والسجود مع الرعاة والهدايا مع حكماء المشرق. ولنهيئ قلوبنا منازل نقية طاهرة ليولد فيها روحياً فيملك علينا إلى الأبد ويكون إلهنا ونكون له شعباً مقدساً.

وبمناسبة ذكرى ميلاده المقدس، يطيب لنا أيها الأحباء أن نهنئكم جميعاً، وأن نهدي البركة الرسولية إلى أبناء كنيستنا المقدسة وبناتها في أرجاء العالم كافة سائلين مولود بيت لحم القدوس أن يصونهم بالصحة التامة والتوفيق الروحي الجليل لينعموا بأعياده سنين عديدة والنعمة معكم جميعاً آمين.

الميلاد المقدس (*)

«فقال لهم الملاك لا تخافوا. فها أنا أبشركم بفرح عظيم، يكون لجميع الشعب. انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب»(لو ٢: ١٠و١١).

في هذا اليوم المقدس، تقرع أجراس الكنائس معلنة بأنغامها الشجية، ورناتها المبهجة، أفراح المؤمنين بعيد ميلاد فاديهم الإلهي، وهم يشاركون ملائكة السماء بتمجيده، فقد صار الإله إنساناً، وأزاح عن كاهل البشرية كابوس الأحزان، وملأ القلوب مسرات وأفراحاً.

وفي هذا اليوم المقدس أيضاً، يتبادل المؤمنون التهاني القلبية والهدايا الثمينة، مشيرين بذلك إلى أثمن هدية قدمتها السماء للأرض يوم الميلاد ألا وهو المخلص المسيح الرب.

ففي هذه الذكرى السعيدة، ننتقل بأفكارنا وأنظارنا إلى بيت لحم أفراثا، إلى مغارة متواضعة حيث ولدت العذراء مريم، قبل عشرين قرناً، ابنها البكر، وهو بكر الآب السماوي أيضاً، وقمّطته، ووضعته في مذود، إذ شاء أن يولد فقيراً، فأهمله بنو قومه، وتم بذلك ما قاله النبي أشعيا قبل ذلك التاريخ بسبعمائة سنة إن «الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما... شعبي فلا يفهم»(أش ١: ٣).

وإن حولنا الآن أنظارنا إلى السماء، نراها مهتمة جداً بهذا الحدث الإلهي العظيم، فقد مهدت له عبر الدهور والأجيال

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول بإذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ٢٥/ ١٢/١٩٨١ ونشرت في المجلة البطريركية ـ دمشق السنة ٢٠ العدد ١١ كانون الثاني ١٩٨٢ .

بالنبوات والرموز والإشارات، وأرسلت كبير الملائكة جبرائيل إلى الأرض مرات عديدة فحدد للنبي دانيال تاريخ وقوع هذا الحدث قبل موعده بخمسة قرون. ولما بلغ ملء الزمان بشر جبرائيل العذراء مريم بالحبل الإلهي موضحا لها بأن الروح القدس يحل عليها وقوة العلي تظللها فلذلك أيضا القدوس المولود منها يدعى ابن اللّه (لو ١: ٣٥) .

ويوم الميلاد أعلنت السماء فرحتها بميلاد الماسيا الذي انتظرته الشعوب والأجيال، فانحدر الملاك من السماء ووقف برعاة بسطاء يسهرون على أغنامهم يحرسونها حراسات الليل على هضاب بيت لحم أفراتا. ومن أجدر من الرعاة بالبشارة بولادة الحمل الوديع «حمل الله الرافع خطايا العالم» كما دعاه يوحنا المعمدان بعدئذ؟!

ولما وقف الملاك بالرعاة أضاء مجد الرب حولهم فخافوا خوفاً عظيماً، وسقطوا على وجوههم، ذلك أن الناموس كان قد كشف سر الخطية، وقدر حجمها، ولكنه لم يصف لها الدواء الناجع. وكانت الخطية تعذب ضمير الإنسان فيرى نفسه هالكاً لا محالة لأن الغضب الإلهي مستعر وجمره ملتهب متعد، لذلك فرؤية الملاك الذي يمثل السماء يخيف الإنسان من السماء الغاضبة. ولكن الملاك يطمئن الرعاة ويحول خوفهم العظيم إلى فرح عظيم قائلاً: لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمّطاً مضجعاً في مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبّحين الله وقائلين: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرّة»(لو ٢: ١٠ ـ ١٤) يا لها من قصيدة

بديعة فريدة يتيمة، نظمتها السماء ولحنتها وأنشدتها، وقد أنعم على الأرض، لأول مرة بعد دخول الخطية إليها، أن تسمع ألحان المجد الشجية، وأنغام السلام الروحية، يوقعها على قيثارة الروح ملائكة السماء معلنين بهجة الخليقتين المنظورة وغير المنظورة بالحدث العظيم ألا وهو ميلاد المخلص الذي هو المسيح الرب، الذي به زال الخوف وعمت الطمأنينة، وكسر السيف الملتهب الذي قبض عليه الكروبيم أمام جنة النعيم لحراسة طريق شجرة الحياة ونقض سياج العداوة بين الإله والإنسان، وحل السلام وتبددت الأحزان وامتلأت القلوب مسرات وأفراحاً. فحق للملاك أن يبشر بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، ذلك أن المسيح المولود في بيت لحم هو مسيح العالم كله. لا فرق لديه بين أمة وأمة، لغة ولغة، لا فرق بين رجل وامرأة، شيخ وطفل، غني وفقير، كبير وصغير فهو الكل في الكل (كو ٣: ١١) وهو للكل على اختلاف أجناسهم وحضاراتهم وطبقاتهم الاجتماعية ومذاهبهم الدينية لأنه جاء ليكسّر إطارات الأنانية المقيتة والعنصرية البغيضة والتعصب الذميم وينشر البهجة والسرور في قلوب الناس ونفوسهم، ويهب الراحة والسلام لضمائرهم. ألم تفرح العذراء مريم فرحاً روحياً عارماً لما قالت لها اليصابات نسيبتها «مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك، فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليَّ»(لو ١: ٤٢و٤٣). فأنشدت مريم أنشودتها الخالدة، وتهللت قائلة: «تعظم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلصي، لأنه نظر إلى اتّضاع أمته، فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوّبني، لأن القدير صنع بي عظائم...»(لو ١: ٤٦ـ ٤٩).

هذا هو الفرح الروحي الذي يملأ قلوب الأبرار بالخلاص

بالرب، وهو ليس كالأفراح الدنيوية الزائلة، أجل ليس كأفراح الأمم «الفرحين بفعل السوء المبتهجين بأكاذيب الشر» (أم ٢: ١٤) ولكنه فرح سماوي مقدس كقول الرسول بولس: «إن ملكوت الله ليس أكلاً وشراباً بل هو سلام وفرح في الروح القدس» (رو ١٤: ١٧) وكقول الرب «افرحوا بالحريّ ان أسماءكم كتبت في السموات» (لو ١٠: ٢٠) «فافرحوا بالرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا»(في ٤: ٤) فقد ولد لنا مخلص هو المسيح الرب، حمل الخروف الضال على منكبيه وأتى به إلى حظيرة الخراف، وقبل الابن الشاطر العائد إلى بيت أبيه، وأعلن لنا «أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب» (لو ١٥: ٧و١٠).

أجل ولد لنا في مدينة داود مخلص تمت بميلاده نبوة النبي ميخا القائل: «وأنت يا بيت لحم أفراثا وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج مدبر يرعى شعبي ... ومخارجه منذ القدم منذ أيام الأزل» (ميخا٥: ٢) فهذا المخلص قد رعى الشعب رعاية صالحة إذ شفى المرضى وأقام الموتى، وعزّى الحزانى، وفرّج عن المكروبين، وهدى الضالين. ولا غرو فقد أعلنته السماء مخلصاً، فهذا جبرائيل كبير الملائكة يطمئنن يوسف البار خطيب العذراء مريم بقوله: «يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»(مت١: ٢٠و٢١) فالخلاص هو الغاية الأولى من تجسده خاصة وأن البشرية كانت بأمس الحاجة إليه لأنها لم تقو على خلاص ذاتها فانتظرته لينهضها من كبوتها ويعيدها إلى برها الأول.

هذا هو المخلص المسيح الرب. إنه المسيح، وبالسريانية (مشيحو) ماسيا المنتظر، المسيح الحقيقي الوحيد الذي ظهر في العالم الذي مسحه الرب الإله بدهن الابتهاج أكثر من رفقائه(مز ٤٥: ٧) وكما كان الملوك والكهنة والأنبياء يمسحون بزيت لما يتقلدون رتبتهم السامية هكذا مسح الرب يسوع بزيت الابتهاج كقول الكتاب فهو الممسوح ملكاً وكاهناً ونبياً، فهو ملك طبقاً لقول الملاك لأمه العذراء مريم: «ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية»(لو ١: ٣٢و٣٣) وهو كاهن إلى الأبد على رتبة ملكيصادق(عب٧: ١٧). وقد قدم نفسه ذبيحة لله ففدى البشرية بدمه الكريم. وهو نبي بل هو رب الأنبياء.

وقد أعلن الرب في بدء تدبيره الإلهي بالجسد أنه مسيح الرب، لما دخل المجمع في الناصرة وقام ليقرأ: «فدفع إليه سفر إشعياء النبي ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه «روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة... فابتدأ يقول لهم إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم» (لو ٤: ١٦-٢١)

في حدث الميلاد المقدس أعلنت وظائفه الإلهية بهدايا المجوس حكماء المشرق الذين أتى بهم النجم العجيب من بلادهم البعيدة إلى بيت لحم أفراتا فسجدوا للمولود الإلهي وقدموا له هداياهم ذهباً، ولباناً، ومراً. معترفين به ملكاً وإلهاً ومتنبئين عن موته الكفاري، حيث أنهم اعتادوا أن يقدموا الذهب لملوكهم، واللبان لآلهتهم، والمرّ لتحنيط موتاهم. فالإله الذي أرسل إليهم

النجم العجيب ليقودهم إلى بيت لحم، هو الإلـه الـذي ألهمهم أن «المولود» هو الإله الحق فسجدوا له واعترفوا بلاهوته بتقديم اللبان. ولا غرو فالملاك يدعوه مخلصا ومسيحا وربا فهو رب بل هو الرب الإله، وهكذا دعاه كبير الملائكة جبرائيل لما بشر العذراء مريم بالحبل به قائلا: «وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى» (لو ١: ٣١_٣٢).

أجل لقد اشتركت في ظهور المولود الإلهي السماء والأرض فهو قد ولد بالجسد من الروح القدس والعذراء مريم معاً. وبتجسده العجيب اتحد وهو الإله الحق بطبيعتنا الإنسانية وكياننا البشري اتحاداً يفوق إدراكنا، وقد جبل له من دم العذراء جسداً كاملاً فهو إله كامل وإنسان كامل بآن واحد، ولاتحاد اللاهوت بالناسوت اتحاداً جوهريا بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا تبلبل ولا انفصال، نؤمن بأنه أقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة. وكما عبر الرسول بولس عن ذلك بقوله: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد» (١تي٣: ١٦).

فما أسعد الرعاة البسطاء يبشرون بميلاده! وما أعظم النعمة التي أسبغت عليهم بسماع نشيد الملائكة. طوباهم فقد آمنوا وصدّقوا ما قيل لهم عن المولود وقاموا مسرعين وأتوا إلى مغارة بيت لحم ووجدوا الطفل مقمّطا مضجعا في مذود، طبقا للعلامة التي منحهم إياها الملاك، وامتلأوا فرحا روحيا وسجدوا للطفل المولود وقدموا هداياهم «زبدا وعسلا» إتماما لنبوة أشعيا القائل: «ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل زبداً وعسلاً يأكل»(أش٧: ١٤و١٥). وأخبر الرعاة العذراء مريم

والصدّيق يوسف وغيرهما ممن صادفوهم بخبر ما حدث لهم في تلك الليلة في البرية «وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة»(لو ٢: ١٨).

فلنفرح بميلاد الفادي، أيها الأحباء، في هذا اليوم المبارك وفي كل يوم. ولا ندع العالم ومغرياته ومنغصاته تشغلنا عن الفرح الروحي بالمسيح يسوع ربنا. ففي وسط العاصفة... وحتى عندما يهيج البحر الخضم، فتتقاذف أمواجه الصاخبة سفينة حياتنا الغالية تريد تحطيمها، لا يمكن أن يغادر السلام نفوسنا، والبهجة قلوبنا ما دام إلهنا معنا وهو المخلص المسيح الرب. فقد وعد قائلا: «طوبى لكم إذا عيروكم واضطهدوكم وقالوا عنكم كل كلمة سوء من أجلي كاذبين افرحوا وابتهجوا فإن أجركم عظيم في السموات»(مت٥: ١٠ـ١٢).

أجل إن المسيح في ميلاده بعث البهجة في قلوبنا والسلام في نفوسنا، فعلينا أن نفعل نحن أيضاً ذلك بإخوتنا بني البشر، فنعزي الحزانى، ونفرِّج عن المكروبين ونجبر القلوب المنكسرة، ونحوِّل عوز الفقراء والمساكين وفاقتهم إلى اكتفاء بالعطاء السخي. ليكون للمسيح موضع في منازلنا، وليحل في قلوبنا، فنقبله مسيحاً ورباً ومخلصاً لنا عاماً وشخصياً.

ليكن عيد الميلاد هذا عيداً مباركاً عليكم أيها الأحباء، ولينشر الله تعالى أمنه وسلامه في العالم أجمع لتمتلئ قلوب البشر فرحاً روحياً وسلاماً كاملاً آمين.

الميلاد المقدس(*)

«الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نورٌ... لأنه يولد لنا ولدٌ ونعطى ابنا وتكون الرئاسة على كتفيه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام»(إش ٩: ٢و٦)

قبل مولد السيد المسيح بسبعمائة عام، أعلن النبي إشعياء نبوته هذه الصادقة عن ميلاد الفادي، بعد أن رسم الصورة الحقيقية للعالم الشرير الذي عاش قبل الميلاد متخبطاً خبط عشواء في ظلمة الجهل والخطية، ولم تجده النواميس نفعاً، حتى أشرق عليه المسيح شمس البر والشفاء بأجنحته فبدد الظلام، وغمر ضياؤه قلوب البشر فأمات فيها اليأس والقنوط، وأحيا فيها الرجاء والأمل. وسمعناه ينادي قائلاً: «أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة»(يو٨: ١٢) فلا غرو إذا كان ميلاده ميلاد النور والحياة، ميلاد المحبة والرحمة، ميلاد الحق والعدالة، ميلاد التواضع والوداعة، ميلاد الحضارة والمدنية، فقد حطم قيود العنصرية البغيضة، والطبقية الشنيعة، وساوى بين الغني والفقير، والكبير والصغير، والعظيم والحقير، والعبد والحر، والأنثى والذكر، وأنقذ البشرية من داء الكبرياء الوبيل، وأقام من نفسه مثالاً يحتذى به في التواضع والوداعة، ودعا الناس إليه قائلاً: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم، لأن نيري هيّن وحملي خفيف» (مت١١: ٢٩و٣٠).

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول بإذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩٨٢/١٢/٢٥.

هذا هو ماسيا المنتظر، الموعود به منذ بدء الخليقة، «الكلمة الذي كان منذ البدء»، «الذي صار جسداً وحل فينا»، ليبرر الجنس البشري من الخطية الأبوية، ويفي عدل الله حقه، وليوفق بين عدله تعالى ورحمته، الأمر الذي لم يتمكن الآباء والأنبياء القيام به، مهما بلغ بعضهم من البر والقداسة، ومهما قدموا من ذبائح وقرابينٍ «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح»(رو٣: ٢٣و٢٤) وهكذا حصل لنا على البركات الإلهية السامية ورفعنا إلى رتبة البنين فصرنا بالنعمة أولاداً لأبيه السماوي، كما صار هو ابناً للبشر، وهو ابن الله الوحيد، ونسل المرأة الذي ولد منها العذراء مريم بوساطة الروح القدس. فتمت بذلك نبوة إشعيا القائل «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية، ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل»(إش٧: ١٤) الذي تفسيره الله معنا(مت١: ٢٣).

أجل، لقد ظهر الله في القديم لأبينا إبراهيم في شكل ثلاثة رجال، ولأبينا يعقوب في شكل ملاك، وللنبي موسى في العليقة الملتهبة غير المحترقة، وفي عمود من سحاب وعمود من نار، وقد كلم الله الآباء والأنبياء بطرق عديدةٍ(عب١: ١و٢) ولكن «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من إمرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذينَ تحت الناموس لننال التبني» (غل٤: ٤) وهكذا «أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس» (في٢: ٧).

واليوم ونحن نحتفل بعيد ميلاد الفادي لننتقلن بأفكارنا إلى بيت لحم أفراثا حيث ولد ماسيا قبل عشرين قرناً، ولنتأملنّ بما جرى هناك من حوادث عجيبة، فنرى أمامنا العذراء مريم تسير الهوينا وهي تدخل قرية بيت لحم أفراثا قادمة من الناصرة برفقة خطيبها يوسف ليسجلا اسميهما في سجلات المملكة

بحسب أمر قيصر لأنهما كانا من نسل داود وعشيرته، وبذلك يعلماننا الخضوع للسلطة المدنية «لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله»(رو١٣: ١) ونرى العذراء مريم ويوسف البار يقرعان أبواب دور بيت لحم وتوصد الأبواب بوجهيهما، وقد هدّ عناء السفر حيلهما. فيلتجئان إلى مغارة كانت تستعمل كإسطبل للمواشي، هناك ولدت مريم ابنها القدوس وأضجعته في مذود.

يا للعجب! إن الإله خالق الكون ومبدعه ومدبره، ملك الملوك ورب الأرباب الغني الذي يملك السماء والأرض يولد فقيراً في مغارة بسيطة لا في قصر منيف، وفي قرية بيت لحم الآمنة الوادعة، لا في إحدى عواصم الدنيا. ولكنه بولادته رفع مكانة بيت لحم وجعلها محجاً للأمم يقصدها ملوك الأرض ورؤساؤها، ليحنوا الهامات أمام مغارتها ويعفروا الجباه أمام المذود الذي اضطجع فيه الطفل الإلهي.

عجبي كم غني بات في ليلة الميلاد في مدن العالم الكبرى وحتى في بيت لحم البلدة الصغيرة في فراش ناعم دافئ، وهذا الطفل الإلهي الوديع يرقد بهدوء في مذود بسيط في مغارة صغيرة يقاسي آلام البرد وخشونة التبن والقش!؟.

كم طفل يولد في أيامنا هذه في العراء، فقيراً مدقعاً، تضمه أمه إلى صدرها الحنون محاولة منحه الدفء والطمأنينة، وهي بأمس الحاجة إلى ما يسد رمقها من بسيط الغذاء. هذا الطفل هو أخ للطفل يسوع وأمه أخت للعذراء مريم، بغض النظر عن انتمائهما العرقي والقومي والديني، والعناية بهما تعتبر كالعناية بيسوع وأمه مريم، وقرضاً للآب السماوي يفيه يوم الدين، فطوبى لمن يكنز له كنوزاً في السماء... وليت الأغنياء

الميسورين يعيرون آذاناً صاغية إلى بكاء الأطفال المساكين المدقعين، فيرصدون جزءاً من المال ولو يسيراً ينفقونه لسد حاجة هؤلاء الفقراء الذين يعضُّهم الجوع بأنيابه الحادة. أجل، ليت الأغنياء يخصصون شيئاً زهيداً مما ينفقونه بتبذير وترف على إحياء سهراتهم الصاخبة ولياليهم الحمراء في ذكرى الميلاد المقدس، وصاحب الذكرى المسيح براءٌ منهم ومن حفلاتهم، فالمسيح يريدنا أن نحتفل بذكرى ميلاده بإكساء العراة، وإشباع الجياع، وإيواء الغرباء، وإلا فسوف يسمعنا يوم الدين صوته المرعب القائل للذين عن يساره: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدَّة لإبليس وملائكته، لأني جعتُ فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، كنت غريباً فلم تأووني، عرياناً فلم تكسوني، مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني... الحق أقول لكم، بما أنكم لم تفعلوا ذلك بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا»(مت ٢٥: ٤١ ـ ٤٦). طوبى لمن لهم آذان صاغية فيسمعون، ولهم عيون ناظرة فيرون ويعون.

أجل ولد المسيح فقيراً متواضعاً ليعلمنا التجرد والتواضع ومحبة الفقير والمسكين ومتواضعي القلب، وإذا كان أهل الأرض قد تجاهلوه فإن «السموات تحدّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه»(مز ١٩:١) فقد أرسلت السماء ملاكاً يزف بشرى ميلاد المخلص إلى رعاة بسطاء متواضعين آمنوا وأطاعوا وزاروا الملك المولود وسجدوا له، وعادوا وأخبروا بما رأوا وسمعوا. بل استحقوا أن يسمعوا أجمل أنشودة وقّعتها الملائكة على قيثارة الروح ألا وهي «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» (لو ٢: ١٤).

كما أعلنت السماء هذه البشرى السارة لعلماء المشرق

ورؤسائه بظهور نجم غريب الشكل قادهم إلى بيت لحم أفراثا فسجدوا للطفل المولود مقدمين له هداياهم ذهباً ولباناً ومراً، وبذلك أعلن الله الرب يسوع مخلصاً للعالم أجمع فهو لم يأت إلى العالم لأجل شعبٍ خاص، أو أمة واحدة، إنما هو للعالم قاطبةً، وللمسكونة وشعوبها كافةً، هو للرعاة البسطاء والمجوس الأغنياء الحكماء، وهو لا يزال في المذود وفي المغارة لا حاجب يمنع الناس من الدنو منه، ولا حاجز يصد إنساناً عن الاقتراب إليه. قال إشعيا النبي: «يولد لنا ولد ونعطى ابنا» فقد ولد لنا، وأعطي لنا جميعاً وهو يسوع مخلصنا، وعمانوئيل «الله معنا» وهو الآن مستعد أن يتخذ له مذوداً في قلوبنا ليحيا فيها، فهل نحن على استعداد لاستقباله؟ أم أن قلوبنا مكتظة بالآمال والأماني الدنيوية، وبأشياء وأشخاص بعيدين عن المولود، فنرفضه كما رفضه أهل بيت لحم، فلم يكن لوالدته وخطيبها موضع في المنزل، بل لم يكن له أيضاً وهو طفل منزل في الموضع.

إن الملاك لا يزال يبشرنا، أن قد ولد لنا ولد في مدينة داود، فهل آمنا ببشارة الملاك، وأطعنا الرب كالرعاة، وأتينا وسجدنا له؟. والنجم يهدينا إليه فهل اقتدينا بالمجوس وسجدنا للمولود وقدمنا له هدايانا إيمانا متيناً ثخيناً، وأعمالاً صالحة وفضائل سامية؟.

لقد أنشدت الملائكة نشيد المجد والسلام والمسرة، فهل شاركنا جند السماء بتمجيد الله بأفواهنا وقلوبنا وعقولنا. ليرى الناس ذلك ويمجدوا الآب السماوي؟. وهل مجدنا رب السماء الذي دعانا إلى السلام(١كو٧: ١٥) و(عب١٢: ١٤) وقال: «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون»(مت٥: ٩) فهل نحن بسلام مع الله ومع النفس ومع الناس؟!..

لقد بدأ الرب تدبيره الإلهي على الأرض بأنشودة السلام الخالدة، وقبل أن يعود إلى السماء بالجسد الذي أخذه من مريم العذراء، بارك تلاميذه قائلاً لهم: «سلام لكم»(لو ٢٤: ٣٦).

ففي هذا اليوم المقدس نسأله تعالى أن يفعم قلوبكم بسلامه الإلهي. وأن ينشر أمنه وسلامه في أقطار المسكونة، وأن يعيد عيده عليكم باليمن والبركة لتسيروا بنور المسيح نور العالم ورئيس السلام، ونعمته تشملكم دائماً أبداً آمين.

الميلاد المقدس والأسرة المثالية(*)

«فولدت ابنها البكر وقمّطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل»(لو٢: ٧)

بعبارات سهلة الفهم، بسيطة المبنى وسامية المعنى، سجل البشير لوقا في الإنجيل المقدس، وقائع أعظم حدث عرفته البشرية، ألا وهو ميلاد السيد المسيح له المجد.

إنه الحدث الفريد من نوعه، فلم يسبقه مثيل ويستحيل أن يعقبه شبيه أو نظير، ذلك أن الرب يسوع الإله المتجسد، قد ولد من عذراء لم يعرفها رجلٌ، فكان ميلاده، أعجوبة باهرة تنبأ عنه النبي إشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد قائلاً: «ولكن يعطيك السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل»(إش٧: ١٤) فعمانوئيل الذي تفسيره الله معنا، هو معجزة المعجزات في شخصيته القوية الفذة والجامعة المانعة فهو الكشف الإلهي في الإنسان، واتحاد اللاهوت بالناسوت، الأمر الذي يشرحه الرسول بولس بقوله: «وبالإجماع عظيمٌ هو سر التقوى الله ظهر في الجسد»(١تي٣: ٩).

فلا غرو إذا صار ميلاده يوم الختام لما كان قبله من التاريخ، ويوم البدء لعهد جديد، إذ حوّل المولود مجرى التاريخ، وأضحى مصدره، ومركزه، ومحور دائرته. فما مضى من قبل ميلاده بالجسد كان مشيرا إليه، ومنتظرا مجيئه، وما لحق به، أثبت حقيقته واستمد منه قوته. لأن مولود بيت لحم قد

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول بإذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩٨٣/١٢/٢٥.

جلس على عرش العظمة في السماء، وتبوّأ قلوب الملايين على الأرض، أولئك الذين صار لهم الطريق، والحق، والحياة. كما غدت تعاليمه لهم دستوراً وإنجيلاً، وأصبح إنجيله نوراً للعالم وهدى للناس، وعلى ضوء موعظته على الجبل عرف الإنسان الخير من الشر والصلاح من الطلاح.

يقول البشير لوقا: «وفي تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة... فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلي مدينة داود التي تدعى بيت لحمٍ لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبةٍ وهي حبلى. وبينما هما هناك تمَّت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمّطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضعٌ في المنزل»(لو ٢: ١ ـ ٧).

قضى الله منذ القديم بأن يولد المسيح في بيت لحم، وأعلن ذلك على لسان النبي ميخا في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد، كما أوضح أن مولود بيت لحمٍ أزليٌّ، بقوله: «ومخارجه منذ القديم منذ أيّام الأزل» (ميخا ٥: ٢).

وبيت لحمٍ كلمةٌ سريانيةٌ معناها :بيت الخبز وموضعه. وشاء الله تعالى أنٍ يولد فيها المسيح الذي هو خبز الحياة وقد قال عن نفسه «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد»(يو ٦: ٥١).وقد حوَّل الطفل الإلهي مغارة بيت لحم إلى سماء ثانية جاعلاً من المذود عرشاً إلهياً استوى عليه له المجد. وكانت أمّه العذراء مريم الطاهرة النقية وخطيبها البار يوسف النجار يحيطان به فألفوا جميعاً الأسرة المثالية التي كانت وما تزال موضع أمل الآباء والأنبياء

والفلاسفة والمصلحين في كل جيل. فإذ لم يكن لهما موضع في المنزل اعتبرت المغارة البسيطة، بوجود الطفل، المولود، أجمل منزل في الكون وأفضله وأقدسه.

تألّفت الأسرة البشرية الأولى من رجل وامرأة، اعتبرا جسداً واحداً، لما كانا في حالة البر والقداسة. ولكنهما انقسما على ذاتهما بعدما ساورتهما الكبرياء، وهيمنت عليهما الأثرة والأنانية، فتقوضت أركان الأسرة إذ دخلت الشكوك البيت، وخرجت منه المحبة. وابتدأ الرجل والمرأة يلصق أحدهما بالآخر التهم اللاذعة، وهكذا انقسم البيت على ذاته، فلم يقدر ذلك البيت أن يثبت (مر ٣: ٢٥).

وانتقل داء الكبرياء من الآباء إلى الأبناء في أرض الشقاء. بل تطوّر وتقوّى واستفحل، فحسد قايين أخاه هابيل وقتله. وتفككت أوصال الأسرة البشرية. وعبر الدهر والأجيال لم تقم الأسرة وزناً للفضيلة، وتمرّغ أفرادها بالشهوات، وغدا الإنسان بهيمياً إذ داس ناموس الضمير ولم يعمل بوصايا الرب ولم يسمع للآباء الأبرار والأنبياء الصادقين وصمّ أذنيه عن سماع صوت السماء...

ولما جاء ملء الزمان كملت معصية الإنسان، وطفح كيل الآثام وبقدر تراكم الخطايا، كان الأمل يتقوّى. والرجاء يتعزز بقرب خلاص الرب، فقد شاع شعورٌ جارفٌ بل اعتقادٌ متين قوي، إن المخلص العظيم قريبا ينقذ شعبه من أعدائهم، وتكمل فيه نبوات الأنبياء، فلم يلبث الحلم أن تحقق بميلاد المسيح المنتظر، وكان ميلاده ميلاد الأسرة المثالية.

تألفت هذه الأسرة المقدسة من ثلاثة أشخاص هم يسوع المسيح وهو طفل ملفوف، مقمّط، مضجع في مذود، وأمه

العذراء مريم، وخطيبها يوسف النجار. وخيّم على هذه الأسرة جوٌّ من المحبة النقية الصافية، واتصف الزوجان بالتضحية ونكران الذات، والإخلاص المتبادل، واجتمعا حول الطفل الإلهي الذي أحبّاه أكثر من نفسيهما، وصار بذلك مثالاً للأسرة المثالية المباركة التي يجتمع أفرادها حول الرب يسوع فتغمرهم السعادة الروحية الحقيقية. فأسباب السعادة الحقيقية لا تأتي عن طريق المال، والجاه، بل بالطهر والنقاء والعفة والصفاء، الفضائل التي تجعل من أفراد الأسرة قيثارات روحية توقع الترانيم السماوية لتمجيد الله بالإيمان والأعمال الصالحة.

وهكذا تعاون يوسف ومريم على تربية الرب يسوع وتحملا المشقات في سبيل حمايته وهو طفل وإنقاذه من عدوه الألد هيرودس، وكان الرب يسوع يحبُّهما ويكرِّمهما، ويقول الإنجيل المقدس بهذا الصدد: «..وكان خاضعاً لهما، وكانت أمُّه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها، وأما يسوع فكان يتقدّم في الحكمة، والقامة، والنعمة عند الله والناس»(لو ٢: ٥١ ـ ٥٢). وقد أحب يسوع يوسف البار وكرَّمه كأبٍ له، ويقول التقليد الكنسي إن يوسف مات في أحضان يسوع، فصار موت يوسف مثالاً للميتة الصالحة. وقد اعتنى يسوع بأمه وكرمها، ولم ينسها حتى وهو على الصليب يتألم، إذ سلّمها إلى تلميذه الحبيب يوحنا قائلاً: «أيها التلميذ هذه أمك»(يو ١٩: ٢٦ و ٢٧) فصار بذلك مثالاً لنا في إكرام الوالدين الأمر الذي يعتبر مهمّاً جداً لثبات أركان الأسرة الصالحة.

جاء يسوع إلى أرضنا هذه، فأعاد إلى الأسرة كرامتها، وقداستها وبرَّها، المزايا التي فقدتها بالخطية. وقدّس الرب الزواج إذ حضر عرساً في قانا الجليل. وبتعاليمه أكّد على قدسية الرباط الزوجي بين المرأة والرجل، وقد ساوى بينهما بقوله: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم زوجته

ويكون الاثنان جسدا واحدا. إذا، ليسا بعد اثنين بل جسدٌ واحد» (مت ١٩: ٥و٦) والجسد هنا يعني الإنسان بأكمله. وهذه هي الوحدة المثالية للزواج الصالح الناجح والتي يشبّهها الرسول بولس باتحاد المسيح بالكنيسة حين يقول: «أيّها النساء إخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة... أيها الرجال أحبُّوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها...» ـ ويتابع الرسول بولس تعليمه هذا قائلا: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمّه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحداً. هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» (أف ٥: ٢٢ ـ ٣٣).

فالزواجِ الشرعي الذي يقدسه الله بوساطة الكنيسة، يعتبر سراً مقدساً، وهو ثابتٌ لا ينحل إلا بالموت الطبيعي أو الموت الأدبي لأحد الزوجين أو لكليهما.

وقد أعطى الرب الحقوق الكاملة للزوجين، إذ ساوى بين المرأة والرجل. فقبل الميلاد كانت المرأة محتقرة مرذولة مهضومة الحقوق، يظهر ذلك جلياً من تعاليم آباء اليهود القائلة: «إن إلقاء نصوص الناموس في النار أفضل من إيصالها إلى النساء». كما أن اليهودي المتدين يصلي صباح مساء شاكراً ربه لأنه لم يخلقه بهيمة ولا امرأة. أما الوثني فقد اعتبر المرأة سلعة تباع وتشترى. والمرأة لديه أمةٌ لأبيها ثم لزوجها ثم لابنها.

فجاء الرب يسوع ورفع المرأة إلى المكان الذي تستحقه واعتبرها مساويةً للرجل، وعاملها كما عامل الرجل تماماً. وقد تبعته نسوةٌ كثيرات، كنَّ يخدمنه وأخلصن له، ولم تتنكر له واحدةٌ منهن، ووقفن عند صليبه، وكنّ آخر من انصرف عنه وأول من ذهب إلى قبره، وأول من شهد بقيامته. أما جهاد

المرأة المسيحية عبر التاريخ فواضحٌ وضوح الشمس في رائعة النهار. ولا عجب من ذلك فالمرأة شريكة الرجل بالنعمة الإلهية، والامتياز الروحي. ولذلك فالرسول بولس يقول: «ليس في المسيح ذكر ولا أنثى» (غلا ٣: ٢٨).

ويكفي النساء شرفاً أن تكون العذراء مريم واحدةً منهنَّ، وقد استحقت أن تصير أمّاً لله. وأن تسمع قول الوحي الإلهي على لسان اليصابات :«مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك. فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربيّ إلي»(لو ١: ٤٢ و ٤٣).

وقد قدّس الرب يسوع الطفولة، إذ ولد طفلاً، وأحب الأطفال الصغار وأحبوه واقتربوا منه بثقةٍ، وكان يباركهم، ووبّخ مرة تلاميذه توبيخاً صارماً لما ثبطوا عزيمتهم بالدنوّ إليه. ولما أراد أن يلقي على تلاميذه درساً بالتواضع، على أثر نقاشهم فيمن عسى أن يكون عظيماً بينهم، «فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه في وسطهم وقال: الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات. ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخيرٌ له أن يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجّة البحر» (مت ١٨: ١و٦). فبعد أن كان الطفل محتقراً قبل الميلاد، رفع الرب يسوع من مكانته، وجعل له منزلة سامية حتى انه اعتبر الإحسان إلى الطفل إحساناً إلى يسوع نفسه والإساءة إلى الطفل إساءة إلى يسوع نفسه.

وهكذا نرى الرب يعطي كل ذي حق حقه، وفي عظته على الجبل يهتمُّ بإصلاح الفرد لتصلح الجماعة، فيريد أن يكون كل من أتباعه ملحاً للأرض ونوراً للعالم.

ورسالة الميلاد اليوم، هي رسالة إصلاح للأسرة، التي هي نواة المجتمع. ورسالة تمجيد لله، وسلامٍ على الأرض، ومسرة للناس. وباهتمامنا بتهذيب الأطفال وتربيتهم التربية الصالحة وتنشئتهم على جداول مياه التعاليم السماوية، والشرائع الإلهية هذا الاهتمام هو تمجيد لاسم الرب القدوس، لأننا بذلك نكون قد هيأنا من الأطفال جيلاً يعبد الله بالروح والحق ويمجده تعالى بالأعمال قبل الأقوال. ونكون قد لبينا نداء الرب يسوع، وقدّمنا إليه الأولاد فهو ما يزال ينادينا قائلاً : «دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله»(مر ١٠: ١٤)

وما لا يختلف فيه اثنان، أن الأسرة هي المدرسة التي يتخرج فيها قادة العالم السياسيون والاجتماعيون والروحيون، فإذا نشأ هؤلاء نشأة صالحة صلح العالم بهم، وساده السلام، وإلاّ فسيعم الخصام، وتكثر الحروب، وتتفاقم النزاعات، وتتسابق الشعوب إلى التسلح، وتتهيأ لتدمير العالم، وإبادة الأرض ومن عليها. فإيجاد الأسرة الصالحة إذن ضروريٌّ لإصلاح المجتمع.

والمحبة العائلية هي أساس الأسرة الصالحة، ذلك أن الفرد الذي لا يحب أفراد أسرته لا يحب وطنه ولا المواطنين، فالمحبة داخل البيت ضرورية لتوفير المحبة خارجه، وكيف يحب الإنسان الناس الغرباء ما لم يختبر المحبة المتبادلة بين أفراد أسرته وفي أرجاء بيته؟!

لقد فسدت الأسرة وتفسَّخ المجتمع قبل الميلاد. وجاء السيد المسيح فأعطى بميلاده مثالا للأسرة الصالحة. وعلينا اليوم أن نسأل أنفسنا: أين هي الأسرة الصالحة؟! ما مدى اهتمام الآباء والأمهات بالأمور الروحية؟ هل يسعون إلى تربية أولادهم وتهذيبهم لينموا كيسوع في الحكمة والقامة والنعمة لدى الله والناس؟ أم قد اقتصروا على الاهتمام بأمور الجسد فقط؟ هل

يسعى الآباء والأمهات إلى توجيه أولادهم توجيها صحيحا بالمثال والأعمال قبل الأقوال!؟ ليؤمنوا بالله ويتكلوا عليه تعالى ويخشوه؟ أم أنهم منهمكون في جمع المال والتمرّغ بالشهوات وقد تركوا أولادهم للشارع الفاسد، ولرفقة السوء فتنتقل إليهم عدوى الخطية والعادات الرديئة ويقول الرسول بولس بهذا الصدد: «لا تضلوا فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة»(اكو ١٥: ٣٣).

إنه ليومٌ مقبولٌ عيد ميلاد الفادي يسوع بالجسد، وإنها لساعة خلاصٍ، فلنستيقظ من النوم ولنتقدم إلى الطفل المولود، الذي لم يكن له موضعٌ في المنزل، لنرى هل له موضعٌ في منازلنا؟! إنها لفرصةٌ سانحة أن نهيّئ هذه المنازل لتكون سكنا له. بل أن نعدَّ قلوبنا ونفوسنا ليملك عليها.

لقد جاء السيد المسيح لخلاص العالم، ولم يقبله اليهود، إذ لم يطيعوا الأنبياء الذين أعلنوا موعد مجيئه، ومكان ميلاده. ولم يعرف اليهود زمن افتقادهم، فخسروا بذلك خلاص نفوسهم. أما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو ١: ١٢).

إن الرب يسوع آتٍ ثانية إلى العالم بمجد أبيه مع ملائكته القديسين ليدين الأحياء والأموات، وقد أعلن ذلك بنفسه. وأمرنا أن نصحو ونسهر، وننتظر مجيئه الثاني. إنه آتٍ لا ليسجل اسمه في سجلاتنا البشرية، بل ليسجل أسماءنا في سجلات ملكوته السماوي. فهل نحن من أبناء الملكوت؟! وهل نحن مستعدون لاستقباله؟ هل نحن مشتاقون إليه؟ إذن لنطلب إليه مع الرائي يوحنا قائلين «آمين تعال أيها الرب يسوع» أعاد الله عيده عليكم باليمن والبركة وكل عام وأنتم بخير.

ميلاد الرب يسوع المسيح (*)

«فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين أبناً وتسمينه يسوع» (لو ١: ٣٠ ـ ٣١).

ينسلم رئيس الملائكة جبرائيل، أسمى رسالة تسلمها من عرش الله تعالى، وينحدر إلى الأرض، ليدخل بيتا بسيطا في مدينة الناصرة، وليقف بإجلال واحترام، أمام فتاة فقيرة، هي العذراء مريم، المخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. فيحييها جبرائيل تحيته الملائكية، ويبلغها الرسالة السماوية المقدسة قائلا : «سلام لك أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة أنت في النساء... لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع» (لو ١: ٢٨) .

ويصف الملاك جبرائيل العذراء مريم بالممتلئة نعمة، وهي الصفة الفريدة التي لم تطلق على غيرها من بني البشر، ذلك أن الله تعالى قد اصطفاها على بنات جنسها كافة، لتكون أمّا لابنه الوحيد. وأنعم عليها فامتلأت نعمة، ورضخت مريم للأمر الإلهي فقالت للملاك «هوذا أنا أمة الرب، ليكن لي كقولك» (لو ١: ٣٨). ففي الحال حلّ عليها الروح القدس، وطهّرها، وقدّسها، فاستحقت أن يحلّ فيها نار اللاهوت، فتحبل لا من زرع رجلٍ، بل من الروح القدس، وتلد بعد تسعة أشهر ابناً

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر إذاعة دمشق في كاتدرائية مار جرجس في دمشق في ٢٥/ ١٢/ ١٩٨٤ .

عجيباً هو ابن الله الوحيد، فسمت مريم بذلك على سماء السموات، لأنها حملت في بطنها الإله الحي الذي لا تحده حدود، وولدته وهي بتول طاهرة، وقد أنعم عليها مولودها القدوس بأن حافظ على بتوليتها قبل الولادة وفي الولادة وبعدها، كعلامة واضحة وبرهان ساطع ناصع، على ولادته العجيبة الفريدة، فهو الإله ولئن رأيناه إنساناً، الأمر الذي يعبّر عنه الرسول بولس بقوله: «وبالإجماع، عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد»(١تي ٣: ١٦). كما يصفه يوحنا الإنجيلي بقوله: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً»(يو ١: ١ و ١٤). وقد دعي الإله المتجسد بالكلمة، لأن الله كلمنا به، بعدما كلم الآباء والأنبياء قديماً بطرق كثيرة (عب ١: ١). ويسوع المسيح كلمة الله، أعلن لنا أفكار الله ومشيئته (يو ١: ١٨) كما تعلن كلمة الإنسان أفكار الإنسان وإرادته.

وشاءت السماء أن تطلق على الإله المتجسد اسماً جليلاً كريماً مقدساً هو أفضل الأسماء التي تدعى بها الذات الإلهية، اسماً يدل على الغاية من تجسده الإلهي، ويوضح طبيعة رسالته السامية، رسالة الفداء والخلاص، هو اسم يسوع. فقال الملاك جبرائيل للعذراء مريم «وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع» كما أعلنه الملاك ليوسف خطيب العذراء مريم لما ظهر له في حلم ليطمئنه عن طهر مريم وقداستها، ويكشف له سرَّ حبلها الإلهي قائلاً له: «يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من

خطاياهم»(مت ١: ٢٠ و ٢١) ويقول لوقا البشير: «ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن»(لو ٢: ١٢).

أجل، إن لاسم الشخص أهمية كبرى في الكتاب المقدس، فكثيراً ما دلّ الإسم دلالة واضحة على الرسالة التي يحملها المسمى، ففي النظام القديم، أطلق الله تعالى على أبرام اسم (ابروهام) أي ابراهيم الذي يعني «أبا جمهور»(تك ١٧: ٥) إذ قطع الله معه عهداً أن يجعله أبا لجمهور من الأمم، وتتبارك في نسله جميع الشعوب. ويدعو الرسول بولس ابراهيم «أبا لمؤمنين»(رو ٤: ١١) وما نسل إبراهيم إلا المسيح يسوع الذي فيه صارت بركة للأمم كافة (غل ٣: ٨ و ١٤).

وفي اسم الرب يسوع تكمن قوة إلهية هائلة، فباسمه وباسم أبيه وروحه القدوس ينال المعتمد نعمة التبرير والتقديس والتبني. ففي يوم الخمسين لما نخس اليهود في قلوبهم على أثر موعظة الرسول بطرس، وقالوا له ولسائر الرسل: ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة، فقال لهم بطرس «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس»(أع ٢: ٣٧ ـ ٣٨).

وباسم يسوع تجترح المعجزات الباهرات، فقد حدث مرة، عند باب الهيكل الذي يقال له الجميل أن سأل رجل أعرج صدقة من الرسولين بطرس ويوحنا، فقال له بطرس، «ليس لي فضة ولا ذهب، لكن الذي لي فإياه أعطيك، باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش. ففي الحال تشددت رجلاه وكعباه، فوثب ووقف وصار يمشي ودخل معهما إلى الهيكل وهو يمشي ويطفر ويسبح الله»(أع ٣:١ ـ ١٠).

واسم يسوع يعني «الرب المخلّص» ويقول الرسول بطرس: «ليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص»(أع ٤: ١٢) ويقول الرسول بولس: «لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء، ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب»(في ٢: ٩ ـ ١١).

كان اليهود قبل مجيء الرب يسوع إلى العالم يطلقون على العديد من أولادهم، اسم يشوع أي يسوع الذي يعني «الرب مخلّص» ذلك أنهم كانوا ينتظرون إتمام النبوات والمواعيد بمجيء المخلص. ولكن عندما جاء الرب يسوع إلى العالم ليخلص العالم، وطلب إليهم هيرودس الملك أن يخبروه عن مكان ميلاد المسيح بناء على سؤال المجوس الذين جاؤوا من المشرق يسألون قائلين أين هو المولود ملك اليهود، فأوضح له الكهنة وكتبة الشعب أن المسيح يولد في بيت لحم، لأنه هكذا تنبأ النبي ميخا قائلاً: «أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (ميخا ٥: ٢). لقد قرأ اليهود نبوات أنبيائهم وحافظوا عليها ولكنهم لم يعرفوا زمن افتقادهم، لذلك لم يكلفوا أنفسهم عناء التفتيش عن موضع ميلاد المسيح المنتظر. ولما ظهر للعالم بعد ذلك التاريخ، بثلاثين عاماً، أبغضوه مجاناً، وعلقوه على الخشبة لقساوة قلوبهم وغلاظة رقابهم، وأبطلوا تسمية أولادهم باسمه المبارك يسوع.

أما المسيحيون فإجلالاً للرب يسوع ولاسمه المقدس، لا يطلقون على أولادهم هذا الاسم الإلهي مجرداً بل يسبقونه بكلمة

(عبدٍ) فيدعون (عبد يشوع) و(عبد المسيح) وقد أخذ العرب من باب التكريمِ الحروف التي يتألف منها اسم يسوع وصاغوا منها اسماً جميلاً كريما أيضا هو اسم (عيسى) أطلقوه على أولادهم.

ولقّب ربنا يسوع بألقاب عديدة أشهرها لقب (المسيح) الذي أضيف إلى اسمه القدوس فدعي في أماكن عديدة من أسفار العهد الجديد بيسوع المسيح أو المسيح يسوع. وقد أطلق لقب المسيح على الملوك والكهنة والأنبياء في النظام القديم (مز١٣٢: ١٠ و١صم٢٤: ٦) لأنهم مُسحوا بالزيت (١صم١٠: ١) علامة لتكريسهم لخدمة الله تعالى. أما الرب يسوع المسيح فهو وحده قد مسح بالروح القدس (لو٤: ١٨ وأع٤: ٢٧) بصورة فريدة، وأطلق عليه لقب المسيح وفي الأصل الآرامي السرياني (ماشيحا) ومشيحو أي الممسوح، ذلك الذي انتظرته الأجيال والشعوب ليهب العالم خلاصاً، ويرى آباء الكنيسة أن المجوس الرؤساء والحكماء الذين جاؤوا من الشرق وسجدوا للطفل يسوع، قد اعترفوا به مسيحاً مسح كاهناً وملكا ونبيا، وذلك بتقديمهم له الذهب واللبان والمر، الهدايا التي تقدم للملوك والكهنة والأنبياء، كما تنبأوا عن موته الكفاري.

وأعلن الرب يسوع نفسه أنه المسيح المنتظر (لو٤: ١٦-٢١ وإش٦١: ١) وبهذه الصفة عرفه تلاميذه وأتباعه واعترفوا به. فإن أندراوس مثلاً بعدما تبعه بناء على شهادة يوحنا المعمدان، بشّر أخاه سمعان بطرس بقوله: «قد وجدنا ماشيحا الذي تفسيره المسيح»(يو١: ٤١و٤٢). ولما سأل الرب يسوع تلاميذه عما يقوله الناس عنه، وعما يقوله التلاميذ أيضا عنه، أجاب سمعان بطرس وقال: «أنت هو المسيح ابن الله الحي»(مت١٦: ١٦) وهكذا صار لقب المسيح اسماً جليلا يطلق

على الرب يسوع، دالاً على ألوهيته وناسوتيته معاً، ولا يشاركه فيه أحد من البشر.

أجل، أن من نعم الله علينا كمسيحيين أن ننسب إلى ربنا يسوع المسيح. «فقد مسحنا الله وختمنا وأعطانا عربون الروح في قلوبنا»(٢كو١: ٢١و٢٢) على حد قول الرسول بولس: «وليس هذا فقط بل قد أعطانا سلطاناً أن نصير أولاداً لله، أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله»(يو١: ١٢و١٣).

إننا ندعى مسيحيين، فهل افتكرنا ماذا يعني هذا الاسم المقدس!؟

يقول البشير لوقا في سفر أعمال الرسل: «دعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً»(أع١١: ٢٦) وكانت أنطاكية عصرئذ عاصمة سوريا القديمة، وكان أجدادنا الأنطاكيون قد قبلوا المسيح يسوع رباً ومخلصاً، بل كان اسمه القدوس يقدس شفاههم، وهم يبتهلون إليه ليل نهار، ويلهجون بتعاليمه الإلهية، ويحدثون الغريب والقريب عن معجزاته. وكان الرب يسوع المسيح معهم إتماماً لوعده الإلهي القائل: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم»(مت١٨: ٢٠) وليس هذا فقط بل بمعاشرتهم إياه اقتبسوا منه العديد من فضائله الإلهية السامية. فكان مثالهم في الحياة، وكانت تفوح منهم رائحته الذكية. فرأى فيهم الوثنيون مسحاء صغاراً فدعوهم مسيحيين هزءاً وسخرية. ولكن هذا اللقب تفوق على كل الألقاب، وسمت هذه التسمية على كل التسميات، وافتخر أتباع المسيح بذلك، فيقول الرسول بطرس بهذا الصدد: «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم أما

من جهتهم فيجدَّف عليه وأما من جهتكم فيمجّد. فلا يتألم أحدكم كقاتل، أو سارق، أو فاعل شر، أو متداخل في أمور غيره. ولكن إن كان كمسيحي فلا يخجل بل يمجّد الله من هذا القبيل»(١بط٤: ١٤_١٦) وما أجمل ما كتبه القديس إغناطيوس النوراني (حامل الإله) بطريرك أنطاكية الثالث(١٠٧م) قائلاً: «صلاتي إلى الله، لا أن أدعى مسيحياً فحسب، بل أن أكون بالفعل مسيحياً».

هكذا كان آباؤنا أهل أنطاكية الذين لم يسمّوا مسيحيين فقط بل كانوا مسيحيين اسما وفعلاً، قولاً وعملاً. وقد اقتدوا بالمسيح يسوع ربنا بالصدق والاستقامة، والمحبة والرحمة، والتضحية ونكران الذات، فصاروا مسحاء صغاراً أدهشوا العالم بسيرتهم الفاضلة، وسريرتهم النقية، وكانوا أول من جمع صدقات، على أثر الجوع الذي حدث وقتئذ، وأرسلوها إلى القدس بيد برنابا وشاول، لسد عوز الإخوة. ونحن أنطاكيون، لأن كرسينا الرسولي أسسه الرسول بطرس في أنطاكية، فأين نحن الآن من متطلبات التسمية المسيحية المجيدة ومبادئها؟ إذا ما عقدنا المقارنة بين ما كان عليه آباؤنا الأنطاكيون وبين ما نحن عليه الآن تبرز أمامنا حتماً الحقيقة المريرة وهي أن البون قد اتسع بين مسيحنا ومسيحيتنا. فنحن اليوم ننعم في بحبوحةٍ من العيش الرغيد، والعديد منا لا يفتكر بالفقير واليتيم والأرملة. بل يتجاهل ما يحدث من جوع مرير في أماكن عديدة من العالم حيث يموت آلاف الأطفال جوعاً، وكل منهم يمثل الطفل يسوع، الذي ولد فقيراً، ليعين الفقراء والبؤساء والمحتاجين.

أجل، إن المجاعة تكشر عن نابها لملايين البشر في كل عام وتجتاح البلدان الفقيرة، والأقطار المتخلفة التي كانت عبارة عن

مستعمرات للأجانب الذين نهبوا ثرواتها المادية، وسخروا طاقاتها البشرية لمصلحتهم الخاصة على مدار سنين كثيرة. وتشتدد عليها الآن وطأة الجوع نتيجة الجفاف وعدم كفاية الواردات، ونسمع كل يوم بموت آلاف الأطفال والشيوخ لانعدام التغذية.

وفي هذا الوقت بالذات والإنسانية تتعذّب وتتحمل مأساة المجاعة القاسية نجد الرأسمالية الكبرى تنفق على إنتاج الأسلحة الفتاكة وأدوات الدمار، الملايين بل المليارات من الدولارات. ونجدها كذلك تقوم بإتلاف كميات هائلة من المواد الغذائية بحجة المحافظة على الأسعار، وصيانة دخل المنتجين في بلادها من الانهيار، وتحول دون إرسال هذه الكميات الفائضة من المواد الغذائية إلى البلدان التي يموت أهلها جوعاً، غير آبهة بموت هذه الشعوب، في سبيل المحافظة على مصالحها الاحتكارية الدنيئة.

ففي ذكرى ميلاد الطفل الإلهي القدوس، نناشد الضمير العالمي لإنقاذ الإنسانية من الجوع والفقر والدمار. أما نحن فلنقتدِ بآبائنا الميامين، ونمد يد العون للمعوزين، كي نستحق أن ندعى مسيحيين.

أعاد الله أعياده المقدسة عليكم جميعاً، باليمن والبركة، ووطد أمنه وسلامه في أقطار المسكونة، وخفف عن الناس ويلات الحروب والمجاعات بنعمته تعالى آمين.

المجوس يجدون الملك المولود ويسجدون له(*)

«ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك، إذا مجوسٌ من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين أين هو الملك المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له»(مت٢: ١و٢).

صرخة البشرية للخلاص استجابتها السماء بميلاد الفادي قبل عشرين قرناً. فقد كانت البشرية قبل ذلك، جيلاً بعد جيل، تحنّ بكل جوارحها إلى رؤية مشتهى الأمم، المخلص الموعود به منذ ابتداء الخليقة، ليقيل عثرتها، وينتشلها من وهدة الخطية، ويبررها ويقدسها، ويعيدها إلى حظيرة الآب السماوي.

«فلما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأةٍ، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني»(غل٤: ٤). ففي الزمان المعيّن من الله، وفي الطريقة العجيبة التي اختارها تعالى أن يولد ابنه الوحيد من الروح القدس ومن العذراء مريم، وُلِدَ الإله المتجسد. ويصف الرسول بولس هذا السر العجيب بقوله: «وبالإجماع عظيمٌ هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد»(١تي٣: ١٦). ويسرد الإنجيلي متى سلسلة نسبه في الجسد مبتدئاً بشارته بقوله: «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم»(مت١: ١). فقد اختار الله

(*) . الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق في ١٩٨٥/١٢/٢٥.

إبراهيم وداود وبعض الآباء ليكون المسيح من نسلهم في الجسد. ووعدهم الرب الإله أن يتبارك بنسلهم جميع الشعوب (تك٢٢: ١٨ و٢٦: ٤ و٢٨: ١٤). ويقول الرسول بولس بهذا الصدد: «وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله، لا يقول في الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح»(غل٣: ١٦). وشاءت العناية الربانية أن يحتفظ شعب العهد القديم بهذه المواعيد الإلهية، والنبوات الصادقة والرموز والإشارات التي تمت بحذافيرها في المسيح يسوع ربنا. ويقول الرسول بولس عن هذا الشعب: «ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين»(رو٩: ٤و٥).

واشتركت الأمم الوثنية أيضا في سلسلة نسب المسيح بالجسد عن طريق راحاب الخاطئة، وراعوث الموآبية، ضمن سلسلة نسب النبي داود، وبالتالي صارتا ضمن سلسلة نسب السيد المسيح، وهذه إشارة إلى قبول الأمم في ملكوت الله، وخلاص الرب يسوع للعالم أجمع. «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم»(يو٣: ١٦و١٧) فرسالة المسيح الخلاصية هي عامة شاملة لا لشعب واحد ولا لعنصر واحد ولا لجيل واحد بل هي للعالم أجمع ولكل الأزمنة للماضي والحاضر والمستقبل. فلا غرو إذن، إذا هيّأت العناية الربانية أن يأتي المجوس من المشرق إلى فلسطين ليسألوا عن المولود الذي دعي ملك اليهود لأنه ملك الملوك ورب الأرباب.

رأينا المجوس في بابل على عهد النبي دانيال، قبل مجيء السيد المسيح بنحو خمسة قرون، رأيناهم رجالا حكماء علماء يراقبون الكواكب السابحة في القبة الزرقاء، ويدرسون حركاتها، ويسجلون ذلك بحساب دقيق معتقدين أن للكواكب مساساً بحياة البشر. وكان الملوك يستشيرونهم في الأمور المهمة، لذلك تبوّؤوا مراكز مرموقة في مجتمعهم، واعتبروا من الأمراء والعظماء والأغنياء، وكانوا يدينون بالديانة الزرادشتية.

وكان المجوس الثلاثة الذين جاءوا إلى فلسطين للسجود للرب يسوع وتقديم الهدايا له من نسل النبي الأممي بلعام بن بعور الذي كان من بلاد ما بين النهرين موطن إبراهيم خليل الله. وعاصر بلعام النبي موسى، وذاع صيته كثيراً بين الشعوب الوثنية فكان زعماؤها يقصدونه ليباركهم ويتنبأ لهم عن أمور تتعلق بحياتهم الخاصة والعامة ومستقبل بلدانهم في السلم والحرب. وكان بلعام، على الأغلب، موحداً يعبد الله الواحد الأحد سبحانه وتعالى (عد٢٤: ١٦) ولكنه لم يكن في تعداد شعب موسى لذلك اعتبِر نبياً أممياً.

وكان بلعام بن بعور قد تنبأ عن مجيء السيد المسيح إلى العالم، لخلاص العالم بقوله: «أراه ولكن ليس الآن، وأبصِره ولكنه ليس قريباً يبرز كوكب من يعقوب... »(عد٢٤: ١٧ـ١٩) وكان من جملة تعاليم بلعام لتلاميذه أنّ نجماً يظهر في السماء يختلف عن سائر الكواكب التي يرصدونها، وأنّ ظهور هذا النجم يدل على ولادة ملك عظيم يسمو على سائر ملوك الأرض. وأوصى بلعام تلاميذه قائلاً: متى ظهر هذا النجم العجيب فاتبعوه، آخذين معكم له هدايا ذهباً، ولباناً، ومراً.

ومرت الأجيال والدهور، وتعاليم بلعام يتسلمها الأبناء من الآباء حتى ميلاد الفادي، حيث كان ثلاثة من المجوس يرصدون الكواكب في بلاد ما بين النهرين فرأوا نجماً غريباً ظهر في السماء وكأنه على سفر، فعرفوا فيه النجم الذي تنبأ عنه جدهم بلعام بن بعور، فشدوا الرحال حالاً وتبعوه وهم لا يعلمون إلى أين يقودهم تماما كما خرج إبراهيم من أرض آبائه بالإيمان إطاعةً لأمر الله تعالى، وهو لا يعلم إلى أين يأتي(عب١١: ٨) وقد رافق المجوس الثلاثة ألف رجل يحملون مؤونة وأسلحة.

يقول آباء كنيستنا السريانية وفي مقدمتهم مار أفرام (ت٣٧٣) ومار يعقوب السروجي (ت٥٢١): لم يكن النجم الذي ظهر للمجوس كسائر الكواكب السابحة في القبة الزرقاء، إنما كان كائناً روحانياً ظهر ككتلة من نور باهر وفي وسطه صورة امرأةٍ تحتضن صبياً. وسار هذا النجم أمام المجوس الثلاثة حالما غادروا بلادهم في ما بين النهرين كما كان عمود النور يسير في البرية أمام شعب موسى... وعندما وصلوا إلى القدس اختفى النجم عنهم، فظنوا أن رحلتهم قد انتهت وانهم لا محالة من أن يجدوا الطفل المولود في المدينة المقدسة التي طالما سمعوا عنها. فسألوا الناس قائلين : «أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له». وذاع خبر مجيئهم في المدينة كلها وبلغ أذني الملك هيرودس الكبير الأدومي الجنس الذي اغتصب الملك وبطش بكل من ظنه منافساً له، فاضطربت المدينة خوفاً وفزعاً منه من بطش هذا الطاغية الذي كاد قلبه يتفجر غيظاً ونار الغيرة والحقد تلتهب فيه.

يقول الإنجيل المقدس إن هيرودس استدعى رؤساء الكهنة اليهود وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح؟ فقالوا له في بيت

لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبي «وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لان منك يخرج مدبرٌ يرعى شعبي...»(مت ٢: ٥ و ٦) ولم يكملوا له الجزء الثاني من الآية القائل :«ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (ميخا ٥: ٢) الأمر الذي يعلنه الوحي الإلهي على لسان النبي ميخا لإثبات حقيقة أزلية المسيح الملك المولود في بيت لحم أفراته.

وصمم هيرودس أن يهلك نفس الصبي فاستدعى المجوس سراً وسألهم عن زمان ظهور النجم ثم أرسلهم إلى بيت لحم قائلا :«اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أيضا واسجد له»(مت ٢: ٨) وكان هذا مكراً منه وخديعة، فقد تأبط شرا، وبيّت للمولود سوءا، ونوى الإيقاع به، ووأده في مهده. ولكن الآب السماوي صان حياة الطفل القدوس. أما المجوس فحالما غادروا المدينة، «إذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي، فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا[٢٣]، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه فخرّوا وسجدوا له[٢٤]. ثم فتحوا **كنوزهم وقدموا له هداياهم ذهباً، ولباناً، ومرّا**(مت٢: ١٠ و ١١) الهدايا التي كانت ترفع عادة في هياكل عبادتهم قرابين شكر للإله العظيم، **فقد قدموا له الذهب الذي يقدم أيضاً للملوك لأنهم** رأوا فيه ملكا للعالم. ومملكة المسيح

(٢٣) - قد يكون رأي بعض المعاصرين صائبا بقولهم ان الكوكب الذي يدعى اليوم بمذنب هالي، قد ظهر زمن ولادة السيد المسيح، ولكن هذا لا يعني أن مذنب هالي هو نفس النجم المذكور في الإنجيل المقدس وتعاليم الاباء تدل على أن النجم الذي ظهر للمجوس كان كائناً روحيا، أرشد المجوس إلى الرب يسوع حتى انه وقف فوق البيت الذي كان الرب حالاً فيه. ولا يمكن أن يميّز مذنب هالي بيتا صغيراً من سائر بيوت بيت لحم.

(٢٤) - كان الرب يسوع قد ولد في مغارة بيت لحم افراتة. واختتن هناك في اليوم الثامن. ثم اصعد إلى الهيكل بعد أربعين يوما، وحمله الشيخ شمعون، ثم مضى به يوسف والعذراء مريم إلى الناصرة وفي نهاية السنتين جاء المجوس ووجدوا الصبي وأمه في أحد بيوت بيت لحم أثناء زيارة ليسوع وأمه وخطيبها لبلدة بيت لحم ولم المجوس الطفل المضجع في المذود.

روحية. وهي تضم كل من يؤمن به إيماناً مستقيماً، لذلك لما بشر الملاك جبرائيل العذراء مريم بالحبل به قال لها: «هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهايةٌ» (لو ١: ٣٢ و ٣٣) وفي ابتداء تدبيره الإلهي في الجسد سمعناه يقول للناس: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»(مر ١: ١٥) وقال لبيلاطس الحاكم: «مملكتي ليست من هذا العالم»(يو ١٨: ٣٦). كان اليهود ينتظرون بفارغ الصبر مجيء ماشيحا المخلص الموعود به منذ ابتداء الزمن. ولكن معلمي الشريعة، وكتبة الشعب ضللوهم، ورسموا في عقولهم صورة مادية لرسالة هذا المخلص، معتبرين إياه منقذاً دنيويا صرفاً، يخلصهم من مصائب هذا الدهر، وينقذهم من ظلم الرومان واستعبادهم. إن هذا المفهوم المغلوط في صفات مملكة المسيح السماوية، أفقد اليهود نعمة الخلاص، فصاروا غرباء عن ملكوته. وتجاسر بعضهم ليقولوا: «ليس لنا ملك إلاّ قيصر» (يو ١٩: ١٥) فتم فيهم القول: «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه»(يو ١: ١١ و ١٢) إن المؤمنين باسمه، يقدمون له قلوبهم النقية الطاهرة، كالذهب المصفّى بنار التوبة، والمحبة الإلهية، عربون خضوعهم له، وطاعتهم لوصاياه المقدسة، واعترافاً منهم بملكه الأبدي الذي لا يتزعزع، وأبواب الجحيم لن تقوى عليه. فان دول العالم تدول، وممالكه تتداعى إلى السقوط وتزول، أما ملكوت السماء فثابتٌ إلى الأبد.

وقدّم المجوس للصبي يسوع لباناً، لأنهم رأوا فيه إلهاً عظيماً يستحق أن يحرق أمامه بخور الحمد والشكران اعترافاً بألوهته،

فهو الإله المتجسد، الكلمة الذي هو منذ البدء «والكلمة صار جسداً وحل فينا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الأب مملوءاً نعمة وحقاً»(يو ١: ١ و ١٤) فالمؤمنون به يرفعون إليه صلواتهم الحارة، بخوراً طيب الرائحة، ذكياً، تحملها الملائكة إلى السماء، وتقدمها أمام عرشه السامي مع صلوات القديسين جميعهم (رؤ ٨: ٣).

وقدم له المجوس مراً، لأن السماء كشفت لهم سراً عظيماً عن عمله الكفاري، وما يتحمله من آلام في سبيل فداء البشرية، وقد دعي اسمه يسوع كما دعاه الملاك جبرائيل وهو يبشر العذراء مريم بالحبل به، ومعنى يسوع المخلص، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.

ففي ميلاده في مذود، حيث تولد الخراف، يكمن سر الفداء العجيب. فالمسيح يسوع هو حمل الله الرافع خطايا العالم، كما دعاه يوحنا المعمدان، الحمل الذي قدم نفسه فدية عن البشرية، لذلك فالميلاد هو أول الطريق المؤدية إلى الصليب والموت والقيامة، الطريق الموصلة إلى ملكوت الله.

والمؤمنون باسمه القدوس، يولدون من فوق، من السماء ميلاداً ثانياً، لا من مشيئة رجل، بل من الله. ليصيروا أولاد الله بالنعمة. ويحملون صليب الرب يسوع وهم يتبعونه في طريق الآلام صالبين ذواتهم معه على الخشبة فتموت فيهم الأنانية بنكران الذات والتضحية، وهكذا يقدمون له مع المجوس مراً ممزوجاً بتنهدات القلوب النقية، متحملين الضيقات من أجل اسمه القدوس بفرح وابتهاج.

فإذا كنا، أيها الأحباء، نرغب في أن نحتفل بعيد ميلاد الفادي كما يريدنا المسيح ربنا أن نحتفل به، علينا أن نسترشد بنور إنجيله بإيمان متين، ورجاء وطيد، كما استرشد المجوس

بضياء النجم المنير. سالكين في الطريق التي نهجها لنا الرب يسوع مولود بيت لحم القدوس، الذي هو الطريق والحق والحياة (يو ١٤: ٦) عائشين كما يحق لإنجيله المقدس(في ١: ٢٧) جاثين أمامه راكعين، مع المجوس الحكماء، مقدمين له هدايانا المتواضعة، عربون محبتنا وخضوعنا له.

في سبيل الوصول إليه، لا نبالي بما يصادفنا في الطريق من المصاعب والمتاعب والمشقات والضيقات ف «ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه»(متى ٧: ١٤) على حد قول الرب يسوع.

وأمام مذوده المقدس، لننس مراكزنا الدنيوية المرموقة السامقة، وكل أمجاد العالم، وغناه، وهناءه، وسعادته، إن وُجِدت، ولنتلاش قدامه جاثين ساجدين خاشعين «لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب»(في ٢: ١٠ و ١١). بذلك نستحق في انتهاء مسيرتنا في هذه الحياة أن نعود إلى وطننا السماوي كما رجع المجوس إلى بلادهم من طريق أخرى (متى ٢: ١٢)، لا طريق هيرودس المعوجَّة، بل طريق الإنسان الجديد الذي رأى الرب يسوع مولود بيت لحم القدوس، بعين الإيمانِ والرجاء والمحبة، وعرفه معرفة جيدة، وقدّم له قلبه عرشاً يتربع عليه إذ قبله ملكاً، وإلهاً، ومخلصاً عظيماً.

أعاد الرب الإله هذا العيد المقدس عليكم جميعاً باليمن والبركة والنعمة معكم آمين.

المسيح قد جاء مولوداً من عذراء(*)

قال الرسول بولس: «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امراة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني». (غل ٤: ٤و٥)

تمتلئ قلوبنا بهجة وسروراً، في عيد ميلاد الرب يسوع، ونحن نتأمل بالروح أعظم حدث وقع في تاريخ البشرية، ألا وهو التجسد الإلهي العجيب، الذي لا تقوى عقولنا على أن تدرك كنهه، ولكننا نؤمن به، ونسلّم بصحته، مثلما نؤمن بكل ما توحيه إلينا السماء من الحقائق الإلهية التي يفوق بعضها إدراكنا. ولا غرو فقد عرّف الكتاب المقدس الإيمان بقوله: «وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى»(عب ١١: ١). فنحن نؤمن بكل ما أوحاه الله تعالى إلى أنبيائه ورسله من عقائد إلهية، دوّنوها في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، من ذلك تكوين العالم، وخلقة الإنسان، وسقوطه في المعصية، وإنقاذه من براثن إبليس، وذلك بإرساله تعالى ابنه الوحيد إلى العالم متجسداً من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصار إنساناً وافتدانا بدمه الكريم، وغفر لنا خطايانا وبرّرنا وقدّسنا، وأعادنا إلى رتبة البنين التي فقدناها بالخطية، هذا الفداء العظيم حدث في الزمن الذي حدده الله قبل حدوثه بأجيال عديدة، وبهذا الصدد يقول الرسول بولس: «ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني» (غل ٤: ٤و٥).

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر اذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق في ٢٥/ ١٢/ ١٩٨٧ .

يذكرنا هذا السر العجيب، أيها الأحباء بحادثة تجلّي الله تعالى للنبي موسى في عليقةٍ كانت تتوقد بالنار دون أن تحترق، وإذ تقدم موسى منها، ناداه الله من العليقة قائلاً له: «لا تقترب إلى ههنا، اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة، أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب.. أنا هو الكائن» (خر٣: ٥و٦و١٤).

لم تكن تلك العليقة سوى رمزٍ للعذراء مريم، فكما كانت النار تتوقد في العليقة دون أن تحرقها، وكلّم الله موسى من العليقة، كذلك حلّ نار اللاهوت في أحشاء العذراء مريم، ولم تهلك مريم ولئن كانت إنساناً محضاً. إذ أنعم الله عليها فحلّ عليها الروح القدس وطهّرها ونقّاها وقدسها فأصبحت أهلاً لأن يجبل الروح القدس من دمها جسداً كاملاً، وهكذا حبلت من الروح القدس بابن الله ولم يمسسها رجل، كقول الملاك جبرائيل لها يوم بشرها بالحبل الإلهي، وسألته كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها: «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تُظلّلك ولذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله»(لو ١: ٣٤و٣٥) بعد أن كان الملاك قد قال لها «السلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت في النساء... لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمةً عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية»(لو ١: ٢٨_٣٣).

فما أعظم النعمة التي وجدتها العذراء مريم عند الله، إذ صارت أماً ليسوع الذي يدعوه الملاك ابن العلي كما يدعوه ابن الله. وهو نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية على حد قول الله تعالى للحية المجرّبة «أضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه» (تك ٣: ١٥) والحية هنا رمز قوة الشر

أي إبليس الذي يظفر به نسل المرأة أي المسيح يسوع، وهكذا كما أدخلت المرأة الأولى حواء، الخطية إلى العالم، كذلك المرأة العذراء مريم حواء الثانية بوساطة نسلها المسيح أتت بالخلاص للعالم.

يقول آباء الكنيسة «إن الله قادرٌ على أن يصنع الإنسان على أربعة أنواع إما من رجلٍ وامرأةٍ كما هو الحال الجاري في العالم، أو من غير رجلٍ أو امرأةٍ كما صنع آدم، أو من رجلٍ بلا امرأةٍ كما صنع حواء، أو من امرأةٍ من غير رجل الذي لم يكن قد صنعه إلى حين تجسد كلمة الله يسوع المسيح الذي اتّخذ له جسداً كاملاً من امرأةٍ وحدها هي العذراء مريم».

وقد وُلِد الرب يسوع بصورة عجيبة إذ ولدته العذراء مريم وهي عذراء وبقيت عذراء في الولادة وبعد الولادة ولذلك ندعوها بدائمة البتولية. وهكذا تمّت فيها نبوة إشعيا الذي قال: «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل»(إش٧: ١٤) «الذي تفسيره الله معنا» (مت١: ٢٣).

ويقول الرسول بولس: «وبالإجماع عظيمٌ هو سر التقوى الله ظهر في الجسد»(١تي٣: ١٦).

أجل، إن عقيدة ميلاد السيد المسيح من عذراء هي من العقائد الجوهرية في الدين المسيحي. وإن هذا الميلاد الذي يفوق الطبيعة، هو ضروريٌّ جداً في التجسد الفريد من نوعه في الكون، وهو أعجوبةٌ باهرة لا بد من حدوثها في بدء تجسد الرب، كما أن قيامته من بين الأموات أعجوبةٌ أخرى اجترِحت لتقيم الحجة على صدق نبواته وصحة مطاليبه الإلهية وقبول كفارته عن البشرية. فكما ولد من عذراء وحافظ على بتوليتها قبل الولادة وفي الولادة وبعدها كذلك قام من بين الأموات وغادر القبر، والصخرة العظيمة موضوعةٌ على بابه وأختام المملكة لم تنثلم.

إن حقيقة الولادة من عذراء هي الأساس الذي تبنى عليه حقيقة عصمة المسيح الإله المتجسد الذي أرسله الآب إلى العالم ليخلص به العالم ودعاه جبرائيل الملاك «قدوس القديسين» لما بشر النبي دانيال قبل الميلاد بخمسمائة سنة، وحدد له زمن مجيء الرب بالأسابيع السبعين التي ذكرها في نبوته (دا٩: ٢٤) ولما جاء ملء الزمانٍ وتمت هذه النبوة بشّر جبرائيل العذراء مريم بالحبل به. ودعاه أيضاً قدوساً، وابن العلي، كما سماه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا.

كما أن ولادة العذراء ابنها الوحيد الرب يسوع بهذه الصورة العجائبية رفع من مقامها بين نساء العالمين، فأطلق عليها أتباع المسيح ابنها صفة الأمومة لله، ودعوها والدة الله وقد سمعنا إليصابات نسيبة العذراء وقد امتلأت من الروح القدس وهي ترحب بها في دارها، تقول لها: «مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك، فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاجٍ في بطني، فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب»(لو١: ٤١_٤٥) فأنشدت العذراء مريم أنشودتها النفيسة قائلة: «تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي لأنه نظر إلى اتضاع أمته فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني لأن القدير صنع بي عظائم، واسمه قدوس ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه»(لو١: ٤٦_٥٠). وإتماماً لنبوة العذراء عن نفسها يطوِّبها أبناؤها المسيحيون في صلواتهم التي يرفعونها إلى ابنها الحبيب مكررين العبارات التي حيّاها بها الملاك جبرائيل مضيفين إلى ذلك كلمات إليصابات قائلين: السلام لك يا مريم العذراء الممتلئة نعمةً، الرب معك، مباركة أنت في النساء ومبارك ثمرة بطنك يسوع. يا مريم القديسة يا والدة الله. صلي لأجلنا نحن الخطاة الآن وفي ساعة موتنا آمين.

فجدير بنا أيها الأحباء أن نقتدي بالعذراء مريم الممتلئة نعمةً، التي اختارها الله لتكون أماً لابنه الوحيد لطهرها ونقائها وعفتها ووداعتها وتواضعها، ويقول عنها البشير لوقا: «وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها»(لو٢: ١٩) فقد كانت تنصت جيداً إلى كلام الوحي الإلهي وتحفظه متفكرةً به في قلبها، كما كانت تتأمل باهتمام الحوادث التي جرت لها وما حولها وتحفظها وقد بلّغتها إلى رسل الرب وتلاميذه الذين أعلنوا شهاداتهم ودوّنوها في الإنجيل المقدس، فالعذراء أول من حمل البشارة إلى الآخرين.

من العذراء عرفنا بشارة الملاك جبرائيل لها، وزيارتها لإليصابات نسيبتها، وظهور الملاك جبرائيل ليوسف خطيبها ليطمئنه عن أن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس. ومن العذراء عرفنا ولادة الرب العجيبة في بيت لحم في مغارة بسيطة وتسجيل اسمه في سجلات المملكة.

ومن العذراء مريم عرفنا أن الملاك ظهر للرعاة وبشّرهم بالمولود، وأن الملائكة رنموا في تلك الليلة قائلين: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة».

ومن العذراء مريم عرفنا أن المجوس جاءوا من المشرق وسجدوا للطفل المولود، أولئك الذين كانوا قد سألوا في المدينة المقدسة عن المولود ملك اليهود، وأن هيرودس جمع رؤساء الكهنة والكتبة واستفسر منهم عن مكان ميلاد المسيح المنتظر وأنهم ذكروا له نبوة النبي ميخا القائل: «أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج مدبر يرعى شعبي... ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (ميخا٥: ٢) فذكر هيرودس ذلك للمجوس الذين جاءوا إلى بيت لحم وسجدوا للمولود الإلهي وقدموا هداياهم ذهباً ولباناً ومرّاً معترفين به إلهاً وملكاً وكاهناً يقدم نفسه فديةً، أما رؤساء اليهود وكتبتهم وفريسيّوهم فلم يكلفوا أنفسهم عناء التفتيش عنه

وهم ومن خلفهم حتى اليوم ينتظرون وَهماً مجيء مخلص بعد أن فقدوا المخلص الحقيقي.

من العذراء أيضاً علمنا أن هيرودس اضطهد الصبي يسوع وإنها ويوسف هربا بالطفل إلى مصر ثم عادا به وسكنوا في الناصرة فلنقتدِ بها في التأمل بالحوادث المقدسة وفي المواظبة على الصلاة والتفكر بعجائب الله لنكون قريبين منه تعالى، كما كانت أمنا العذراء.

المسيح المنتظر جاء وولد من عذراء، ونما في القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس. واعتمد من يوحنا المعمدان، والمعمدان شهد له أنه حمل الله الرافع خطايا العالم. ورأى السماء مفتوحة والروحِ بشبه حمامة يهبط على هامته، وجاء صوت الآب من السماء قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت»(مت٣: ١٧).

وأرسل يوحنا إلى المسيح اثنين من تلاميذه ليسألاه: أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر. فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران. «العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهّرون والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشَّرون. وطوبى لمن لا يعثر فيّ»(مت١١: ٢ـ٦). ووجّه يوحنا تلاميذه فآمنوا بالمسيح وكان أحدهم يقول للآخر وجدنا مشيحا ــ المسيح ـ وانضم بعضهم إلى زمرة الرسل والتلاميذ.

كان عدد كبير من اليهود قبيل ميلاد السيد المسيح ينتظرون بفارغ الصبر مجيء المسيح «مشتهى كل الأمم»(حج٢: ٧) ورجاء الشعوب كافة، ولكن أفكارهم بخصوص المسيح لم تكن روحية، فقد أرادوه مسيحاً يخلصهم من سلطة الرومان، لا من سلطان الشيطان، مسيحاً مادياً لا روحياً. لذلك خاب ظنهم وطاش سهمهم وما يزالون يفتشون عن مسيح ابتدعته أفكارهم الدنيوية، وكبرياؤهم وأنانيتهم.. لهؤلاء قال الرب: «فتّشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي تشهد لي» (يو٥: ٣٩). أمّا هم فلم يفهموا الكتب فهلكوا، ولو أمعنوا

النظر في نبوات أنبيائهم لاكتشفوا أن زمان مجيء المخلص كان قد بلغ، ولكنهم قد حافظوا على أسفار الأنبياء بإكرام، دون أن يدرسوها جيداً بروح التقوى ومخافة الله فلم يعرفوا زمان افتقادهم. أما الأتقياء منهم فآمنوا بالمسيح يسوع ونالوا الخلاص وهم الآن ينتظرون مجيئه الثاني على السحاب ليُسمِع الذين في القبور صوته فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة(يو ٥: ٢٨و ٢٩).

أجل لقد ضل الضالون والمضلون ممن لم يؤمنوا بالمسيح الحقيقي، ويسمون أنفسهم المسيحيين الصهاينة الذين يمزجون السم بالدسم، ويسيئون إلى المسيحية بتفسير نبوات العهد القديم، وكأن المسيح لم يأتِ بعد وهم ينتظرونه ليأتي ويملك على الأرض.

هؤلاء الأشقياء جهلوا أو تجاهلوا أن النبوات التي دوّنها الأنبياء في أسفار الكتاب المقدس عن مجيء السيد المسيح لخلاص البشرية، هي حلقاتٌ مسلسلة متينة لا تنفصم وإنها تمت بحذافيرها بالمسيح يسوع المولود من العذراء مريم في الزمن الذي عيّنه جبرائيل رئيس الملائكة للنبي دانيال، وفي المكان الذي ذكره ميخا النبي، وإنه نسل المرأة، ونسل إبراهيم، وابن داود بالجسد، وقد أتم الفداء وصعد إلى السماء وسيأتي لدينونة العالمين.

وفي احتفالنا بعيد ميلاده المقدس بالجسد، يهمنا أن تكون علاقتنا به علاقة مصالحة، بل محبة، فنشعر بوجوده بيننا لأنه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا ونؤمن بأنه فادينا فهو يسوع الذي تفسيره المخلص.

ونقبله مسيحاً مشتهى جميع الأمم، الذي انتظرته الشعوب فجاء مولوداً من عذراء، فلنقدم التهاني للذين انتظروا مجيئه وآمنوا به ونالوا الخلاص. ولنعيدعيد ميلاده ببهجة وسرور آمين.

تجسد الإله الكلمة في ملء الزمان(*)

قال الرسول بولس: «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس. ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني». (غل٤: ٤و٥).

الزمان الذي هو مدة الدنيا كلها، هو في آية موضوعنا الأزل والأبد، هو البداية والنهاية. ويريد الرسول بولس أن يوضح بعبارة ملء الزمان، أن عقيدة تجسد الإله الكلمة، هي في المفهوم المسيحي، مركز الدائرة لكل الحوادث الدينية الخطيرة، التي جرت وستجري في العالم على مر الدهور والأجيال.

ففي البدء خلق الله السموات والأرض(تك: ١١) وخلق الإنسان من تراب الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية، (تك٢: ٧). وخلقه على صورته كشبهه(تك١: ٢٦) في حال برٍّ وقداسة. ووهبه عقلاً راجحاً، وضميراً نيِّراً ليميز الخير من الشر وليتبع الخير ويتجنب الشر كما منحه إرادةً حرةً تقررمصيره الأبدي.

وقد أحب الله هذا المخلوق الناطق، أكثر من كل مخلوقاته. وبقيت محبته له ثابتةً لم تتزعزع، ولم تنقص، حتى بعد أن تمرغ الإنسان في الخطية وتمرد على الأوامر الإلهية، وعاقبه الله إذ حكم عليه بالموت. فكانت محبة الله للإنسان أقوى من الموت. وبهذا الصدد يقول الرب يسوع: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»(يو٣: ١٦).

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق في ١٩٨٨/١٢/٢٥.

وشاء الله أن ينتشل الإنسان من وهدة الخطية، ويخلصه من بين براثن إبليس عدوه اللدود، وينقذه من فم الموت الأبدي، بطريقة عجيبة غريبة، لا تدركها عقولنا البشرية، تماماً كعدم إدراك هذه العقول سائر الحقائق الإلهية التي أوحتها لنا السماء، وأمرتنا أن نسلم بها، ونؤمن ونعتقد بصحتها، لأنها جاءتنا من الله تعالى الذي أوحاها إلى أنبيائه الصادقين الصالحين.

وهذه الطريقة العجيبة هي التدبير الإلهي السامي في إرسال اللّه ابنه الوحيد إلى العالم في ملئ الزمان مولوداً من إمرأة مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني(غل٤: ٤و٥) على حد تعبير الرسول بولس، الذي يقول أيضاً بهذا الصدد: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد»(١تي٣: ١٦) ويصف الرسول يوحنا ذلك بإنجيله المقدس قائلاً: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً وحل فينا، ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً»(يو١: ١ و١٤).

شكراً لله على نعمته التي أسبغها علينا فقد كشف النقاب عن سر التجسد العجيب، لأنبياء العهد القديم، فدونت في الكتاب المقدس النبوات الصريحة والإشارات والرموز الواضحة، قبل موعد التجسد الإلهي بمئات السنين. معلنة أن ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، والذي لا يحده مكان أو زمان، «ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل»(ميخا٥: ٢) سيتجسد من عذراء، في الزمان الذي حددته العناية الربانية، والمشيئة الإلهية، والمكان الذي اختارته السماء، الأمر الذي أعلنه رئيس الملائكة جبرائيل، قبل موعد حدوثه بخمسمائة سنة قائلاً للنبي دانيال: «سبعون أسبوعاً قُضيت على شعبك، وعلى

مدينتك المقدسة، لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القديسين»(دا ٩: ٢٤).

وبعد خمسمائة سنة تقريباً، انحدر الملاك جبرائيل من السماء، مرسلاً من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم. «فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها الممتلئة نعمةً، الرب معك مباركة أنت في النساء... لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمةً عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية»(لو ١: ٢٦_٣٣).

ففي ملء الزمان، الوقت الذي عينه الله تعالى منذ الأزل، موعداً لتجسد ابنه الوحيد لفداء البشرية، في ذلك الوقت تمت نبوة دانيال بحذافيرها، فقد كانت المعصية قد كملت والإثم قد تم. وغدت حاجة العالم ماسةً إلى ظهور المخلص، المسيح الموعود به منذ البدء، والذي انتظرته الشعوب كافةً، لينقذها من شقائها، ويهب لها راحة الضمير، والطمأنينة الروحية، فقد عجزت عن ذلك الديانات اليهودية والوثنية بكل فرقها كما لم تتمكن النظريات الفلسفية والاجتماعية توفير السعادة الروحية للإنسان، «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله»(رو٣: ٢٣) بل أعوزهم رب المجد.

وهيّأ الله أن تعلن النبوات لشعوب العالم كافةً، فترجمت أسفار الكتاب المقدس، إلى اللغة اليونانية، لغة الثقافة في أغلب أقطار العالم المعروف عصرئذ، وذلك بأمر بطليموس في

الإسكندرية قبل الميلاد بنحو قرنين من الزمان. فاطلع العالم الوثني على تلك النبوات، وشارك شعب النظام القديم بانتظار المسيح المخلص.

أجل، إن الله وراء حوادث التاريخ، وشاء تعالى أن يحكم الرومان الأرض المقدسة في تلك الأيام، وأن يصدر أمرٌ من أوغسطوس قيصر لتُكتَتَب كل المسكونة، ويعني بالمسكونة الأقطار التي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية، وكانت غاية أوغسطوس قيصر من ذلك الاكتتاب الافتخار بامتداد أرجاء مستعمراته، وتسهيل أمر جباية الضرائب من الخاضعين لمملكته. أما قصد الله تعالى من وراء هذا الاكتتاب، فكان إعلان تجسد ابنه الوحيد للأجيال اللاحقة، لتثبيت حقيقة التجسد الإلهي، ومجيء المسيح المنتظر. لذلك شاء الله تعالى أن يجري الاكتتاب بأمر السلطة الرومانية بموجب التقليد اليهودي وهو أن يقصد كل إنسان بلدة آبائه، ليسجل اسمه في سجلات المملكة في تلك البلدة، وبذلك تثبت صحة نسبه إلى عشيرته وسلالة آبائه ليكون اليهود بلا عذرٍ في إنكارهم المسيح، فقد جاء المسيح الموعود به من نسل داود، واعتبر كذلك إذ كانت العذراء مريم وخطيبها يوسف من نسل داود وكانا يسكنانٍ مدينة الناصرة، ولكي يسجلا اسميهما في سجلات المملكة طبقاً لأوامر أوغسطوس قيصر جاءا إلى بيت لحم، مدينة داود وكانت العذراء مريم حبلى، وبينما كانا هناك تمت أيامها لتلد (لو٢: ١ـ٥) ولم يكن لهما منزل في الموضع، ولا موضع في المنزل، فالتجأا إلى مغارةٍ بسيطة... وولدت العذراء ابنها البكر، يسوع «المخلص».. وسجل اسمه في سجلات المملكة. واختتن في اليوم الثامن بحسب ناموس موسى. فقد ولد من امرأة، وُلد تحت الناموس وأتم الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني.

وتمت بذلك نبوة إشعيا القائل: «ولكن يعطيكم السيد نفسه آيةً، ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل»(إش٦: ١٤) «الذي تفسيره الله معنا»(مت١: ٢٣) كما تمت نبوة ميخا القائل: «أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرةٌ أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (ميخا٥: ٢).

أجل تجسد الإله الكلمة من الروح القدس ومن مريم العذراء، وولد في ملء الزمان في بيت لحم أفراتة طبقاً للنبوات، وسُجِّل اسمه في سجلات المملكة كسائر المواطنين هناك. وهكذا دخل التاريخ البشري، في ملء الزمان، بل صار زمان ميلاده تاريخ التواريخ فقسم تاريخ العالم إلى قسمين: ما قبل الميلاد وما بعد الميلاد. أما هو فكما يصفه الكتاب المقدس بقوله «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد»(عب١٣: ٨). لا يتغير ولا يتبدل. وابتدأ بميلاده عهد النعمة والرحمة والحنان، عهد الحق والمساواة والمغفرة، والقداسة. وفدانا المخلص ووهبنا فيه نعم التبرير والتقديس والتبني.

ولد المسيح على الأرض، لنولد نحن للسماء.

ولد من الروح القدس ومريم العذراء، لنولد نحن من الروح القدس والنار.

صار ابن البشر لنصير نحن أولاد الله بالنعمة، كقول الرسول يوحنا الإنجيلي: «أما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاداً لله أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله» (يو١: ١٢و١٣) ويقول الرسول بولس بهذا الصدد: «ثم بما أنكم أبناءٌ أرسل الله

روحٍ ابنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب. إذاً لست بعد عبدا بل ابناً. وإن كنت ابناً فوارثٌ لله بالمسيح» (غل٤: ٦و٧).

فكما سجل اسمه في سجلات المملكة على الأرض، في ملء الزمان، كذلك سُجّلت أسماؤنا في سجلات ملكوته في السماء الذي سنرثه في نهاية الزمان. وقد بشرنا الرب بذلك بقوله لتلاميذه: «افرحوا بالحري، إن أسماءكم كتبت في السموات»(لو١٠: ٢٠). فعلينا إذن أن نعيش على الأرض كأبناء السماء، كما يوصينا الرسول بولس قائلا: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصا هو الرب يسوع المسيح الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا، ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته، أن يخضع لنفسه كل شيء» (في٣: ٢٠و٢١).

ففي ملء الزمان جاء الإله الكلمة إلى أرضنا متجسداً، فأخذ صورتنا بل كل ما لنا ما عدا الخطية، وفدانا، ووهب لنا صورته التي فقدناها بالخطية، إذ برّرنا وقدّسنا، وجعلنا أولاداً لله وورثةً لملكوته السماوي.

وفي نهاية الدهر سيأتي ثانية، ليأخذنا إليه. فرسالة عيد الميلاد اليوم هي أن نولد من فوق، ونحيا للسماء، وننتظرِ مخلصنا عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا، لنكون نحن أيضا معه، في سماء مجده. وبذلك نكون قد أتممنا الغاية من تجسده الإلهي، وهي العودة إلى السماء، وإعادة الشركة مع أبيه السماوي، حيث نضيء مع الأبرار كالشمس(مت١٣: ٤٣) ونشارك الملائكة بتمجيده قائلين: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة» وكل عام وأنتم بخير.

ميلاد المخلص(*)

«فقال لهم لا تخافوا، فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب»(لو٢: ١٠-١١).

قبل عشرين قرناً، احتفلت السماء والأرض بميلاد المسيح يسوع مخلص العالم، الذي حررنا من عبودية إبليس وأعتقنا من نير الخطية، ونصرنا على الموت، وبررنا، وقدّسنا، فصرنا أولاداً لأبيه السماوي بالنعمة، وورثة لملكوت الله.

وقبل الميلاد بعشرين قرناً، كان الله قد قطع عهداً لإبراهيم أبي الآباء قائلاً له: «ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض»(تك٢٠: ١٨) ونسل إبراهيم هو المسيح المخلص. وهذا الوعد الإلهي هو امتداد لوعد الله للإنسان منذ ابتداء الخليقة، أن يسحق نسل المرأة رأس الحية أي إبليس عدو البشرية. وإن نسل المرأة هو المسيح المخلص الذي من عذراء لم يمسسها بشر فهو ليس من زرع رجل كما أوضح ذلك الوحي الإلهي على لسان النبي إشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد قائلا: «ولكن يعطيكم السيد نفسه آيةً. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل»(إش٧: ١٤)، «الذي تفسيره الله معنا»(مت١: ٢٣). وقبل الميلاد بخمسة قرون، حدد الوحي الإلهي للنبي دانيال موعد إتمام الوعد بمجيء المسيح الذي دعاه قدّوس القديسين وذلك بالنبوة المعروفة بالأسابيع

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق بتاريخ ١٩٨٩/١٢/٢٥.

السبعين(دا٩: ٢٤) أجل إن هذه النبوات الصادقة، وأمثالها مما لا يُحصى لها عدد، إنما أوحاها الله إلى الآباء والأنبياء، لتتضح في ذهن الإنسان، الصورة الحقيقية للمخلص والشروط التي يجب أن تتوفر فيه، ليوفق بين عدل الله ورحمته، في التكفير عن خطية الإنسان غير المتناهية، التي اقترفها ضد الله اللامتناهي. لذلك شاء الله تعالى أن يرسل ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم فيتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، على حد قول الرسول بولس: «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأةٍ مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني»(غل٤: ٤_٥).

طوبى لتلك المرأة العذراء مريم التي اختارها الله لتكون أماً لابنه الوحيد مخلص العالم لنقاء سيرتها، وصفاء سريرتها، وتواضعها، ووداعتها، وهي سليلة الملوك والكهنة والأنبياء. طوباها فقد تنبأت عن نفسها أن الأجيال تعطيها الطوبى، لأن القدير صنع بها عظائم واسمه قدوس ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه. طوباها فقد ولدت في مثل هذا اليوم الإله المتجسد وحق لها أن تدعى والدة الإله، وأم الله.

أجل، شاء الله منذ البدء، أن يولد المخلص في بيت لحم أفراثا. لذلك سخّر تعالى أوغسطس قيصر ليصدر أمراً لإحصاء الشعوب الخاضعة لسلطة الدولة الرومانية، وأن يجري اكتتاب شعب العهد القديمِ حسب تقليد ذلك الشعب، وهو أن يذهب كل شخص منهم ذكراً كان أو أنثى إلى مدينة آبائه ويسجل اسمه هناك في سجلات المملكة وبهذا الصدد يقول البشير لوقا في الإنجيل المقدس: «وصعد يوسف أيضاً من مدينة الناصرة إلى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته، مع مريم امرأته وهي

حبلى، وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد، فولدت ابنها البكر، وقمّطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل»(لو ٢: ٦و٧).

وسُجّل اسم يسوع، الذي يعني المخلص، في سجلات المملكة في بيت لحم أفراثا، ليبقى للأجيال القادمة دليلاً ناصعاً، وبرهاناً قاطعاً، على أنه مسيح الأنبياء الذي انتظرته الأجيال السابقة وقد جاء من نسل داود، وولد في ملء الزمان في بيت لحم أفراثا قبل الميلاد وتمت بذلك أيضاً نبوة ميخا الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد وتنبّأ قائلاً: «أما أنت يا بيت لحم أفراثا وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل»(ميخا٥: ٢).

يسجل لنا لوقا في الإنجيل المقدس حوادث الميلاد في تلك الليلة المباركة بتسلسل منطقي وينقلنا من المغارة إلى ضواحي بيت لحم، ليرينا مشهداً مهماً لرعاة بسطاء كانوا ساهرين على حراسة أغنامهم حراسات الليل، ويذكر لوقا أن: «مجد الرب أضاء حولهم، فخافوا خوفاً عظيماً فقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرحٍ عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»(لو ٢: ٨ ـ ١٤)..

ما أسعد هؤلاء الرعاة الذين قيل أنهم كانوا يرعون الخراف التي تقدم ذبائح ومحرقات في الهيكل، وقد أنعم الله عليهم في تلك الليلة فاستحقوا أن يكونوا أول الذين بُشّروا بولادة «حمل الله الذي يرفع

خطايا العالم»(يو ١: ٢٩) الذي قُدِّم بعدئذ ذبيحة كفارية عن العالم أجمع، وأبطل الذبائح الحيوانية. ما أسعد أولئك الرعاة البسطاء الذين استحقوا أيضاً أن يسمعوا أبدع قصيدة نظمتها السماء، وانشدها جند السماء، بمناسبة ميلاد الفادي فعبّروا بذلك عن معاني هذا الحدث الفريد العجيب، والذي لم يسبقه مثيل، ولن يكون له شبيه، إلى الأبد، قائلين: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة»(لو ٢: ١٤).

ما أسعد الرعاة الذين أطاعوا تعليمات الملاك وقصدوا المغارة حيث ولد المخلص وشاهدوا الطفل المولود، المضجع في مذود، وتباركوا منه، ورجعوا يحدثون الناس بكل ما رأوا وسمعوا.

أجل، لقد خلق الإنسان ليمجد الله، وكان بسلام معه تعالى يوم كان في حالة البر والقداسة ولكن ذلك السلام انقلب إلى خصام، عندما حاد الإنسان عن جادة الحق، وتبع غواية إبليس فابتعد عن الله، واستعبد لإبليس، فزالت عنه المسرة وهيمنت عليه الكآبة.

وفي ميلاد «المخلص، المسيح الرب» وفي إتمامه بعدئذ عمل الفداء، بسفك دمه الثمين زال عهد الخصام، ونقض الجدار، جدار العداوة الفاصل بين الله والإنسان، وأقيم الصلح واستتب السلام، فعاد الأتقياء إلى تمجيد الله بالفكر والقول والعمل... وامتلأت قلوبهم فرحاً روحياً لا ينزعه أحد منهم مهما كانت ظروف الحياة قاسية عليهم.

واليوم ونحن نحتفل بهذه الذكرى السعيدة، ذكرى ميلاد المخلص الإلهي، علينا أن نقتدي بالرعاة البسطاء، ونذهب بالروح إلى مغارة بيت لحم أفراثا، لنشاهد المولود القدوس، المخلص الذي هو المسيح الرب، والذي إنما ولد في مغارة بسيطة لأنه لم يكن لأمه مريم العذراء وخطيبها مكان في المنزل، فلنهيّئ له قلوبنا منازل يولد فيها ويملك عليها.

لقد جاء ليتغمد خطايانا «ودعي اسمه يسوع لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم»(مت١: ٢١) جاء ليخلص ما قد هلك (مت١٨: ١١) وقال بعدئذ: «لأني لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة»(مت: ١٣) وإذ وجد أن الديانة اليهودية وقد حوّلها أتباعها إلى طقوس بالية، وعبادة ظاهرية خالية من العزاء ولم يكن قد بقي لها سوى صورة التقوى دون قوتها، وقد تمسك مُشرِّعوها بالحرف تاركين الروح، والحرف يقتل، وقد أثقلوا على المؤمنين الأحمال الشاقة يرزحون تحت وطأتها فييأسون من رحمة الله، ويهلكون فوبّخهم المخلص بقوله: «ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم تُحمِّلون الناس أحمالاً عسيرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم»(لو١١: ٤٦). لذلك فهو يناديناً وينادي كل من استيقظ ضميره، واعترف بأنه خاطئ قائلاً: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم، احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديعٌ ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لأنفسكم لأن نيري هيّن وحملي خفيف» (مت١١: ٢٨).

فلنلبِّ نداءه، أيها المؤمنون، ولنعد إلى بيت الآب السماوي تائبين، كعودة الابن الضال إلى بيت أبيه، فالآب بانتظارنا وسيفرح لعودتنا وسيلبسنا الحلة الجديدة والخاتم الثمين، ويذبح لنا الكبش المسمّن محتفياً بعودتنا إليه، لأننا كنّا أمواتاً فعشنا، وكنا ضالين فوجدنا، وستفرح أيضاً بعودتنا إليه ملائكة السماء الذين قال الرب عنهم إنهم يفرحون بخاطئٍ واحد يتوب، وبهذا تتم الغاية القصوى من التجسد الإلهي، وميلاد المخلص، في مثل هذا اليوم المبارك. أعاد الله عليكم أعياده باليمن والبركة آمين.

ميلاد المحبة(*)

«لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» (يو٣: ١٦و١٧).

آيات كريمة هي خلاصة الإنجيل المقدس، وزبدة عقائد الديانة المسيحية السمحة، في التأمل بها ندرك أن محبة الله تعالى للبشر لا حدود لها، فهي تشمل شعوب العالم قاطبة، كما تشمل كل فرد من البشر. والله تعالى هو القداسة والبر. ويبغض الخطية والإثم، ولكنه يحب الخاطئ، ويريده أن يترك طريقه الملتوية ويعود إليه تعالى تائباً فيحيا.

أجل لقد بلغت محبة الله للإنسان درجة سامقة بحيث أنه أرسل ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم. ويقول الرسول بولس بهذا الصدد: «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني»(غل٤: ٤).

فمنذ عشرين قرناً، ولد المخلص المسيح يسوع، مشتهى الأمم والأجيال، في مغارة بسيطة يأوي إليها الرعاة في بيت لحم أفراتا. فلفته بأقمطة، أمه العذراء مريم، الفتاة الفقيرة اليتيمة والوديعة المتواضعة، وأضجعته في مذود، وجلست تتأمله وقد استولت عليها الدهشة وأخذ منها العجب كل مأخذ، فهي لا تفقه أمر هذا الطفل

(*) الموعظة التي ارتجلها المؤلف، في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٢٥.

العجيب، ولئن حملته بأحشائها تسعة أشهر، وها هي اليوم تضمه إلى صدرها بحنان الوالدة الرؤوم، وترضعه لبنها الطاهر النقي. ولكن الذكرى السعيدة تعود بها إلى اليوم الذي بشّرها فيه الملاك جبرائيل في بلدة الناصرة قبل تسعة أشهر، وصدى صوته ما يزال يرن في أذنيها وهو يقول لها: «لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية»(لو ١: ٣٠ـ٣٣).

أما يوسف رجلها، فهو الآخر يتذكر يوم ساورته الشكوك في طهرها وإخلاصها إذ وجدها حبلى، وهمّ بتخليتها سراً، ولكن ملاك الرب ظهر له في حلم قائلاً: «يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبِل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»(مت ١: ٢٠و ٢١).

ولم تمضِ ساعات على وضع مريم طفلها القدوس حتى دخل المغارة رعاة يسألون عن «المخلص الذي هو المسيح الرب»(لو ٢: ١١) ولما رأوا الطفل أخبروا العذراء ومن كان معها عن الملاك الذي وقف بهم وهم يحرسون أغنامهم حراسات الليل، وكيف أن مجد الرب أضاء حولهم، وأنهم خافوا خوفاً عظيماً، فقال لهم الملاك: «لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرحٍ عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلصٍ هو المسيح الرب. وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»(لو ٢: ٨ ـ ١٤).

لا غرو ولا غرابة من أن ترافق ميلاد هذا الطفل العجيب آيات من السماء، فهو ابن السماء المولود من الآب قبل كل الدهور، وهو كلمة الله الذي قال عنه الإنجيلي يوحنا: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً وحل فينا ورأينا مجده مجدا كما لوحيدٍ من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً»(يو ١: ١ و١٤) فإذا كان الوحي الإلهي قد نزل على الإنسان في العهد القديم بطرق متنوعة، برؤى وأحلام، أو فماً لفم، فقد خاطبنا الله، في ملء الزمان، بكلمته الذي تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء «آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس»(في٢: ٦و٧). على حد قول الرسول بولس. ويوم ميلاده بالجسد هبطت الملائكة من السماء إلى الأرض وابتهجت الأرض إذ تحققت مواعيد السماء، والعهود التي قطعها الله في القديم مع البشر. كما تمت النبوات الصادقة التي فاه بها أنبياء العهد القديم قبل الميلاد بقرون عديدة: فها قد جاء المخلص مولود المرأة ليسحق رأس الحية الدهرية إبليس عدو البشرية. وولد من عذراء طاهرة دون زرع رجل إتماماً لنبوة إشعيا النبي، وولد في بيت لحم أفراتا كما تنبّأ النبي ميخا، وولد في الموعد الذي حدده الملاك جبرائيل للنبي دانيال قبل الميلاد بخمسة قرون. وليس هذا فقط بل أيضاً جاء نوراً للعالم لينير دياجير الظلام. فهو شمس البر والشفاء في أجنحتها، كما دعاه النبي ملاخي(٤: ٢).

وشاءت إرادة الله أن يسجل اسم مولود بيت لحم القدوس في سجلات المملكة الرومانية لتتأكد الشعوب الوثنية أيضا من أن مخلص العالم قد جاء. كما أن نجما قد ظهر في المشرق وقاد حكماء فارس آتياً بهم إلى بيت لحم ليسجدوا للطفل المولود الذي سموه ملك اليهود، وقدموا له هداياهم ذهباً ولباناً ومرّاً،

معترفين به ملكاً وإلهاً ومتنبئين عن موته الكفاري لخلاص البشرية. ولهذا قال الملاك ليوسف عن العذراء مريم إنها «ستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (مت١: ٢١) فالغاية الفضلى من تجسد الرب هي إذن خلاص البشرية. وهذا ما نفهمه من حديث الرب يسوع مع نيقوديموس إذ قال له: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» (يو٣: ١٦و١٧).

فما أسمى المحبة الإلهية للإنسان، المحبة التي تأملها الرسول يوحنا فتجرّأ على التفوه بالآية المشهورة القائلة: «الله محبة»(١يو٤: ٨).

لقد تبينت محبة الله للإنسان منذ بدء الخليقة، إذ خلق الله الإنسان على صورته كشبهه(تك١: ٢٧) ومنحه عقلاً ثاقباً وضميراً نيّراً وبهذا تمكن الإنسان من أن يميز الخير من الشر والحق من الباطل كما منحه تعالى أيضاً قوة الإبداع والخلق والصفات الأدبية السامية، وحرية الإرادة. وإن العامل المشترك بين الله الخالق والإنسان المخلوق، هو الروح الخالدة التي نفخها تعالى نسمة حياة في أنف الإنسان يوم خلقه من تراب الأرض فصار آدم نفساً حيةً كما يقول الكتاب(تك٢: ٧) ولكن الإنسان لا يقوم بذاته وإنما يقوم بالله الذي خلقه، ويدبره، ويعتني به ويرعاه. وإن صلة المحبة هي التي تربط الإنسان بالله. وإن وشائج المحبة الإلهية هذه قد تجلت في تجسد الإله الكلمة، الأمر الذي يلخصه الرسول يوحنا بقوله: «بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا

به، في هذا هي المحبة ليس إننا نحن أحببنا الله بل إنه هو أحبنا أولاً»(١يو ٤: ٩و١٠) ولكنه يريدنا أيضاً أن نبادله هذه المحبة الخالصة. ولذلك جاءت وصيته الإلهية في أسفار العهدين قائلة: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك. وتحب قريبك كنفسك»(مت٢٢: ٣٧و٣٩).

لقد تجسدت محبة الله في المسيح يسوع مخلص العالم المعصوم من الخطأ، والذي لم يكن في فمه غش، وقد تحدى أعداءه، كما أعلن لأصدقائه وأتباعه قائلاً: من منكم يبكتني على خطية، فحق له أن يصير الوسيط بين الله والناس وقد بررنا وطهرنا وقدسنا بل أعاد إلينا أيضاً رتبة البنين حيث قد صالحنا مع أبيه السماوي فصرنا أبناء الله بالنعمة وشركاء المسيح في ميراثه الأبدي. وبهذا الصدد يقول الإنجيلي يوحنا: «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاداً لله أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله»(يو ١: ١٢ و ١٣). فلنسلك في هذا العالم كأبناء الله بالسيرة النقية والسريرة الطاهرة لنستحق أن نرث السماء مع ابن السماء المسيح يسوع ربنا.

ورسالة عيد الميلاد المجيد هي رسالة المحبة، المحبة التي أعلنها السيد المسيح في ميلاده وخلال سائر تدابيره الإلهية في الجسد، بأقواله وأمثاله ومثاله، فعلمنا محبة الله والقريب وحتى محبة الأعداء.

أجل تعد المحبة الينبوع الثر لفضيلة الرحمة التي فضلها الله حتى على الذبائح بقوله تعالى: «أريد رحمة لا ذبيحة»(هو ٦: ٦ ومت ٩: ١٣ و ١٢: ٧) وأفعال الرحمة هي القانون الذي بموجبه يحاكم الله البشر في يوم الدينونة الرهيب.

واليوم ونحن نحتفل بعيد ميلاد السيد المسيح عيد المحبة والرحمة، لتنعكس رحمة الله على أفكارنا وأقوالنا وأفعالنا، وعلينا ألا ننسى أن المسيح يسوع مخلص العالم قد اختار له أماً فقيرة يتيمة وولد كفقير معوز وهو مغني كثيرين كقول الرسول بولس: «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره»(٢كو ٨: ٩) وقد أحب الفقراء والمحتاجين والمعوزين ودعاهم إخوته الصغار، وبحسب تعاليمه الإلهية أن ما نصنعه مع الفقراء من أعمال الرحمة مادياً ومعنوياً وروحياً يعتبر كأنما صنعناه مع المسيح المخلص بالذات، فلتتجلّ فضيلة الرحمة بما نقدمه من الصدقات لهؤلاء الفقراء وبهذا نشارك الرعاة والمجوس بتقديم الهدايا بسخاء وكرم وفرح وابتهاج لمولود بيت لحم القدوس، كل على قدر ما أعطاه الرب من خيرات، لننال بركة الرب ونعمته دائماً أبداً.

وكل عام وأنتم بخير

مجدٌ وسلامٌ ومسرّة(*)

«ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ ܒܡܪܘܡܐ ܘܥܠ ܐܪܥܐ ܫܠܡܐ ܘܣܒܪܐ ܛܒܐ ܠܒܢܝܢܫܐ»

«المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرّة »(لو ٢: ١٤)

قبل عشرين قرناً، في الليلة التي ولد فيها المسيح يسوع مخلّص العلم، ابتهجت السماء وتهللت، ابتهاج الصادق الوفي، وهو يبرّ بوعده، وتهلل الكريم السخي، وهو يبذل العطاء للفقراء. ووقف ملاك الرب برعاة بسطاء كانوا في ضواحي بيت لحم يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، فأضاء مجد الرب حولهم وخافوا خوفاً عظيماً، فهدّأ الملاك روعهم بقوله لهم: «لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرحٍ عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلصٌ هو المسيح الرب وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعا في مذود وظهر بغتة مع الملاك جمهورٌ من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرّة» (لو ٢: ١٠ـ ١٤).

ما أسعد أولئك الرعاة الطيبين الذين نالوا حظوة عند الرب فقد اختارهم تعالى دون سائر الناس ليكونوا أول من يبشرون بميلاد الفادي، ويسمعون القصيدة اليتيمة الفريدة التي نظمتها

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف، في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق بتاريخ ٢٥/١٢/١٩٩١.

السماء ولحنتها، وأنشدتها الملائكة معلنة بذلك بهجتها بميلاد السيد المسيح الذي هو ميلاد السلام، وبدء العمل بميثاق المصالحة بين السماء والأرض، وفتح باب الملكوت أمام المحررين من الخطية، والمبرّرين والمقدّسين بالمولود الإله. لذلك امتلأت القلوب فرحاً «لأن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً بل هو سلامٌ وفرحٌ في الروح القدس»(رو ١٤: ١١) على حد قول الرسول بولس.

«ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب. فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في مذود، فلما رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن الصبي. وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة، وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرةً به في قلبها، ثم رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم»(لو ٢: ١٣ ـ ٢٠).

«رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه» فقد استحقوا أن يروا الطفل المقمّط المضجع في مذود وأن يكونوا أول من يبشر به، فحدثوا مريم وخطيبها عن ظهور الملائكة، وواصلوا تسبيح الله بتكرار تسبيحة الملائكة له، «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرّة». فالملائكة سبحت الله ومجدته يوم خلق الأكوان من العدم، ويوم خلق الإنسان على صورته كمثاله، وتمجده دائماً على قدرته ورحمته ومحبته وعنايته بمخلوقاته، ولكنها مجدته خاصة يوم ميلاده بالجسد، لأن تجسد كلمة الله يعد أكثر عجباً من خلقة الأكوان من العدم

هذا السر العجيب الذي لخصه الرسول بولس بقوله: وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد»(١تي ٣: ١٦) حيث أن عقولنا لا تقوى على إدراك سر التجسد، لذلك أرسل الله تعالى الأنبياء قبل الميلاد بمئات السنين ليبلغوا رسالته الإلهية للبشر ويهيئوا عقولهم لتتقبل حقيقة عقيدة التجسد. فتنبأوا عن مجيء الفادي، وتمت فيه نبواتهم بحذافيرها. وبهذا الصدد يقول الرسول بولس: «الله بعدما كلّم الآباء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين»(عب ١: ١ و ٢).

فقد جاء في سفر التكوين عن وعد الله للبشر من أن نسل المرأة يسحق رأس الحية، والنبي اشعياء في القرن الثامن قبل الميلاد يصف هذه المرأة بأنها عذراء قائلاً: «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل»(اش ٧: ١٤) وعندما يستشهد الإنجيلي متى بهذه النبوة يشرح كلمة عمانوئيل بقوله: «الذي تفسيره الله معنا» (مت ١: ٢٣). ويقول الرسول بولس «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني»(غل ٤: ٤) وملء الزمان، هو الزمان الذي عينه الله منذ البدء لإتمام سري التجسد والفداء الأمر الذي أعلنه الملاك جبرائيل للنبي دانيال قبل الميلاد بخمسمائة عام بنبوة الأسابيع السبعين.

أما موضع ميلاد الفادي فقد تنبأ عنه النبي ميخا في القرن الثامن ق.م بقوله: «أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرةٌ أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج الذي يكون متسلطا على

اسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل»(مي ٥: ٢). والنبي ميخا بنبوته هذه يعلن بأن مولود بيت لحم هو أزلي، وهذا ما أوضحه الإنجيلي يوحنا بقوله: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان... والكلمة صار جسداً وحلّ فينا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً»(يو ١: ١ ـ ٣ و ١٤).

ويكشف النبي اشعياء النقاب عن سر رسالة السيد المسيح مولود بيت لحم فيقول: «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام»(اش ٩: ٢ و ٦) فرسالة السيد المسيح هي رسالة السلام، فقد أرسى دعائم السلام الحقيقي بين الله والإنسان، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، فهتفت الملائكة يوم ميلاده قائلة: «المجد لله في الأعلى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرّة» وفي عظته على الجبل قال السيد المسيح: «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون»(مت ٥: ١٠) ولما ودّع تلاميذه قبل آلامه قال لهم: «سلام أترك لكم، سلامي أعطيكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب» (يو ١٤: ٢٧). ولما ظهر لتلاميذه عشية يوم قيامته من بين الأموات، وهم مجتمعون في العلية والأبواب مغلقة خوفاً من اليهود، بادرهم بالسلام قائلاً: «سلام لكم»(يو ٢٠: ١٩) ويوضح لنا الرسول بولس فحوى هذا السلام الذي هو ثمرة الإيمان بالمسيح قائلاً: فإذ قد تبرّرنا بالإيمان لنا سلامٌ مع الله بربنا يسوع المسيح»(رو ٥: ١).

هذا هو السلام الداخلي، سلام الضمير، وهو انسجام إرادة الإنسان مع إرادة الله، والتحرّر من الآثام والعمل بشريعة الله. فهو هبة الله للمؤمنين الأتقياء الأنقياء، وينجلي هذا السلام في حياتهم في السرّاء والضرّاء، لأنهم يؤمنون أن مولود بيت لحم معهم يرافقهم في طريق الحياة، فقد دعي «عمانوئيل» الذي تفسيره الله معنا كما دعي «يسوع» لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.

ليهبنا الرب نعمة السلام والمسرّة التي هي ثمرة السلام الروحي الداخلي، ليضع الرب في أفواهنا كلمات التسبيح كي ننشد له أناشيد الشكران مع الملائكة القديسين قائلين: **«المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرّة»**

هل في منزلك موضع ليسوع؟(*)

«فولدت ابنها البكر وقمّطته وأضجعته في المذود، إذ لم يكن لهما موضع في المنزل»(لو ٢: ٧).

إنها العذراء مريم، الممتلئة نعمة، اختارها الله تعالى على نساء العالمين، فحل عليهاّ الروح القدس، وطهّرها وقدّسها، فاستحقت أن يحل فيها كلمة الله ويأخذ منها جسداً كاملاً. وقد وصف الرسول يوحنا ذلك بقوله: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكانٍ الكلمة الله... والكلمة صار جسداً وحّل فيناٍ ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من عند الآب مملوءاً نعمة وحقّاً» (يو ١: ١ و١٤).

ويعبر الرسول بولس عن هذا الأمر العجيب بقوله: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد»(١تي ٣: ١٦).

عجب عجاب كيف تحملت العذراء مريم جسامة معجزات التجسد الإلهي التي جرت لها وفيها ومعها وأمامها؟! وهي الفتاة البسيطة التي لم تكن قد بلغت الرابعة عشر من عمرها؟! فهي عذراء قبل الولادة، وفي الولادة، وبعد الولادة؟ وهي أم وفي الوقت ذاته ترضع ابنها الإلهي لبنها النقي وتقمطه وتضجعه في مذود، وقد ولدته في زريبة خان بيت لحم إذ لم يكن لهم موضع في المنزل! ويوم بشرها الملاك جبرائيل بالحبل الإلهي قال لها: «لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المجيد المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس بدمشق في ١٩٩٢/١٢/٢٥.

وتلدين ابناً وتسمينه يسوع،... **هذا يكون عظيماً وابن العلي** يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا. فأجاب الملاك وقال لها. الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضا **القدوس المولود منك يدعى ابن الله**»(لو ١: ٣٠ ـ ٣٥).

فأين عظمة يسوع يا جبرائيل الملاك؟ وأين مملكته؟ وأين عرشه؟! أجل إن مملكته ليست من هذا العالم لذلك فلئن تجاهل وجوده كهنة الأرض وسلاطينها فقد مجدته السماء، وبشر الملاك الرعاة البسطاء بميلاده، بقوله لهم: «لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمطاً مضجعا في مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»(لو ٢: ١٠ ـ ١٤).

ولما ذهب الرعاة مسرعين إلى حيث ولد الملك المسيح، وجدوه فإذا مملكته زريبة، وعرشه مذود، فسجدوا له، وعادوا يبشرون بميلاده فكانوا أول من بشر بالمسيح المخلص. أما رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون وغيرهم ممن كانوا مؤتمنين على حفظ النبوات، فلم يعرفوا زمن المولود ملك اليهود، ولما استفسر هيرودس الملك منهم عن مكان ميلاد المسيح، أخبره الكهنة ان النبي ميخا قد تنبأ بأن المسيح يولد في بيت لحم أفراتا، ولكنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عنه، فتم فيهم ما تنبأ به عنهم النبي اشعيا قبل الميلاد بثمانية قرون قائلا: «انهم شعب لا يعرف ولا يفهم، وفضّل عليهم الثور الذي يعرف قانيه والحمار الذي يعرف معلف صاحبه»(اش ١: ٢ ـ ٥).

فلا عجب من أن نرى العذراء مريم وخطيبها إذ لم يجدا لهما موضعاً في المنزل، يلتجئان إلى زريبة الثور والحمار، ليولد المسيح هناك وتقمطه أمه وتضجعه في مذود... بميلاده تحول ذلك المذود إلى مكان مقدس وصار قبلة أنظار المسيحيين كافة، فإليه يأتي ملوك الأرض وعظماؤها ويخلعون تيجانهم ويحنون هاماتهم بل ويسجدون للذي ولد فيه. أجل كان المذود المكان اللائق ليوضع فيه الطفل يسوع المخلص الذي إنما نزل من السماء ليعلمنا التواضع، وليكون تواضعه الدواء الناجع لشفاء الإنسان من داء الكبرياء، وأطاع حتى الموت موت الصليب، ليزيل عار تمرد الإنسان على أوامر ربه في الفردوس «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»(يو ٣: ١٦).

فالمذود هو المكان اللائق لمن جاء ليخدم لا ليُخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين، فبدأ تدبيره الإلهي بالجسد مضطجعاً في مذود بسيط ليكون الطرف الثاني من حياته صليب العار يحمله على كتفه أمام جمهور حاقد ينادي اصلبه اصلبه، ثم يعلق عليه، وليضطجع بعد موته بالجسد في قبر جديد لا يملكه... وهل كان يملك شيئاً من متاع الدنيا؟ وهو الذي لما سأله الكاتب قائلا له: يا معلم أتبعك أينما تمضي، فأجابه يسوع للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه»(مت ٨: ١٩ـ ٢٠).

أجل إن المؤمن المتأمل في مجريات حوادث ميلاد الفادي يمجد الله تعالى على تدبيره الإلهي وتوصيله الحقائق الإلهية إلى أذهان البشر، فقد تمت بحذافيرها النبوات التي أعلنها على لسان أنبيائه الصادقين.

أجل! إن حكمة الله في تدبيره الأكوان لا يدركها عقل الإنسان، فقد كانت العذراء مريم في الناصرة في بيت خطيبها يوسف، حيث كان الملاك جبرائيل قد بشرها بالحبل الإلهي، وقربت أيام حملها من الانتهاء، وأوشكت أن تلد ابنها البكر، ولو خيرت لمكثت في دار خطيبها يوسف في الناصرة. ولكن الله سبحانه وتعالى كان قد رسم منذ البدء أن يولد المخلص في بيت لحم أفراثا، وأعلن الوحي الإلهي ذلك على لسان النبي ميخا في القرن الثامن ق.م (ميخا ٥: ٢). وان ميلاده في بيت لحم بلدة داود، يثبت انه من نسل داود. ولكي يسجل يسوع المسيح المخلص في سجلات المملكة الرومانية كبرهان قاطع على انه قد جاء حقاً بالجسد من نسل داود، سخرت الإرادة الربانية اوغسطس قيصر ليصدر أمراً بأن يكتتب كل المسكونة ويعني بالمسكونة الشعوب التي كانت خاضعة للدولة الرومانية. ورسم الله تعالى أن يكون أمر اوغسطس قيصر بأن يكتتب اليهود حسب تقليدهم أي أن يذهب كل إنسان إلى مدينة أجداده ويكتتب هناك لئلا تتبلبل الأنساب والأنسال.

أجل سيبقى الإنسان المؤمن متعجّباً منذهلا وهو يقرأ قصة ميلاد الفادي لبساطة عباراتها وسهولة أسلوبها بحيث يفهمها الأطفال جملة وتفصيلا وفي الوقت ذاته لا يقوى الفلاسفة العظام على سبر غور معانيها وإدراك أسرارها الإلهية. وهذا ما عناه الرب يسوع بصلاته إلى أبيه بقوله عن تدبيره الإلهي في الجسد: «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال»(مت ١١:٢٥).

لقد أخفى الله أسراره عن الحكماء في أعين نفوسهم ليخزي حكمة هذا العالم، فلم يكن له موضع في دورهم، ولم يولد من

إحدى بنات الأغنياء والعظماء والفلاسفة والعلماء بل ولد من الفتاة الفقيرة اليتيمة العذراء مريم، ولكنها كانت سليلة الملوك والكهنة والأنبياء، ولم يوضع في سرير صنع من الذهب أو العاج، ولم يلف جسده الطاهر بالحرير الناعم، بل قمط بكتان ووضع في مذود في زريبة الخان في بيت لحم البلدة المتواضعة، لكي يجده كل من يطلبه. انه جاء لكل البشر وخاصة للكادحين والمتعبين والمظلومين، وكأني به وهو طفل صغير مضجع في المذود قد بسط ذراعيه وهو يدعو الناس إليه كما دعاهم بعدئذ قائلاً: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هيّن وحملي خفيف»(مت ١١: ٢٨ ـ ٣٠).

هذه هي رسالته السماوية العملية، أن نتعلم منه الوداعة والتواضع لنزيح عن كواهلنا أثقال العجرفة والغرور والكبرياء، فنحصل على السلام مع الله ومع أنفسنا ومع الناس أجمعين. وأن نتعلم منه المحبة التي تتمثل بصليبه المقدس الذي يدعوه نيره الهيّن وحمله الخفيف، وقد أمرنا أن نحمله كل يوم، وأن نتبعه في طريق الجلجلة طريق الآلام، طريق التضحية ونكران الذات، فالمذود هو بدء الطريق إلى الصليب. **والصليب هو المحبة، وله بعدان: الأول البعد العمودي الذي يتجه نحو السماء** ليستمدّ المحبة من الله الذي أحبنا أولا لنحبه من كل قلبنا وكل فكرنا وكل إرادتنا. **والبعد الثاني هو البعد الأفقي الذي يقاطع البعد العمودي، ويعكس محبتنا لله على كل البشر**، فنعمل بوصية الله بمحبتهم والتضحية في سبيل تخفيف آلامهم، مقتدين بذلك بالسامري الصالح الذي أسعف الساقط بين

اللصوص في المثل الذي ضربه الرب يسوع لنا ليعلمنا الرحمة التي هي ثمرة المحبة.

أجل إن رسالة عيد الميلاد هي رسالة المحبة، ويسوع الطفل الذي ولد في مثل هذا اليوم في زريبة وقمط وأضجع في مذود إذ لم يكن له موضع في المنزل نراه اليوم في ملايين الأطفال الذين لا مأوى لهم وهم مع أمهاتهم وآبائهم يتضوّرون جوعا، ونحن نتنعّم بخيرات كثيرة. وقد شابهنا الغني في مَثل الغني ولعازر الذي ضربه الرب يسوع، فالغني لم يُعِرِ أهمية للعازر الفقير الملقى أمام باب داره وهو يموت جوعاً، فمات الاثنان وأُخِذ الغني إلى جهنم أمّا لعازر فحملت الملائكة روحه إلى أحضان إبراهيم... فكل محتاج وكل فقير وكل يتيم معوز وأرملة مسكينة هم إخوة يسوع الصغار بل هم يمثلون الطفل يسوع الفقير الذي لم يكن له موضع في المنزل فأُضجِع في مذود في زريبة خان بيت لحم أفراثا. فهلاّ أخذنا بتعاليم الرب يسوع الذي سيدين البشر في اليوم الأخير على أساس ما قاموا به من أعمال الرحمة إلى جانب إيمانهم به. فهلاّ تُقنا إلى الوقوف عن جانبه الأيمن مع الذين سيسمعون صوته العذب قائلا لهم: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، ومحبوسا فأتيتم إلي... الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم»(مت٢٥: ٣٤ـ٤٠).

واليوم ونحن نحتفل بعيد ميلاد الرب يسوع هل يا ترى أعددنا له موضعاً ليولد في قلوبنا؟. هل حدّثنا أولادنا عن ميلاده العجيب في الجسد؟ وعن أمه العذراء مريم الفقيرة اليتيمة سليلة

الملوك والكهنة والأنبياء والقديسة العفيفة التي قالت عن نفسها «فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوّبني لأن القدير صنع بي عظائم..». هل حدّثناهم عنها كيف كانت تحفظ في قلبها كل الكلام الذي كانت تسمعه من السماء ومن أبناء الأرض؟ وتلهج في ناموس الرب ليل نهار؟ أم حوّلنا عيد الميلاد إلى أمور دنيوية لا تمت روحياً إلى العيد بصلة؟. هل حدثناهم عن محبة الله لنا وإرساله ابنه الوحيد لخلاصنا، واضطجاع الابن في مذود في زريبة ليعلمنا التواضع والوداعة.. لأنه لم يكن له موضع في المنزل؟ فهل **له موضع في منازلنا وفي قلوبنا**؟ أم أن قلوبنا مليئة بمحبة غيره... **كما كانت قلوب الكتبة والفريسيين وكهنة اليهود** الذين تجاهلوا النبوات واهتموا بالأمور الدنيوية؟...

هل يا ترى ونحن نحتفل بطقوسنا الدينية في هذه المناسبة السعيدة نشعر بأن المسيح معنا وبيننا يشاركنا فرحة العيد أم أننا غرباء عنه وهو بعيد عنا؟ فقد سمي عمانوئيل الذي تفسير الله معنا(مت ١: ٢١). فهل قبلناه مخلصاً لنا، وآمنا بسري التجسد والفداء؟ أم نقوم بطقوس أعياده كفروض روتينية، لها صورة التقوى ولكنها فقدت قوتها؟ وانقلبت لدينا العادات الروحية إلى عادات اجتماعية بحتة لا تمت إلى الروح بصلة، وقد انتهزنا فرصة **عطلة العيد لنقضي أوقاتاً** نتمتع بها بلذات جسدية غير مشروعة، بالسكر والعربدة والعهر والميسر؟ الأمور التي تبعد المسيح عنا وتبعدنا عن المسيح إذ لا يكون له موضع في منازلنا وقلوبنا بل لن يوجد معنا في تلك المناسبات. لأنها بعيدة عن روح التقوى ومخافة الله والوداعة والتواضع.

فلنهيّئ موضعاً للمسيح في منازلنا، وفي قلوبنا ونفوسنا، لنحيا لا نحن بل هو يحيا فينا(غل ٢: ٢٠). ولنقتد بالعذراء التي كانت تحفظ في قلبها ما سمعته من الملائكة والمجوس والرعاة وما رأته من المعجزات الباهرات وبشرت به، ولننصت جيداً إلى قول الرب يسوع وهو يجيب المرأة التي رفعت صوتها من الجمع وقالت له: «طوبى للبطن الذي حملك والثديين الذين رضعتهما. وأما هو فقال: بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه»(لو ١١: ٢٧). فلنسمع كلام الله ونحفظه ونعمل به لنستحق الطوبى التي نالتها العذراء مريم بولادتها السيد المسيح بالجسد وليكن عيده مباركاً عليكم آمين.

جند السماء وميلاد الفادي

«فقال لهم الملاك لا تخافوا، فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكمٍ اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب... وظهر بغتةً مع الملاك جمهورٌ من الجند السَّمويِّ مسبحين الله وقائلين، المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرّة»(لو ٢: ١٠ ـ ١٤).

حمل الملائكة النورانيون رسالة السلام هذه، ليلة ميلاد الفادي، إلى رعاة بسطاء كانوا ساهرين على هضاب بيت لحمٍ، يحرسون غنمهم، فأشرق عليهم نور سماوي حوّل ليلهم نهاراً. وخاطبهم ملاك الرب بلغتهم السريانية الآرامية، بغاية اللطف والرقة ليهدئ من روعهم، قائلاً: «لا تخافوا»، فاطمأنت نفوسهم، وانصتوا إليه وهو يواصل كلامه قائلاً: «فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب، وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السمويِّ مسبحين الله وقائلين:

ܬܫܒܘܚܬܐ ܠܐܠܗܐ ܒܡܪ̈ܘܡܐ. ܘܥܠ ܐܪܥܐ. ܫܠܡܐ ܘܣܒܪܐ ܛܒܐ ܠܒܢ̈ܝܢܫܐ܀

«المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام». (والرجاء الصالح للبشر). فآمن الرعاة بما شاهدوا وسمعوا، وامتلأت قلوبهم بالرجاء الصالح الذي هو الفرح الروحي، وأطاعوا أوامر السماء. وذهبوا مسرعين إلى بيت لحم، ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود، فلما رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي... ثم رجعوا وهم يمجدون الله ويسبحونه، على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم (لو ٢: ٨ ـ ٢٠).

أما مريم العذراء، والدته، فكانت تحفظ جميع هذا الكلام مفكرة به في قلبها (لو ٢: ١٩) وحملت بدورها بشارة السلام إلى سكان البسيطة، فصارت هذه البشارة أغنية الأمل الوطيد، والرجاء الصالح الذي لا يخيب، ومصدر المسرة الروحية في قلوب البشر ذوي الإرادة الصالحة، لحلول السلام الإلهي فيها. فقد ولد مخلص العالم الذي انتظرته البشرية، وجاء «ليخلص ما قد هلك»(مت ١٨: ١١) «ولتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل»(يو ١٠: ١٠). وليؤسس ملكوته السماوي على الأرض، الملكوت الذي هو «برٌّ وسلامٌ وفرحٌ في الروح القدس»(رو ١٤: ١٧) على حد تعبير الرسول بولس.

وللمحبة العميقة التي يكنّها الملائكة للبشر، ملأ الفرح قلوبهم، وهم يرون سياج العداوة القائم بين الأرض والسماء يتصدع وينهار، وبادرة السلام بين الله والإنسان تبدو في الأفق وتظهر. فأنشدوا نشيد الظفر، ومجدوا الله العظيم الذي لتواضعه هبط من علياء سمائه، وولد من عذراء طاهرة ليفدي الجنس البشري من الخطية، ويحرره من ربقة عبودية إبليس، ويهب له الحياة الأبدية.

فابتهجت أرواح الآباء والأنبياء الذين رقدوا على رجاء مجيء المخلص. وهتفت تلك الأرواح مناجية أصدقاء البشرية الملائكة الصالحين قائلة: «سبحوا الرب من السموات سبحوه في الأعالي، سبحوه يا جميع ملائكته»(مز ١٤٨: ٢) «سبحوه يا كل جنوده»(زك ١: ٣). فازداد الملائكة تسبيحاً ليلة الميلاد، مرددين الأنشودة الخالدة أمام الرعاة قائلين: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر». ولا غرو فقد خلق الله تعالى الملائكة لتمجيده كقول الكتاب: «الصانع

ملائكته أرواحاً، وخدامه لهيب نار»(مز١٠٣: ٤) «وهم أشرف من الإنسان وأقوى»(عب ٢: ٧) خالدون، لا يفنون، ولا يموتون، لذلك هم لا يأكلون ولا يشربون، ولا يزوّجون ولايتزوّجون(مت ٢: ٣٠ ولو ٢٠: ٣٥ و ٣٦ ومر ١٢: ٥) ولا يتناسلون، ولا يتكاثرون، ولكن لا يحصى لهم عدد. وهم يسكنون السماء ويمثلون أمام الله ـ وقد رآهم النبي أشعيا وسمعهم يمجدون الله ويعبدونه «وكان هذا (السرافين) ينادي ذاك ويقول: «قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربُّ الجنود الأرض كلها مملوءة من مجده»(اش ٦: ٣). ويتحلى الملائكة الصالحون بفضائل سامية منها نكران الذات، والترفّع عن الحسد والكبرياء، ومنها محبة البشر والسعي لخلاصهم.

وعلى الرغم من سعة معرفة الملائكة فقد خفي عنهم سرُّ التجسد العجيب، ولم يسبروا غوره، حتى شاهدوه معلنا، وبهذا الصدد يقول الرسول بولس.. «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى، الله ظهر بالجسد...تراءى لملائكة»(١تي ٣: ١٦) فسر التقوى عجيب جداً، ذلك أن الإله المحتجب بجوهره، الخفيَّ بألوهته، حملته العذراء مريم في بطنها جنيناً، وولدته بصورة عجيبة، فرآه الملائكة والبشر طفلاً مقمّطاً، مضجعاً في مذود فمجَّده جنود السماء أمام الرعاة البسطاء.

أما الملائكة الأشرار، أولئك الذين تمردوا على الخالق متكبرين متعجرفين، فسقطوا من رتبهم وهلكوا. وهم أعداء الله وأعداء ملائكته الصالحين، والبشر أجمعين. هؤلاء الأبالسة لم يدركوا أبداً كنه سرّ التجسد وقد أخفاه الله عنهم، ليفاجئهم بالمعركة الفاصلة التي تمت على الصليب، حيث دحرهم وظفر بهم، وبهذا الصدد يقول مار إغناطيوس النوراني (١٠٧+) البطريرك الأنطاكي الثالث:

«إن إبليس جهل أسراراً ثلاثة عجيبة تمت في صمت، وهي: بتولية العذراء، والحبل بالرب يسوع وولادته بالجسد وموته فسقطت مملكة (إبليس) القديمة، لأن الله قد ظهر في الجسد ليكمل النظام الجديد (رو ٦: ٤). ويمنح الحياة الأبدية (للمؤمنين به)».

وقد قال الرب: «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء»(لو ١٠: ١٨).

وأنعم الله على الملائكة الأبرار أن يبلّغوا البشر النبأ العظيم قبل وقوعه بمئات السنين، ولئن لم يدركوا سره، فقد أرسل النبي دانيال في بابل حيث كان مع قومه المسبيين، فأعلن له موعد مجيء المخلص بقوله: «سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة، لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين»(دانيال ٩: ٢٤) وهذه المدة هي أربعمائة وتسعون سنة، باعتبار كل أسبوع في النبوة يعادل سبع سنين، وبعد ظهور الملاك جبرائيل للنبي دانيال، احتجبت رسل السماء عن الأبصار البشرية نحواً من خمسمائة سنة. وفي ملء الزمان ظهر جبرائيل رئيس الملائكة لزكريا الكاهن في هيكل البخور، مبشراً إياه بأن امرأته اليصابات العاقر ستحبل بابن في شيخوختها، وأمره أن يدعو اسم المولود يوحنا، وبين له وظيفته، وهي تهيئة الشعب ليكون للرب. وبيوحنا، ومعنى اسمه الحنان والرحمة، بدأ عهد الحنان والرحمة، عهد النعمة الإلهية والفداء. وهيأ يوحنا الناس الإيمان بالمسيح، بمناداته إياهم ليتوبوا ويعودوا إلى الله فقد اقترب منهم ملكوت الله.

وهكذا لما بلغ ملء الزمان، ودنا موعد إتمام النبوات توارد الملائكة، بعدد أوفر، وجاءوا إلى الأرض ليعلنوا للبشر رسالة السماء، الحدث الأهم في الكون ألا وهو تجسد الإله الكلمة. وجبرائيل الذي بشر دانيال، **ودعا المخلص قدوس القدوسين،** هو ذاته في ملء الزمان بشر العذراء مريم بالحبل بالمسيح يسوع بقوله: «السلام لك أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك. مباركة أنت في النساء... لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً. فأجاب الملاك وقال لها. الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً **القدوس المولود منك يدعى أبن الله**»(لو ١: ٢٦ ـ ٣٥)

إن جبرائيل ذاته يظهر في حلم ليوسف خطيب العذراء مريم ويطمئنه عن براءتها قائلاً: «يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»(مت ١: ٢٠ و ٢١) وهنا أيضاً يعلن الملاك جبرائيل اسم المولود، ووظيفته، فيدعى اسمه يسوع، أي المخلص «لأنه يخلص شعبه من خطاياهم».

وفي ميدان إنقاذه البشرية، واكب الملائكة الرب يسوع، في كل مرحلة من مراحل تدبيره الإلهي في الجسد ليتم ما كتِب عنه «لأنه يوصي ملائكته بك ليحفظوك في جميع طرقك، على أيديهم يحملونك لئلا تصدم بحجرٍ رجلك» (مت ٤: ٦ ولو ٤: ١٠ و ١١)

فعلى أثر ظفر الرب يسوع بإبليس في معركة التجارب في البرية، تركه إبليس، «وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه»(مت٤: ١١ ومر١: ١٣).

وفي البستان في جبل الزيتون وهو يصلي إلى أبيه قبيل آلامه ويسلم إليه إرادته، «ظهر له ملاك من السماء يقوّيه»(لو٢٢: ٤٣) ولما ألقى أعداؤه القبض عليه قال لبطرس: «رد سيفك إلى مكانه... أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشا من الملائكة»(مت٢٦: ٥٢و٥٣).

وعلى أثر قيامته من الأموات في فجر الأحد، حدثت زلزلة عظيمة، «لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس فوقه»(مت٢٨: ٢) و(يو٢٠: ١٢). وبشر الملاك المرأتين بقيامة الرب يسوع من الأموات.(مت٢٨: ٥).

ولما صعد الرب إلى السماء، ظهر ملاكان للتلاميذ وقالا لهم: «أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء، إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما عاينتموه منطلقا إلى السماء»(أع١: ١٠و١١).

فكما واكبت الملائكة الرب يسوع في تدابيره الإلهية بالجسد في مجيئه الأول لخلاص العالم، كذلك ستوكبه ملائكته في مجيئه الثاني، يوم يأتي لدينونة العالمين. فيوم ميلاده ظهر ملاك الرب، وبشر الرعاة بميلاده وأعلن أنه مخلص وهو مسيح الرب. ويوم مجيئه الثاني سينفخ رئيس الملائكة بالبوق. ويقول الرسول بولس بهذا الصدد: «لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكةٍ وبوق الله سوف ينزل من السماء»(اتس٤: ٦). ويقول الرب أيضا: «لأن ابن الإنسان مزمعٌ أن يأتي في مجد

أبيه مع ملائكته» «وحينئذ يجلس على كرسي مجده ويدين العالم» (مت ٢٥: ٣١ ولو ٩: ٢٦ و ٢تس ١: ٧ ومت ١٦: ٢٧ ومر ٨: ٣٨ و ١كو ١٥: ٥٢ و ١تس ٤: ١٥) وقال الرب أيضاً: «هكذا يكون في منتهى الدهر يخرج الملائكة ويميّزون الأشرار من بين الأخيار» (مت ١٣: ٣٩ ـ ٥٠ و ٢٤: ٣١ ومر ١٣: ٢٧).

قال الكتاب عن الملائكة «أليس جميعهم أرواحاً خادمة ترسل للخدمة من أجل الذين سيرثون الخلاص»(عب ١: ١٤) إن من نعم الله العظيمة على الإنسان، أنه تعالى عيّن لكل إنسان ملاكاً حارساً يرافقه منذ ساعة ولادته وحتى مغادرته هذه الحياة وعند مماته يحمل الملاك روحه إلى السماء، قال الرب: «فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم»(لو ١٦: ٢٣) وقال صاحب المزامير: «ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه وينجّيهم»(مز ٣٤: ٧) وقال الرب: «انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأني أقول لكم أن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات»(مت١٨: ١٠).

لقد رافق الملائكة الرسل الأطهار، والتلاميذ الأبرار، وساعدوهم على نشر البشارة وخلّصوهم من أعدائهم ومن الموت أحياناً عديدة (أع٥: ١٩و٢٠ و١٢: ١٥ و ١١: ٣ـ١٤).

كما أن ملاكاً صالحاً يرافق الإنسان كذلك يرافقه ملاك شرير يقيمه إبليس على نحو ما يفعل الله في تدبير ملكه، ويعهد إبليس إلى ملاكه بغواية الإنسان الذي يرافقه وتجربته لذلك على المؤمن أن يطيع ملاكه الصالح ويرفض الشرير.

فالملاك الصالح يريد خلاص الإنسان ويسعفه ويعينه(دا١٠: ١٣) وينقذه من الشرور (تك٤٨: ١٦) ويحفظه في كل طرقه(مز ٩: ١١ ـ ١٢) ويرشده إلى عمل الخير ويحذره من

إتيان الشر، ويحاول تنبيه الخاطئ ليعود إلى الرب بالتوبة ويتشفع فيه إلى الله لاستجلاب رضاه تعالى(زك ١: ١٢ـ ١٣) ويفرح بقبول توبته وبهذا الصدد قال الرب: «أقول لكم انه هكذا يكون في السماء فرح بخاطئ واحد يتوب أكثر مما يكون بتسعة وتسعين صدّيقاً لا يحتاجون إلى التوبة»(لو ١٥: ٧).

فرسالة الميلاد هي رسالة الخلاص، ورسالة السلام مع الله وهي رسالة السلام مع الملاك الحارس الذي يرافق كلا منا. فعلينا أن نكرّمه ونشكره على جميله وخدمته الجليلة لنا، ولكن لا نعبده، لأن عبادة أي كائن، غير الله تعد كفراً وإلحاداً، ولكن علينا أن نطيعه لأنه يريد لنا الخير، مقتدين بالرعاة الذين أطاعوا الملاك الذي بشرهم بولادة يسوع المخلص، وبطاعتهم إياه استحقوا أن يسمعوا أنشودة المجد من أفواه الملائكة القائلين: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرّة»، كما بالطاعة أيضاً استحقوا أن يروا يسوع طفلاً مقمّطاً مضجعاً في مذود كما وصفه لهم الملاك.

ورسالة الميلاد رسالة توبة نصوح، وعودة إلى الله، والسهر الدائم لانتظار يسوع بمجيئه الثاني، لنشاهد الملائكة القديسين وهم يرافقونه. فقد قال «فاسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان»(مت ٢٥: ١٣).

ليكن هذا العيد مباركاً عليكم أيها الأحباء أعاده اللّه عليكم وأنتم بأحسن حال، وأنعم بال، وأهّلكم وإيانا لميراث ملكوت الله مع المسيح يسوع في مجيئه الثاني آمين.

الكلمة صار جسداً(*)

«في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان»(يو ١:١ و ٢).

مبارك إلهنا العظيم الذي أهلنا لنحتفل بعيد الميلاد المقدس. متأملين بإيمان متين في سر التجسد الإلهي، ذلك الحدث السماوي العجيب، الفريد من نوعه، فلم يسبقه شبيه ولن يكون له مثيل، وقد وقع قبل عشرين قرناً في بيت لحم أفراتا، وغيّر وجه التاريخ، بل صار تاريخ التواريخ. فقد جمع بين الأرض والسماء ووطد السلام بين الله والإنسان، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، وأخيرا بين الإنسان وذاته، وأسمعت الملائكة البشر ترنيمة الخلود وهم يمجدون الله قائلين: «ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ ܒܡܪܘܡܐ ܘܥܠ ܐܪܥܐ ܫܠܡܐ ܘܣܒܪܐ ܛܒܐ ܠܒܢܝܢܫܐ» «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»(لو ٢: ١٤).

أجل إن سر التجسد الإلهي لا تدركه عقولنا البشرية، تماما كعدم أدراكنا سائر الحقائق الإلهية التي أوحتها السماء، وأعلنتها على ألسنة الرسل والأنبياء، وسلم بها المؤمنون، وقبلوها عقائد إيمانية، وقواعد لسلوكهم في هذه الحياة الدنيا، لينالوا إذا ما عملوا بها الحياة الأبدية. ويلخص الرسول بولس عقيدة التجسد الإلهي بقوله: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر بالجسد»(اتي ٣: ١٦). فلم يكن ميلاد السيد المسيح في الجسد

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد الميلاد المقدس المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق في٢٥/١٢/١٩٩٤ .

بدء تاريخه، لأنه له المجد هو الكلمة الأزلي الذي يصفه الرسول يوحنا في مقدمة الإنجيل المقدس الموحى بها من الله قائلا: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»(يو ١ : ١). ولفظة البدء في هذه الآية المقدسة لا تعني بدء الزمان بل تعني حتما ما قبل الخلق والزمن، ولم يكن قبل الخلق والزمن إلا الله تعالى، كما أن الفعل (كان) يدل هنا على الكينونة وليس على الزمن، ويسوع المسيح الإله المتجسد ليس إلها ثانيا غير الله تعالى، ولكنه واحد مع الله في الألوهة لا يفارقه البتة كعدم مفارقة الكلمة للعقل لحظة واحدة، ولا يوجد الكلمة بدون العقل لحظة واحدة. فالله الآب هو العقل الأزلي وابنه الوحيد المولود منه قبل كل الدهور ميلاداً روحياً أزلياً هو كلمة الله الأزلي ولا نتصور أن يكون الله الآب لحظة واحدة بدون ابنه الوحيد وروحه القدوس المجيد، فأزلية كلمة الله وروحه القدوس هي عين أزلية الله الآب، والكلمة هو ذات الله وهو الله ذاته في طبيعته وجوهره وكذلك الروح القدس. هذه خلاصة عقيدة التجسد التي تعتبر محور عقائدنا المسيحية السمحة المبنية على أساس الإيمان بالمسيح يسوع الأزلي الذي ولد ميلادا زمنيا في الجسد، يصفه الرسول يوحنا بقوله: «والكلمة صار جسدا وحل فينا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا» (يو ١ : ١٤)، فقد تجلى مجد الله للبشر في سر التجسد الإلهي «فالله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر»(يو ١ : ١٨)، وقد سمعنا الرب يسوع يقول عن ذاته: «الذي رآني فقد رأى الآب... صدقوني إني في الآب والآب فيّ»(يو ١٤ : ٩ و ١١). كما أن السماء شهدت له محددة العلاقة الطبيعية بينه وبين الآب السماوي، فعلى أثر صعود الرب

يسوع من نهر الأردن بعد أن اعتمد من يوحنا المعمدان هبط الروح القدس على هامته بشبه حمامة وسمع صوت الآب من السماء قائلا: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (مت ٣: ١٧). وعلى جبل التجلي أيضا سمع صوت الآب قائلا: «هذا ابني الوحيد الذي به سررت له اسمعوا» (مت ١٧: ٥ ولو ٩: ٣٥)، كما أن رئيس الملائكة جبرائيل وضّح هذه الحقيقة للعذراء مريم يوم بشرها بالحبل الإلهي قائلاً لها: «فالمولود منك قدوس وابن الله يدعى»(لو ١: ٢٥). قد أعلنت السماء هذه العقيدة على لسان هامة الرسل بطرس الذي اعترف بألوهة المسيح يسوع بقوله له: «أنت هو المسيح ابن الله الحيّ، فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحما ودماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً، أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها»(مت١٦: ١٦ـ ١٨) فعلى هذا المبدأ الإيماني السامي أسّس الرب يسوع كنيسته المقدسة، **وإذا فقدت الكنيسة إيمانها الصحيح بالمسيح يسوع انقلبت إلى مؤسسة اجتماعية أخلاقية كسائر المؤسسات الاجتماعية العالمية التي تسنّ القوانين وتضع الشرائع والنواميس لتحديد علاقات البشر بعضهم ببعض على أساس المصالح المشتركة، ولكن الكنيسة المقدسة مبنية على أساس الإيمان بشخص المسيح يسوع الذي وعدها أن يمكث فيها إلى الأبد وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، ولم يكن المسيح مجرد إنسان بل هو كلمة الله المتجسد** وعلى حد تعبير قانون الإيمان الذي وضعه مجمع نيقية المسكوني الأول في أوائل القرن الرابع ملخصاً فيه عقيدة المسيحية إن المسيح هو «المولود من الآب قبل كل الدهور، نورٌ من نور إلهٌ حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ

للآب في الجوهر، الذي به صار كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء (والدة الإله) وصار إنسانا وصُلب عوضاً عنا في عهد بيلاطس البنطي، تألم ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما شاء، وأيضا سيأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات، ذلك الذي ليس لملكه انقضاء» والنبي إشعياء في القرن الثامن قبل الميلاد يتنبّأ عنه بقوله: «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل»(إش٧: ١٤) فالمسيح عمانوئيل، ويفسر الرسول متى هذه اللفظة الآرامية السريانية قائلا: «الذي تفسيره الله معنا»(مت١: ٢٣) وعمانوئيل هو يسوع، كما دعاه الملاك الذي ظهر في الحلم ليوسف خطيب العذراء قائلاً: «يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم» (مت١: ٢٠و٢١) ومعنى لفظة يسوع الله المعين والمخلّص.

«فلما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبنّي»(غلا٤: ٤و٥) على حد تعبير الرسول بولس. فرسالة وليد بيت لحم إذن هي رسالة الخلاص رسالة الفداء «ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني» وهذا ما بشّر به الملاك للرعاة البسطاء يوم ميلاد الفادي قائلا لهم: «لا تخافوا فها أنا أبشّركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص هو المسيح الرب. وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمّطا مضجعا في مذود»(لو٢: ١٠-١٢).

أجل! لم يتجسد الفادي ليأخذ الملك من هيرودس الغريب الجنس، ولم يتجسد ليحرر شعب العهد القديم من الاستعمار الروماني، بل قد جاء من السماء وولد من مريم العذراء ليخلّص البشر من خطاياهم وليحررهم من ربقة الخطية الأصلية، وقد وقع ميلاده في الجسد في ملء الزمان، الوقت الذي عيّنه الله تعالى وحدّده منذ بدء الخليقة لتجسّد الكلمة من أجل خلاص العالم الذي كان بأمسّ الحاجة إلى الخلاص، وكان الأبرار والأتقياء ينتظرون بفارغ الصبر ظهور المخلّص وهم يدرسون النبوّات، ويتوقعون إتمامها بحذافيرها في ذلك الزمان.

أيّها المؤمنون: لقد تجسّد كلمة الله الأزلي، وفدانا بدمه الكريم لنستحق أن نرث الحياة الأبدية.

ولد من الروح القدس ومن مريم العذراء لنولد نحن من الماء والروح (يو ٣: ٥) ، والروح القدس ونار (لو ٣: ١٦).

صار كلمة الله ابن البشر، لنصير نحن أولاد الله بالنعمة «الذين ولدوا ليس من دمٍ ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله»(يو ١: ١٣) على حدّ تعبير الرسول يوحنا.

فلنسلك في الأرض كأبناء السماء بإيمان ومحبة ورجاء، لنستحق أن نكون في عداد الأبرار والأتقياء المنتظرين مجيئه الثاني لنخرج معهم للقائه، ونرث معه ملكوته السماوي بنعمته آمين، وكل عام وأنتم بخير.

عماد الرب يسوع (*)

«كان صوت من السموات أنت ابني الحبيب الذي به سررت»

(مر ١: ١١)

عاش الرب يسوع، بعد ميلاده العجيب في الجسد، كسائر أترابه في بلدة الناصرة، ولكنه امتاز عنهم باستقامته، ونقاء سيرته، والى ان بلغ الثلاثين من عمره، كان يعرف بالنجار ابن مريم (مر ٦: ٣) وابن النجار (مت ١٣: ٥٥) أي ابن يوسف النجار، وقد صمت الأنجيل المقدس عن ذكر مجريات حياته اليومية في تلك الفترة الزمنية. فلم يذكر إلا زيارته للهيكل، عندما بلغ الثانية عشرة من عمره، السن التي كان الفتى اليهودي يدعى فيها ابن الشريعة، وعليه أن يحفظ الناموس والفرائض ويزور الهيكل ليظهر أمام الرب. ويذكر الأنجيل المقدس، ان العذراء مريم ويوسف خطيبها، فقدا الصبي يسوع بعد انتهاء زيارتهما لاورشليم، وإذ ظناه بين الرفقة، ذهبا مسيرة يوم في طريق عودتهما إلى الناصرة، ولما طلباه ولم يجداه بين الأقرباء والمعارف، عادا أدراجهما إلى أورشليم ليفتشا عنه «وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل، جالساً في وسط المعلمين، يسمعهم ويسألهم، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته، فلما أبصراه، اندهشا، وقالت له أمه: يابني لماذا فعلت بنا هكذا، هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين، فقال لهما: «لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي»

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف أثناء القداس الإلهي بمناسبة عيد عماد الرب في ١٩٩٤/١/٧.

(لو ٢: ٤٦ـ ٤٩). بهذه العبارة أعلن الرب يسوع حقيقة بنوته للّه الآب، هذه العقيدة السمحة التي أوضحها الآب السماوي بصوت جاء من السماء قائلاً للرب يسوع: «أنت هو ابني الحبيب الذي به سررت»، وسمع هذا الصوت الإلهي جمهور من الناس على ضفاف نهر الأردن، وكان يسوع يومذاك قد بلغ الثلاثين من عمره، وقد جاء من ناصرة الجليل إلى يوحنا ليعتمد منه(مت ٣: ١٣)، وكانت المسافة بين ناصرة الجليل ونهر الأردن مسيرة يوم كامل، مشاها الرب يسوع، وحالما التقى يوحنا، طلب منه أن يعمده، ولكن يوحنا امتنع عن ذلك قائلاً له: «أنا المحتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلي، فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن، لأنه هكذا يليق أن نكمل كل برٍّ، حينئذ سمح له»(مت ٣: ١٤ و ١٥). وهذا البر الذي أراد يسوع أن يكمله هو بر التواضع، الذي بدأ فيه بتجسده، إذ اختار العذراء مريم الفتاة الفقيرة اليتيمة المسكينة أمّاً له، لقداستها وطهرها ونقاوتها وعفتها، وولد منها في بلدة بيت لحم أفراته المتواضعة، في مغارة بسيطة، حيث قمطته ووضعته في مذود، وكرمته السماء، فأرسلت الملائكة لتبشر الرعاة البسطاء، ولتنشد ترنيمتها الخالدة «المجد للّه في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة»(لو ٢: ١٤). أما عماده من يوحنا، فقد كمل به البر، إذ قدم لنا أعظم مثل بالتواضع، عندما جاء إلى يوحنا المعمدان وطلب منه أن يعمده كأي خاطئ آخر، وهو وحده، ممن لبس الجسد، بريء من الخطية. فإذا كان الخطاة قد اعترفوا بخطاياهم الشخصية ونالوا المغفرة بالتوبة التي قدموها على يد يوحنا الذي عمدهم معمودية التوبة، فإن الرب يسوع اعترف أمام يوحنا بخطايا البشرية التي وضعت على عاتقه بارادته، ولذلك دعاه يوحنا بعدئذ حمل اللّه الرافع خطايا العالم

(يو ١: ٢٩). وبعماده قدس الرب الماء، إذ لامس جسده الطاهر، كما كمل يوحنا أيضا البر بخضوعه وطاعته للمسيح وتعميده اياه، وكرم الآب ابنه الوحيد لتواضعه. ففيما هو يصلي بعد خروجه من الماء انفتحت السموات وهبط الروح القدس عليه بهيئة جسمية مثل حمامة، وإذا بصوت من السماء سمعه كل الحاضرين قائلا ليسوع: «أنت ابني الحبيب الذي به سررت» (مر ١: ١١).

لقد انفتحت السموات التي كانت مغلقة في وجه الإنسان منذ سقوطه في وهدة الخطية، انفتحت أمام حمل اللّه المخلص الذي قدم بعدئذ ذاته لأبيه السماوي ذبيحة كفارية عن العالم فتمت على يديه المصالحة بين اللّه والإنسان(٢كو ٥: ١٩).

وإن هبوط الروح عليه كان أيضا ليتعرف عليه يوحنا الذي قال بعدئذ: «وأنا لم أكن أعرفه لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء هو قال لي: ان الذي ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذي يعمد بالروح القدس، وأنا عاينت وشهدت أن هذا هو ابن الله»(يو ١: ٣٣و٣٤). فلم يكن المسيح بحاجة إلى أن يحل عليه الروح القدس، فهو مملوء نعمة وحقاً كما قال عنه يوحنا الرسول، بل هو الذي تجسد من الروح القدس ومن العذراء مريم، ولكن ظهور الروح القدس عند العماد بهيئة جسمية مثل حمامة كان لكي يميزه من بين الجمهور، وليذكرنا بما جاء في سفر التكوين القائل: «وكان روح اللّه يرِفُّ على وجه المياه» (تك ١: ٢).

أجل لقد ظهر الثالوث الأقدس لأول مرة في التاريخ، أمام الجماهير، في حادثة عماد الرب يسوع. ولذلك ندعو هذا العيد عيد الدنح «دنحو» أي الظهور والضياء والنور والبهاء، فالابن قد خرج من الماء بعد أن اعتمد من يوحنا، والروح هبط عليه من السماء

بهيئة جسمية مثل حمامة، والآب نادى مخاطباً الابن من السماء قائلاً: «أنت هو ابني الحبيب الذي به سررت». وبعماده أسس الرب سر المعمودية، الذي جعله باباً للدخول إلى ملكوت اللّه على الأرض، ونيل المؤمنين المعمدين نعم التبرير والتقديس والتبني، وبصيرورتهم بنين بالنعمة فهم ورثة بالمسيح لملكوته السماوي.

وتتم المعمودية عادة باسم الثالوث الأقدس، كما رسم ذلك الرب يسوع ذاته، إذ أوصى تلاميذه قائلاً: «... فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والأبن والروح لقدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (مت ٢٨: ١٩و٢٠). وفي بدء طقس المعمودية، يعلن المؤمنون صورة إيمانهم، معترفين بالثالوث الأقدس الإله الواحد. فالوحي الإلهي الذي أعلن لنا منذ البدء، أن اللّه واحد، هو ذاته أعلن لنا أن هذا الواحد بالجوهر، هو ثلاثة أقانيم متساوية بالجوهر، وأن المسيح هو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس ويدعى ابن اللّه الوحيد.

أجل، لقد أرسل اللّه يوحنا المعمدان ليهيئ الطريق أما الرب يسوع ابن اللّه الوحيد، وتنبأ أشعياء عن يوحنا بقوله: «صوت صارخ في البرية، أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة» (مت ٣: ٣). وكان يوحنا يكرز في برية اليهودية قائلاً: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت اللّه»، وكان الملاك جبرائيل يوم بشر أباه زكريا أن امرأته اليصابات ستلد له ابناً وتسميه يوحنا، قد وضّح رسالته بقوله: «لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لايشرب، ومن بطن أمه يمتلئ بالروح القدس، ويرد كثيرين من بني اسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه بروح ايليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الابرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً (لو ١: ١٠ـ١٧). وقام يوحنا برسالته خير قيام، وهيأ الشعب ليتوب ويعود إلى الله، ليستعد للعماد بالروح القدس ونار

على يد ماشيحا المنتظر يسوع المسيح، الذي دعاه يوحنا «ابن اللّه» (يو ١ : ٣٧) هذه الحقيقة الإلهية التي كان الملاك جبرائيل قد أعلنها إلى العذراء مريمٍ يوم بشرها بالحبل الإلهي بقوله: «وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا، وتسمينه يسوع، وهذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى.. أجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله»(لو ١ : ٣١ و٣٥).

لقد أدرك الرسل الأطهار والتلاميذ الأبرار فحوى هذه العقيدة السامية بوضوح، وآمنوا ببنوة المسيح للّه الآب. فهامة الرسل بطرس قال للرب يسوع: «أنت هو المسيح ابن اللّه الحي» (مت ١٦ : ١٦). ومرقس البشير تلميذ بطرس، يبدأ الإنجيل الذي كتبه بقوله: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن اللّه» (مر ١ : ١). والرسول يوحنا بعد أن يبدأ انجيله بتسمية المسيح «الكلمة» الذي كان في البدء، يقول: «والكلمة صار جسداً وحلّ فينا، ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً»(يو ١ : ١٤). وفي ختام إنجيله يقول: «أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن اللّه ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه»(يو ٢٠ : ٣١). وها نحن لانعترف بأية جماعة بأنها كنيسة مسيحية، ما لم يعترف أتباعها بان المسيح هو ابن اللّه الوحيد، و بحسب تعبير دستور الإيمان النيقاوي (٣٢٥م) «إن المسيح مولود من الآب قبل كل الدهور، وهو نور من نور، إله حق من إله حق، وهو مساوٍ للآب في الجوهر...».

والمسيح ابن اللّه الأزلي، قد أعطانا أن نصير أولاداً للّه بالنعمة، بعد أن نولد من جرن المعمودية ميلادا ثانياً من

السماء، الأمر الذي وضحه الرب يسوع لنيقوديموس بقوله: الحق الحق أقول لك: «إن كان احد لا يولد من فوق لايقدر أن يرث ملكوت الله... الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لايقدر أن يدخل ملكوت الله»(يو ٣: ٣ و ٥). لذلك أوصى الرب تلاميذه قائلاً: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد، خلص، ومن لم يؤمن، يدن»(مر ١٦: ١٥ و ١٦). إذن سر المعمودية ضروري للخلاص، ولذلك تسلمت الكنيسة من الرسل الأطهار والآباء القدامى الأبرار، ان تعمد الأطفال بناء على إيمان آبائهم خوفاً من أن يدركهم الموت في مرحلة الطفولة، وبذلك يخسرون ملكوت الله. وبهذا الموضوع يقول الرسول يوحنا: «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسدٍ ولا من مشيئة رجلٍ بل من الله» (يو ١: ١٢ و ١٣).

فنحن جميعاً اسرة واحدة، ولدنا من أم واحدة هي المعمودية، التي أسسها الرب يسوع يوم اعتمد من يوحنا، كما ارتأى بعض آبائنا السريان. والمعمودية ترمز إلى موت المسيح ودفنه وقيامته، والرسول بولس يقول بهذا الصدد: «فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من بين الاموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة»(رو ٦: ٤).

ولذلك نحن السريان نعمد المؤمنين بتغطيسهم في جرن المعمودية ثلاثاً. وهكذا يرمز إلى دفن المعتمد مع المسيح، وإن إخراجه من جرن المعمودية يرمز إلى قيامته مع المسيح. وهكذا يدفن المعمَّدون مع المسيح ليقوموا معه في حياة جديدة.

وإننا لنؤمن إن ما جرى على نهر الاردن، عندما اعتمد الرب يسوع، يجري بصورة غير منظورة وغير مسموعة لأي مؤمن عندما يعتمد باسم الثالوث الأقدس على يد كاهن شرعي، وحتى للأطفال الذين يعمدون بناء على ايمان آبائهم وأشابينهم. هذا الإيمان هو الاقرار بعقيدة الثالوث الأقدس، التي وإن فاقت إدراك عقولنا البشرية، ولكنها حقيقة ثابتة، شاء اللّه أن يكشف لنا سرها بصورة ملموسة لايتطرق إليها الشك عند عماد الرب يسوع الذي شهدت السماء يوم عماده بحقيقة بنوته الطبيعية لله، كما كررت السماء الشهادة عند تجلي الرب يسوع على الجبل أمام ثلاثة من تلاميذه، حيث جاء صوت الآب قائلا: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا»(مت ١٧: ٥). فعلينا أن نقرن الإيمان بالأعمال الصالحة فنسمع أي نطيع الرب يسوع ابن اللّه الحي. لأننا بعد أن كنا قد قمنا معه في الحياة الجديدة، وبتعبير آخر، يوصينا الرسول قائلاً: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو ٣: ٩). كما يقول أيضاً: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح، ليس يهودي ولايوناني ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (غل ٣: ٢٧-٢٨). فقد وحدنا المسيح في أسرته الروحية، إذ ولدنا جميعاً من أم واحدة هي المعمودية، ووهبنا أن نكون أعضاء حيَّة في جسده السري المقدس الذي هو الكنيسة.

فلنسلكن كأبناء السماء، سفراء للسماء، ولتكن لغتنا لغة السماء، وأعمالنا أعمال السماء، لنستحق كبنين بالنعمة أن نرث ملكوت السماء. الحالة التي أتمناها لي ولكم بنعمته تعالى، آمين.

عيد الشعانين (*)

«هذا كله كان ليتم ماقيل بالنبي القائل قولوا لابنة صهيون هوذا مليكك يأتيك متواضعا راكبا على جحش ابن آتان» (مت ٢١ : ١ - ١٧)

كان شعب النظام القديم رازحاً سياسياً تحت نير استعمار الرومان، كما كان خاضعاً روحياً لإبليس اللعين. وكان ذلك الشعب متمسكاً بالحرف دون الروح، والحرف يقتل كما يقول الكتاب، أما الروح فهي التي تحيي. كانوا يعتقدون أنهم قد نالوا الخلاص وصاروا أتباعاً لله لأنهم أبناء إبراهيم، والرب يسوع بعد أن سمعهم يفتخرون قائلين: «أبونا هو إبراهيم» وقد وبخهم الرب قائلاً لهم «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم... أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا» (يو ٨ : ٣٩ - ٤٤). ووضح لهم لماذا كانوا قد إختاروا إبليس أباً لهم، لأنهم يفعلون أعمال إبليس ويتممون مشيئة إبليس ولذلك عندما جاء المسيح يسوع لخلاصهم لم يعرفوا زمن افتقادهم، ونسوا النبوات التي قيلت عنه وتمت فيه بحذافيرها، ولهذا ابتعدوا عن جادة الحق ولم يعترفوا به مسيحاً مخلصاً وقد قال عنه النبي زكريا «هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن آتان».

دخل أورشليم راكبا على جحش ابن آتان لم يدخلها كما دخلها الغزاة والفاتحون، لم يدخلها إلا بسلام ومحبة، دخلها والأطفال يمجدونه وقد أخذوا بأيديهم سعف النخيل وأغصان

(*) - الموعظة التي ارتجلها المؤلف في كاتدرائية مار جرجس بدمشق بمناسبة احد الشعانين.الواقع في ١٩٩٦/٤/٧.

الزيتون علامة الاستقامة والرحمة والحنان، وهتفوا قائلين: (ܐܘܫܥܢܐ) مبارك الآتي بأسم الرب أوشعنا لأبن داود. ولفظة أوشعنا بلغتهم الآرامية السريانية التي كان الشعب عصرئذ يتكلمها معناها يا رب خلص. إنهم يطلبون الخلاص، ولكنهم لايعلمون أي خلاص يطلبون ظنوا أن المخلص يأتي لينقذهم من استعمار الرومان، ولم يعلموا أن المخلص سيخلصهم بالفداء التام من طغيان إبليس، لذلك ابتعدوا عن الحق.

كان الرب قد جال بينهم ثلاث سنوات ونصف السنة يصنع خيراً كما قال عنه الكتاب: وقد اجترح معجزات باهرات، كانت آخر معجزة منها قبل دخوله أروشليم إقامة إلعازر من بين الأموات، فكان الأتقياء من اليهود الذين كانوا ينتظرون مجيء ماشيحا كما يقول الكتاب يتساءلون؟ ياترى هل يأتي إلى العيد، نريد أن نرى النبي الذي أقام إلعازر من بين الأموات بعد موته ودفنته بأربعة أيام، بل أرادوا أن يروا إلعازر أيضاً، ولم يعرفوا أن الله قد هيأ أن يدخل المخلص إلى تلك المدينة في ذلك اليوم المشهود في العاشر من نيسان الذي وقع في تلك السنة في يوم الأحد اليوم الذي كانت تقدم فيه حملان الفصح إلى الكهنة في أورشليم، لكي يقرروا فيما إن كانت صالحة لتقدم في الرابع عشر من نيسان عيد الفصح اليهودي ذكرى خلاص أبكارهم من الهلاك حيث كان الملاك المهلك يرى علامة الدم على دورهم فيعبر ولا يهلك أبكارهم، ومن هنا جاءت لفظة الفصح أي العبور. كما كان ذلك العيد ذكرى خلاص شعب موسى من نير العبودية في مصر، وكان خروف الفصح رمزا إلى المسيح بالذات لذلك كان لابد أن يأتي المسيح إلى أورشليم في ذلك اليوم لكي يقرر الكهنة فيما إذا كان يصلح للذبح كسائر خراف الفصح وهكذا كان حيث قال عنه رئيس الكهنة أنه

الأفضل أن يموت واحد عن الأمة ولا يهلك الشعب كله والرسول بولس يقول: «فصحنا هو المسيح».

رأينا موكبه موكباً يختلف عن مواكب من دخل أورشليم قبله من الفاتحين والأنبياء والكهنة، لأنه فيه أظهر وظائفه السماوية، فهو كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق، وهو الذبيحة الإلهية في آن واحد، وهو الملك الذي بشر به الأنبياء بأنه مليك يأتي إلى صهيون، ولكن يأتي متواضعاً كما قال زكريا النبي واستشهد بقوله الإنجيليون وخاصة متى، واعتبر دخول الرب إلى أورشليم إتماماً لنبوة زكريا القائل «قولوا لابنة صهيون هوذا مليكك يأتي متواضعاً راكباً على جحش ابن آتان». كما أنه في دخوله أورشليم كمل وظيفته النبوية إذ بكى على المدينة وتنبأ على خرابها وهدم هيكلها وإبادة شعبها، وبهذا أظهر لنا أنه رب الأنبياء، وملك الملوك، الحبر الأعظم الذي قدم نفسه فدية عن الخراف.

كان موكبه موكباً متواضعاً، بدء من بيت عنيا حيث كان قد أقام إلعازر من بين الأموات وإتجه نحو أورشليم، عندما وصل بيت فاجي أمر بطرس ويوحنا أن يذهبا إلى القرية التي كانت مقابلهما هناك قال لهما الرب تجدان جحشا وآتاناً تحلانهما إن قيل لكما ماذا تفعلان قولا أن الرب محتاج إليهما ويعيدهما بعدئذ. هكذا فعل التلميذان ثم وضعا كما وضع سائر التلاميذ ثيابهم على الآتان أولاً ثم على الجحش، وهتف التلاميذ وتبعهم جمهور غفير قائلين (ܐܘܫܥܢܐ) مبارك الآتي باسم الرب يابن داود خلص أوشعنا يارب أنقذ وقد وردت هذه العبارة في سفر المزامير مرات عديدة، وكان الشعب بحاجة إلى أن يهتف بها في ذلك اليوم البهيج، لأنه كان بحاجة إلى الخلاص فإذا ظن أنه بحاجة إلى خلاص سياسي،

فالمسيح يعرف أنهم كانوا بحاجة إلى خلاص روحي لينالوا الفداء بذلك الذي صنع المعجزات، ليكون هو ذبيحة عن الخطاة، دخل الرب إلى أورشليم، والجمهور استقبله بفرح عظيم دخل الهيكل وطهّر بسلطانه الإلهي ممن كانوا يتاجرون فيه نادى قائلا: «بيتي بيت صلاة يدعى أما أنتم فقد جعلتموه مغارة للصوص». فتح أعين العميان في الهيكل، في ذلك اليوم شدد ركب العرج والمسترخين، نادى بيتي بيت صلاة. رأى أن البيت بكل مافيه من رونق وجمال قد إنقلب إلى مكان تجارة، لذلك أراد أن يعود إلى ماكان إليه يوم شيِّد ليكون لعبادة الله وتمجيده. الفريسيون والكتبة يقولون له يامعلم أسكت تلاميذك، يقول لهم: «لئن سكت هؤلاء فالحجارة تنطق». وذكرهم بنبوة داود القائلة «من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً» ولم يكمل الآية القائلة «لتسكيت عدو ومنتقم» فأن الأطفال والرضع الذين نطقوا بقوة الروح القدس في ذلك الحين، إنما أرادوا أن يعلنوا للشعب كله أن يسوع الذي دخل أورشليم متواضعاً قد انتظرته الأجيال ليملك على آل إسرائيل إلى الأبد. كما كان قد بشر الملاك والدته عندما حبل به فيها من الروح القدس.

ترك يسوع المدينة عائداً إلى بيت عنيا وفي اليوم التالي جاء ليتأمل التينة التي كانت أوراقها خضراء، ولكنها لم تحمل ثمراً وهي تمثل تلك الأمة التي ولئن ظهرت زاهية بكل تقاليدها، ولكنها كانت قد تركت الرب فجاءها من ينادي «اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة». وهذا درس خالد لنا في هذا اليوم ألا نظهر فقط بكل هذه المظاهر، مظاهر البهجة في عيد كهذا بل أن نحتفل بالتوبة أي بالعودة إلى الله، ألا نكون كالتينة أوراقنا خضراء ولكن لاتحمل شجرتنا ثمراً طيباً كما يريده منا الرب يسوع.

بعيد الشعانين هذا أيها الأحباء ونحن نبتهج بأطفالنا، الأطفال والرضـع نريدهم أن يكونـوا كنـارات لـلروح القـدس لا فقـط بـالترتيل والـترنيم والتهليـل وقـول الأوشـعنا لابـن داود مبــارك الآتي بأسم الرب، بل أيضـاً بالأعمـال الصـالحـة لنهتـم بتنشـئتهم التنشئة المسيحية الصالحـة لينمـوا بالنعمـة والقامـة لدى اللــه والناس كي يصنعوا ثماراً تليق بالتوبة، ولكي يستحقوا في اليوم الأخير أن يستقبلوا المسيح يسوع لا في أورشليم الأرضيـة، بـل في أورشليم السماوية يوم يأتي ثانيـة لدينونـة العـالمين ليكونـوا في عداد الصالحين الحالة التي أتمناها لـي ولكم بنعمتـه تعـالى آميــن.

عيد الشعانين

ابتهجي جداً يابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتيك. هو عادل ومنصور وديع ومتواضع وراكب على جحش ابن آتان (زكريا ٩ : ٩)

من وراء الدهور والأجيال، بعين النبوة رأى زكريا موكب ملك السماء والأرض داخلاً أورشليم والجموع حوله تتقدمه وتتبعه هاتفة أوشعنا لابن داود ܐܘܫܥܢܐ ܠܒܪܗ ܕܕܘܝܕ أي يا ابن داود خلص ومعنى أوشعنا يارب خلص، أوشعنا مبارك الآتي باسم الرب. لقد كانت الجموع بحاجة ماسة إلى الخلاص، وقد طال انتظارها لمخلصها، وهوذا النبي زكريا يقول لها: أن مخلصها هذا «يأتي وهو عادل ومتواضع ووديع، يأتي راكباً على جحش ابن آتان» ولكن النبي إشعيا يراه على السحاب، بل على أجنحة الكروبيم، فهل سيأتي على السحاب يا ترى، أم يأتي راكباً على جحش ابن أتان؟ هذا ما أربك الشعب، فاضطرب قلبه، ولم يدر موعد خلاصه، لأنه لم يميز بين مجيء المسيح الأول لفداء البشرية وديعاً متواضعاً عادلاً وراكباً على جحش ابن أتان، وبين مجيئه الثاني يوم يأتي على سحاب السماء وتنظره كل عين، كما تنبأ عنه يوحنا كاتب سفر الرؤيا، كان المسيح قد جاء لفدائنا هذا هو مجيئه الأول، جاء متواضعاً، جاء ليفدينا لأن الكبرياء كانت قد حطت بالانسان إلى درك الخطية، وهوت به إلى جهنم لأنه تمرد على إلهه فاحتاج أن يأتي المخلص متواضعاً لينقذه من خطيته.

جاء متواضعاً، ومارس وظائفه الثلاث: الملوكية بدخوله الى اورشليم كمليك عظيم، والكهنوت بدخوله إلى أورشليم ليُفحص في ذلك اليوم من كهنة اليهود كسائر الحملانٍ التي تقدم ذبائح في عيد الفصح وليقرر الكهنة فيما إذا كان حملاً لا عيب فيه يصلح للذبح، فهو حمل الله الرافع خطايا العالم، الحملان التي كان لابد أن يفحصها الكهنة في العاشر من نيسان بحسب تقويم اليهود لتذبح في الرابع عشر منه، وتُقدم للرب. فالمسيح كان في عدادها دون أن يعلم الكهنة بذلك، ولم يدروا أنه هو الكاهن، وهو التقدمة، وهو الذبيحة فقد قدم نفسه فدية عن الخراف. ومارس أيضاً وظيفته النبوية فهو رب الأنبياء يوم تنبأ في ذلك الموكب بالذات وأسمعنا في سمفونية الفرح والابتهاج نغمة الحزن والألم عندما بكى منتحباً على المدينة المقدسة، لأنه رأى ما سيحل بها بعد أربعين سنة من ذلك التاريخ حيث تصير قاعاً صفصفاً.

رأيناه يمارس هذه الوظائف وهو أسمى من كل وظيفة فقد مارسها بالنيابة عنا ليبررنا ويطهرنا ويقدسنا لذلك سمح في ذلك اليوم أن يدخل أورشليم بأبَّهة ومجد عظيم، وهو الذي كان يبتعد عن الأمجاد الدنيوية، ولكن الأوان كان قد آن أن يعلن نفسه أنه ماسيا المنتظر.

الجموع رأته بل بدأت بالمسيرة من بيت عنيا حيث رأوا لعازر وقد أقامه المسيح من بين الأموات بعد موته ودفنته بأربعة أيام، وساروا معه يهتفون أوشعنا مبارك الآتي بأسم الرب. أورشليم كانت تعج بالجماهير الغفيرة التي أتت من كل فجٍ عميق، فكان على اليهودي أن يزور الهيكل خاصة في ذلك العيد، وأن يقدم الذبائح عن ذنوبه وخطاياه إلى جانب ذبيحة الفصح التي كانوا يذبحونها ويأكلونها في دورهم. أورشليم التي

كانت قد عجت بالجماهير، استمعت الهتافات، ورأت الأطفال والرضع وسمعتهم يهتفون أوشعنا، أولئك الأطفال الذين لم ينطقوا بعدُ أنطقتهم السماء لتمجيد ابن السماء المسيح يسوع، أوشعنا مبارك الآتي باسم الرب. وأعداء البشرية الكتبة والفريسيين يريدونهم أن يسكتوا لذلك تقدموا إلى يسوع قائلين يا معلم أسكت تِلاميذك فأجابهم قائلاً: «لئن سكت هؤلاء فالحجارة تنطق» ويذكِرهم بنبوة أبيه داؤد القائلة «من أفواه الأطفال والرضع هيأت سبحا» ولم يكمل لهم الآية التي تقول أيضا لتسكيت عدوٍ ومنتقم، كان عليهم أن يأخذوا درسا روحيا ويمجدوا اللّه الذي أنطق الأطفال والرضع بأعجوبة باهرة.

وكانت ليسوع في ذلك اليوم رسالة سامية جدا وهو يرى هيكل الله وقد تحول إلى سوق تجارة، بل إلى بيت لصوص. لذلك قلب موائد الصيارفة وباعة الحمام ووبّخهم قائلا: «بيتي بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» ونرى أيضا في ذلك المهرجان العظيم والاستقبال الفخم، نرى الناس يتساءلون من هذا، فيجيب بعضهم بعضا أنه نبي من ناصرة الجليل، فتمت بذلك نبوة موسى القائل أن الله يرسل إلى بني إسرائيل نبياً مثله فهذا نبي بل رب الأنبياء، وقد تمت نبواته بحذافيرها معلنة عن صدق مطاليبه الإلهية.

كما إنه هو الكاهن السماوي الذي جاء إلى أرضنا ليقدم نفسه ذبيحة عن الخراف وهو المليك الذي دخل عاصمة ملكه بمجد، ومجده بتواضعه، وجلس على عرش وعرشه الصليب، ولبس تاجاً وتاجه إكليل من الشوك، وبايعته الجماهير حيث هتفت قائلة أوشعنا يارب خلص مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل. فقد جاء لخلاصنا وبدأ أسبوع آلامه بالأوشعنا يارب

خلص، فخلاص البشرية لا يكون فقط بالتواضع الذي أظهره في كل مراحل تدبيره الإلهي بالجسد، بل أيضاً بسفك دمه على الصليب فداءً للبشرية، أجل إن الرب يسوع لم يبكِ على نفسه مرة بل بكى على حبيبه لعازر، وفي هذه المرة إنما انتحب باكياً على المدينة المقدسة، غير آبه بما ستقترفه من جريمة بحقه حيث ستحمله الصليب وتعلقه عليه، ولكنه بكى على شعبها الذي حاد عن الحق وتاه في طريق الضلالة وهو يعلن نبوته عن خرابها.

في هذا اليوم ونحن نحتفل بذكرى دخول الرب إلى أورشليم وتطهيره هيكلها، لنفحص نفوسنا ونحن هياكل الله وروح الله حال فينا، هل تحولت هياكل الله إلى مغاور لصوص كما تحول هيكل أورشليم؟ حيث غادره روح الله بعدئذ فلنحذر بعدئذ لئلا يغادر الروح القدس نفوسنا فنهلك، ولنغسل قلوبنا بدموع التوبة ليدخلها الرب يسوع، ويملك عليها، لنهتف مع الأطفال الأنقياء والرضع الأطهار ܐܘܫܥܢܐ ܠܒܪܗ ܕܕܘܝܕ أوشعنا يارب خلص ليستجيب الرب دعاءنا ويخلص نفوسنا جميعاً، فقد جاء لخلاصنا. فليتم هذا الخلاص بتوبتنا إليه لئلا يغادر روحه القدوس هياكل نفوسنا.

أعاد الله عليكم أحبائي هذا العيد البهيج وحفظ أولادكم جميعاً الأطفال والرضع لينمو في القامة والنعمة، وليصيروا كنارات روحية يعزف عليها الروح القدس ترانيم التمجيد في كل حين للرب يسوع «أوشعنا مبارك الآتي باسم الرب» ونعمته تشملكم دائماً أبداً آمين.

من مواعظ عيد القيامة المجيد

يوم الظفر(*)

«هذا هو اليوم الذي صنعه الرَّبُ. نبتهج ونفرح فيه» (مز ١١٨: ٢٤).

إنه يوم النصر والغلبة، يوم الخلاص والفداء. اليوم الذي تمَّ فيه الصلح بين الأرض والسماء، ونقض سياج العداوة.

يوم انبلج فيه شمس البر ممجداً وأنار الجالسين في الظلمة وفي ظلال الموت، وأُذيعت فيه بشرى قيامة الفادي من بين الأموات، وصارت هذه القيامة أساساً متيناً للدين المسيحي المبين. فحق للرسول بولس أن يقول:

«وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم» (٢كو ١٥: ١٤). فعلى أساس عقيدة قيامة المسيح قامت الكنيسة المقدسة. لذلك فأبواب الجحيم لن تقوى عليها. ولو استطاع القبر أن يضم جسد يسوع المصلوب إلى الأبد، لدفنت معه المسيحية، ووئدت في مهدها، وانتهت في بدئها وصارت أثراً بعد عين، **ولكن المسيح لم ينزل إلى القبر ليمكث فيه إلى الأبد بل ليدفن الموت، ويدك أركان الهاوية ويقوم في اليوم الثالث ظافراً بالخطيئة منتصراً على ابليس، منادياً «اين**

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في عيد القيامة المجيد المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ٢٦/٤/١٩٨١.

شوكتك ياموتُ أين غلبتك ياهاوية» (اكو ١٥: ٥٥). وقيامة المسيح التي جاءت بعد موته على الصليب ودفنه في القبر الجديد، جعلت الكنيسة تفتخر بصليب الرب وموته، وفي هذا الصدد يقول مار اسحق السرياني: «من دواعي فخر الكنيسة أنَّ اللّه مات على الصليب» ويقول الرسول: «أما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم»(غلا ٦: ١٤). فلو لم يكن المسيح قد قام من بين الأموات لشابه الآباء والأنبياء والأبرار والأتقياء الذين احتملوا المشقات في سبيل تبليغ رسالة اللّه للبشر وماتوا كسائر الناس، ولكن الرب يسوع المسيح لم يكن إنساناً بسيطاً بل هو الإله المتجسد، احتمل آلامه المحيية إرادياً **وكان موته على الصليب ضرورياً لفداء البشرية، كما كانت قيامته من بين الأموات ضرورية لإثبات صدق رسالته الإلهية وصحة أقواله السامية وعجائبه الباهرة، وإتمام نبواته الصادقة وبالتالي لإقامة الدليل القاطع على قبول الآب السماوي ذبيحة الصليب فداء للبشرية.**

فقد قال السيد المسيح عن نفسه: «أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا» (يو ١١: ٢٥) «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦) الذي رآني فقد رأى الآب (يو ١٤: ٩) وقد أعلن نفسه أنه ماسيا المنتظر، فهو ابن اللّه بشهادة السماء، وهو المخلص الذي أرسله الآب إلى العالم، «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه هكذا أحب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن به تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل اللّه ابنه إلى

العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» (يو ٣: ١٤ ـ ١٧). **فلو لم يقم من بين الأموات لكانت أقواله الإلهية هذه باطلة والعياذ بالله.**

وكان لا بد أن يقوم من بين الأموات **لتكون قيامته علامة واضحة على قبول الاله الآب عمل الكفارة الذي أتمه على الصليب**، فكما هبطت النار من السماء في العهد القديم والتهمت الذبائح التي قدّمها بعض الآباء الأبرار دلالة على قبول اللّه إياها، هكذا أعلن الآب قبوله ذبيحة الصليب بإقامة ابنه الحبيب من بين الأموات.

كان السيد المسيح قد سبق فأنبأ تلاميذه وحتى أعداءه عن موته وقيامته، فعلى أثر تطهيره الهيكل من الصيارفة وباعة الحمام، «قال له اليهود أية آية ترينا حتى تفعل هذا، أجاب يسوع وقال لهم أنقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه... فكان يقول عن هيكل جسده، فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع» (يو ٢: ١٨ ـ ٢٢). أما أعداؤه فحنقوا عليه وعيَّروه وهو على الصليب، فكانوا «يجدفون عليه وهم يهزّون رؤوسهم قائلين آه ياناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك وانزل عن الصليب» (مت ٢٧: ٤٠ ومر ١٥: ٢٩ ـ ٣٠).

كما سمعنا الرب يوبخهم مرة بقوله: «جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلاَّ آية يونان النبي: لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» (مت ١٢: ٣٩ و٤٠) فيونان كان رمزاً للسيد المسيح، وقد آمن أهل نينوى بكرازته وتابوا، ولكن الصالبين لقساوة قلوبهم لم

يؤمنوا بالآية العظيمة التي أعلنت لهم ألا وهي قيامة الرب العجيبة التي تقيم الدليل على صحة رسالته الخلاصية ولذلك فالرب يوبخهم بقوله: «رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان وهوذا أعظم من يونان ههنا»(مت ١٢: ١٤).

وقد تجلى الرب يسوع مظهراً مجده الإلهي أمام ثلاثة من تلاميذه وبينما هم نازلون من الجبل أوصاهم قائلاً لاتعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات(مت ١٧: ٩). كما عين لرسله الجليل مكاناً للقائه بهم بعد القيامة(مت ٢٦: ٣٢) وبعد أن كان قد أنبأهم عن آلامه وموته وقيامته.

أجل إن ضرورة قيامة الرب يسوع من الأموات تظهر أيضاً في مجريات حياته العجيبة على الأرض: فقد ولد من عذراء، وعاش بطهر ونقاء وجال يصنع في الأرض خيراً، ويعلم الناس طريق السماء، واجترح المعجزات الباهرة وحتى أنه انتشل من الموت ابنة يايرس، والشاب ابن أرملة نايين، ولعازر بعد موته ودفنه بأربعة أيام، فهل يمكن أن يكون الموت نهاية حياة شخص مثله؟ وهل يقوى القبر على أن يضمه إلى الأبد؟. كلا وألف كلا. **فلو بقي ميتاً لما كان مسيحنا.** لأن الكتاب يقول على لسانه: «أنا الحي» «لقد كنت ميتاً وها أنا حي إلى دهر الدهور»(رؤ ١: ١٨) ويقول صاحب المزامير: «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية لن تدع تقيك يرى فساداً» (مز ١٦: ١٠ وأع ٢: ٢٧).

فالقدوس البار الذي لم يعرف خطية وقد صار خطية لأجلنا لنصير نحن بر اللّه فيه(٢كو ٥: ٢١) هو حمل اللّه الرافع خطايا

العالم قد علق على الخشبة وعلق معه خطايانا، ودفن في القبر معه معاصينا، وقام في اليوم الثالث من بين الأموات وأقامنا معه، ومنحنا نعمة التبرير والتقديس والتبني. فهذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه.

أجل قام الرب من بين الأموات وخرج من القبر والحجر الكبير كان موضوعاً على باب القبر لايزال في مكانه. وأختام المملكة لم تثلم فكانت قيامته العجيبة من القبر العذراوي الجديد تماماً كولادته العجيبة من العذراء مريم وبعد أن قام وإذا زلزال شديد قد حدث لأن ملاك الرب نزل من السماء وأتى ودحرج الحجر وجلس عليه وكان منظره كالبرق وثوبه أبيض كالثلج فارتعد الحراس خوفاً وصاروا كالأموات (مت ٢٨: ١ ـ ٥) وكان ذلك في فجر يوم الأحد باكراً جداً. ثم جاءت النسوة ليعطرن الجسد بحسب العادة المتبعة يومذاك فوجدن الحجر الكبير قد دحرج عن باب القبر... وسمعن الملاك يبشرهن بقيامة الفادي قائلاً: «إنكن تطلبن يسوع الناصري الذي صلب، إنه قام، ليس هو ههنا فاذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل فترونه هناك كما قال لكم» (مت ٢٨: ٧) ويأتي بطرس ويوحنا فيجدان القبر فارغاً... وداخله الأكفان المرتبة بانتظام، والمنديل الذي كان على رأسه غير مطروح معها مطوياً وحده في موضع آخر دلالة على التأني والهدوء وعدم العجلة أو الاسراع للخوف من الأعداء.

ثم ظهر يسوع القائم من بين الأموات. ظهر لمريم المجدلية.. ودعاها باسمها فعرفته، وقالت له (رابوني) أي يامعلم. وظهر لجماعة من النسوة عند القبر أيضاً، وظهر لتلميذي عماوس، وللتلاميذ في العلية والأبواب مغلقة ولم يكن

توما معهم، وظهر لهم مرة أخرى وتوما معهم، وقال لتوما: «هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديَّ وهات يدك وضعها في جنبي ولاتكن غير مؤمن بل مؤمناً. أجاب توما وقال له ربي وإلهي» (يو ٢٠: ٢٦ ـ ٢٩). أجل لقد مهّدت لنا شكوك توما الطريق إلى الايمان فهذا هو المسيح الذي مات على الصليب قد قام من بين الأموات، هو عينه... رأى التلاميذ جراح الصليب ثابتة ظاهرة في يديه وجنبه... إنها الجراح الخالدة التي تؤكد أنه هو عينه ابن اللّه وابن الإنسان الإله المتجسد. الذي بإرادته بذل نفسه لخلاص البشرية ومات على الصليب ودفن وقام في اليوم الثالث منتصراً... وظهر مرات عديدة، في أمكنة عديدة وأزمنة عديدة... في طريق جبل الجلجلة، وفي طريق عمّاوس وفي العلية وعند بحيرة طبرية وأخيراً على جبل الزيتون.

ظهر في أزمنة مختلفة، صباحاً ومساءً، نهاراً وليلاً، وفي أيام متفرقة وأيام متتابعة.

ورآه أشخاص متفاوتو الثقافة والسن رجال ونساء كمريم المجدلية وبطرس ويوحنا وتلميذا عماوس والأحد عشر رسولاً كما ظهر لأكثر من خمسمائة أخ كان أغلبهم لايزال على قيد الحياة يوم كتب الرسول بولس رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس(١٥: ٦) سنة سبع وخمسين للميلاد. وقد أكل الرب بعد قيامته وشرب أمام تلاميذه وكلمهم محققاً القيامة، ومثبتاً اياهم على الايمان به وأخيراً باركهم على جبل الزيتون بعد أربعين يوماً من قيامته، وصعد إلى السماء. ولكنه وعد أن يكون معهم كل الأيام إلى انقضاء الدهر(مت ٢٨: ٢٠) وحيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه فهناك يكون في وسطهم (مت١٨: ٢٠) **فهو اذن حيّ إلى الأبد، وهو في السماء، وهو على الأرض. وفي كل مكان في آن واحد... هو خاصة في**

كنيسته المقدسة التي هي جسده السري وهو رأسها وكنيسته حيةٌ فيه، وحياتها وثباتها برهان قاطع على صدق قيامته من بين الأموات، فهو حي فيها فلن تتزعزع لذلك عندما ظهر لشاولٍ الطرسوسي في طريق دمشق قال له، لماذا تضطهدني، معتبراً اضطهاد شاول لأتباع المسيح اضطهاداً للمسيح نفسه. وقد حوّل الرب شاول الذئب الخاطف إلى حمل وديع، وجعل منه الرسول بولس فيلسوف النصرانية المضطهد من أجل المسيح. المعلن حقيقة قيامة المسيح. وهكذا جرى للتلاميذ كافة حيث انقلبوا بعد القيامة من أناس متشككين ضعفاء بسطاء إلى رجال مؤمنين أشاوس شجعان حكماء يعترفون بالمسيح ببساطة أمام الملوك والرؤساء والعلماء ويختم أغلبهم شهادتهم بدمائهم الطاهرة النقية الزكية فانتشر الإيمان الراسخ بالمسيح الفادي القائم من بين الأموات في فجر يوم الأحد، **واستبدل التلاميذ السبت اليهودي بالأحد المسيحي** يوم القيامة العظيم يوم النصر والغلبة اليوم الذي صنعه الرب ليبتهج المؤمنون فيه ويفرحوا، لأنه ذكرى الخلاص، وبدء الرجاء الذي لايخيب.

أما الصالبون فكان يوم القيامة لهم يوم بؤس وشقاء، وخزي وعارٍ فلما أخبرهم الحراس بحقيقة القيامة زادوا على شرهم شراً وعلى خطيتهم خطايا، ورشوا الحراس ظناً منهم أن بإمكانهم إخفاء نور الشمس في رابعة النهار، ولو أنهم رجعوا عن غيهم وتابوا إلى الرب لقبلهم الرب وغفر خطاياهم. أجل إن يوم القيامة يحمل للمؤمنين في هذه الحياة رسالة سامية يلخصها الرسول بولس. بقوله: «فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً **في جدة الحياة**»(رو ٦ : ٤) «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله»(كو ٣ : ١).

كما أن قيامة الفادي كشفت لنا عن **حقيقة الخلود ويوم القيامة العامة**، فالراقدون بالرب إنما يرقدون على رجاء يقظة أبدية ينالون فيها السعادة الأبدية لأن المسيح قد قام من الأموات وصار باكورة الراقدين (١كو ١٥: ٢٠) وفي اليوم الأخير «تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٩).

حقاً لقد قام المسيح من بين الأموات «وأقامنا معه» (أف ٢: ٦). فلنسلك إذن في جدة الحياة، كي نحيا مع المسيح بل يحيا المسيح فينا لننال السعادة الأبدية، التي اكتسبها لنا بسري التجسد والفداء.

المسيح قام. حقاً قام. أعاد اللّه عليكم عيد قيامة الرب يسوع باليمن والبركة آمين.

حقيقة القيامة [*]

«ليس هو ههنا لكنه قام»(لو ٢٤: ٥)

أمام القبر الفارغ، سمعنا السماء تعلن للأرض بشرى قيامة الفادي من بين الأموات.

كان ذلك قبل عشرين قرناً، لما حكم اليهود الظالمون، والرومان الضالون، على يسوع الناصري القدوس بالموت صلباً، وساموه صنوف العذاب من ضرب، وجلد، ولطم، وهزء، وسخرية، وأخيراً علقوه على العود خارج المدينة المقدسة، حيث سلّم روحه بيد أبيه السماوي، فانفصلت نفسه عن جسده، ومات، حقاً مات، ودفن في قبرٍ جديد منحوت من الصخر، دحرج على بابه حجر كبير، ختمه اليهود والرومان بخاتم المملكة، وأقاموا عليه حراساً، وظنوا أنهم قد دفنوا مع المصلوب رسالة الخلاص التي أتى بها من السماء. ولكن خاب ظنهم، لأن الرب يسوع قد أمات الموت بموته، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث حيا ممجداً، «وأقامنا معه وأجلسنا معه في السموات» (أف ٢: ٦) فحق للسماء أن تذيع للبشرية بشرى الخلاص، أما القبر الفارغ الذي شع منه نور القيامة والحياة، وحق لرسله الأطهار، وتلاميذه الأبرار، أن ينقلوا هذه البشرى السارة إلى العالم أجمع، فهم شهود عيان صادقون. وفي طليعتهم أمه مريم، ومريم المجدلية، وبقية النسوة من الجليل

[*] - الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المجيد المنقول بإذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٨/٤/١٩٨٢.

اللواتي قبل أن يأتين إلى القبر باكراً في أول الأسبوع، كنَّ قد رافقن موكبه المؤلم يوم الجمعة، وشاهدنه جثة هامدة، بل ذهبن مع يوسف الرامي ونيقوديموس ومن ساعدهما في دفن جسده، ونظرن إلى القبر، وكيف وضع الجسد، وفي السبت استرحن حسب الوصية.

وفي هذه الاستراحة سرّ عجيب. فقد جاء في سفر التكوين أن الرب استراح في اليوم السابع (تك ٢: ٢) بعد أن خلق العالم في ستة أيام، وخلقِ الإنسان في اليوم السادس على صورته كمثاله فمنحه عقلاً يميّز بين الحق والباطل، وله قوة الابتكار والإبداع، وضميراً يعرفه الحلال من الحرام وروحاً كالملائكة. وخلقه في حالة البرّ والقداسة، ولكن الخطية مسخت صورة البرّ والقداسة في الإنسان، لذلك تجسد الإله ليعيد إلى الإنسان صورته الحقيقية، ويوم الجمعة العظيمة، اليوم السادس، فداه بدمه الكريم وجدد خلقته.

وفي اليوم السابع استراح الإله المتجسد من عمله، ويقول الإنجيل المقدسِ «لأن يوم ذلك السبت كانِ عظيماً»(يو ١٩: ٣١) لأنه كان سبتاً وكان عيد الفصح أيضاً، والفصح هو ذكرى تحرر الشعب من عبودية بشرية. أما الفداء فهو خلاص الإنسان من نير عبودية الشيطان وإنقاذه من براثن الموت والخطية.

«وكان يوم ذلك السبت عظيماً» وكان الرب في تدابيره الإلهية على الأرض قد نقض السبت، ففي السبت شفى المرضى، ومنح البصر للمولود أعمى، «وقال للمخلع قم احمل سريرك واذهب إلى بيتك» وعلمنا قائلاً: «إن السبت جعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت، إذاً ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً»(مر ٢: ٢٧ و٢٨) ونقض الرب السبت، وحلل

عمل الخير فيه. لذلك ففي ذلك السبت العظيم قام بعمل عظيم حيث نزلت نفسه إلى الهاوية فكسر أغلالها، وحطم أقفالها، ودك أركانها، وأذاع بشرى الخلاص لآدم وحواء، والآباء والأنبياء، أولئك الذين رقدوا على رجاء مجيء ماسيا، وقال عنهم الكتاب: «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدّقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض»(عب ١١: ١٣).

ففي استراحة الرب عمل جبار، ولاعجب فعمله مستمر، ألم يقل لليهود الذين أرادوا قتله على أثر شفاء المخلع يوم السبت، إن «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يو ٥: ١٧).

واستراح في ذلك اليوم أيضاً تلاميذ الرب الذين كانوا قد تركوا كل شيء وتبعوه، وكان الرب موضع أملهم الباسم، ورجائهم الذي لايخيب، ولكن بعد أن مات مصلوباً، دفنوا مع جسده الطاهر آمالهم وأمانيهم، وكادوا يعودون إلى حرفهم وأعمالهم التي كانوا يمارسونها قبل التعرف عليه، وبخوف ورعدة هربوا من أمام وجه أعدائه، وأغلقوا الأبواب على أنفسهم، واستراحوا في اليوم السابع.

وجاءت النسوة ليعطرن الجسد بحسب عادة اليهود، فوجدن الحجر الكبير قد دحرج عن باب القبر، وسمعن الملاك يبشرهن بقيامة الفادي قائلاً: «إنكن تطلبن يسوع الناصري الذي صلب، إنه قام، وليس هو ههنا، فاذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل فترونه هناك كما قال لكم»(مت ٢٨: ٧).

إنه قام. حقاً قام. وهل يعقل أن يبقى ذلك المصلوب ميتاً، وأن يرى جسده فساداً، وهو الذي قال عند قبر لعازر: «أنا هو القيامة والحياة»(يو ١١: ٢٥). وهو الذي أقام الموتى بكلمة من

فيهِ!؟ إنه قام. حقاً قام. وقيامته تختلف عن قيامة الأشخاص الستة المذكورين في الكتاب المقدس الذين عادت إليهم الحياة بعد موتهم، ولكنهم ماتوا ثانية بعد قيامتهم من الموت وفسدت أجسادهم. أما الرب يسوع فقد قام من القبر ليبقى حياً إلى الأبد، وحق له أن يقول: «.. أنا هو الأول والآخر، والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين آمين، ولي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١: ١٧ و١٨).

وكما قبل المسيح الموت بإرادته، كذلك قام من بين الأموات بإرادته، وقوته الذاتية الإلهية، كما كان قد قال عن نفسه «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً»(يو ١٠: ١٨) وهكذا أعاد نفسه إلى جسده، لأن لاهوته لم يفارق جسده ولا نفسه لحظة واحدة ولذلك لم يرَ جسده فساداً. وقام وآثار جروحاته بادية في يديه ورجليه وجنبه، علامة محبة أبدية للبشرية. «لأنه هكذا أحب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»(يو ٣: ١٦).

وأظهر الإبن الحبيب ذاته، بعد قيامته، لتلاميذه الأحباء، فامتلأت قلوبهم بهجة، وانقلب ضعفهم إلى قوة، وخوفهم إلى شجاعة، ويأسهم إلى أمل، إذ أكمل الرب وعده لهم قبل آلامه بقوله: «الحق الحق أقول لكم أنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح... عندكم الآن حزن ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولاينزع أحد فرحكم منكم»(يو ١٦: ٢٠ و٢٢). أجل على أثر قيامة المسيح صار كل واحد من تلاميذه مسيحاً صغيراً، ويصفهم البشير لوقا بقوله: «بقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم»(أع ٤: ٣٣) فقد نالوا ثقة الرب الغالية فسلم إليهم رعاية أغنامه الناطقة. فبطرس

مثلاً، بعدما أنكر سيده أمام جارية حقيرة، يوم الجمعة، وبكى وتاب، غفر له الرب، وأودع إليه قطيعه الحبيب قائلا له: «إرع خرافي، إرع نعاجي، إرع كباشي، إتبعني». فصار بطرس راعياً لكنيسة الرب. فما أسمى رتبة الرعاية التي منحها الرب لبطرس وسائر الرسل، وما أروع الشهادة التي يقدمها بطرس عن قيامة الرب، قائلا: «فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعا شهود لذلك» (أع ٢: ٢٢). ولإقامة الدليل على صحة هذه الشهادة وصدقها قدم بطرس نفسه ذبيحة على مذبح محبة المسيح، وصلب منكس الرأس ليقوم مع المسيح.

هكذا جاهر التلاميذ بقيامة الفادي وختموا شهاداتهم بدمائهم الزكية، فقد شاهدوه حياً مرات عديدة، بعد أن قام من بين الأموات، ولمسوه، وأكلوا وشربوا معه وكلموه واستمعوا إليه، فصار لهم رجاء لايخيب، وقدسوا يوم قيامته، وأجمعوا على استبدال يوم السبت اليهودي بيوم الأحد المسيحي، ليكون يوم راحة، ويوم عبادة، لأن فيه أكمل الفادي سر الفداء، وقام من بين الأموات.

وغدت عقيدة قيامة المسيح من بين الأموات أساس العقائد المسيحية كافة، لذلك فالرسول بولس يقول: «وإنْ لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم» (١كو ١٥: ١٤). فقيامة المسيح من بين الأموات برهان قاطع ساطع على حقيقة قيامة المؤمنين لجدّة الحياة(رو ٦: ٤) فبطرس الذي أنكر سيده قام مع المسيح وعاد تائباً معلناً محبته للرب فصار راعي الخراف والنعاج والكباش، وتوما الذي هوى في وهدة الشكوك، قام مع المسيح، ونادى وهو ساجد له، «ربي وإلهي». وشاول الطرسوسي الذي اضطهد أتباع المسيح، قام مع المسيح، فصار الرسول بولس، الإناء المصطفى.

والكنيسة ككل منذ فجر النصرانية، وحتى الآن وإلى الأبد، كانت ولاتزال وستبقى حية في المسيح الحي، وهي ولئن صلبت مرات عديدة عبر الأجيال، وستصلب، ولكنها دائماً تقوم في اليوم الثالث مع فاديها الإلهي، فكل صلب وموت لديها يعقبهما قيامة وحياة. ولاينزع أحد فرحها منها، وهي تعمل عمل الرب بإحياء النفوس، فنور القيامة يضيء لها الطريق، فلا تخاف شراً ولو سارت في وادي ظلال الموت لأن المسيح الحي هو معها، حسب وعده لتلاميذه أن يبقى معهم دائماً إلى انقضاء الدهر.

أجل، إن قيامة المسيح هي الحجة الدامغة على صحة عقيدة القيامة العامة ويوم النشور. فقد كان المسيح قد أعلن أن اللّه هو إله أحياء لا إله أموات، وان الراقدين هم أحياء، وانهم «يكونون كملائكة اللّه في السماء»!! وجاءت قيامته برهاناً واضحاً على حقيقة قيامة الموتى يوم يأتي ثانية، ولهذا فالرسول بولس يقول: «لأن المسيح قد قام من الأموات وصار باكورة الراقدين»(١كو ٥: ٢٠).

فلنسرعنَّ إلى قبر الفادي مع المريمات وسائر النساء القديسات، والتلاميذ الأطهار، فنرى بعين الروح القبر الفارغ الذي منه تنبعث حقيقة القيامة، ونسمع قول الملاك: «ليس هو ههنا لكنه قام» ولنعلن إيماننا بالمسيح القائم من بين الأموات فننال الخلاص، فيكون لنا المسيح في الضعف قوة، وفي الضيق فرجاً، وفي الحزن تعزية، وفي اليأس رجاءً لايخيب، ولنكن كتلاميذ الرب وأتباعه المؤمنين شهوداً صادقين للقيامة، مبرهنين، بسيرتنا الفاضلة، على صدق شهادتنا، وحقيقة قيامتنا مع المسيح.

ملأ اللّه قلوبنا جميعاً بهجة قيامته المجيدة، وأهلنا لنقوم في مجيئه الثاني قيامة الحياة مع الذين آمنوا به وعملوا الصالحات، لنرث معه ملكوت السموات.

السلام مع الله(*)

قال الرسول بولس: «**فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع اللّه بربنا يسوع المسيح**» (رو ٥ : ١) «**الذي أُسلِمَ من أجل خطايانا، وأقيم لأجل تبريرنا**» (رو ٤ : ٢٥).

أحنى المسيح يسوع هامته المقدسة على الصليب، وسلم روحه الطاهرة بيد الآب السماوي، ومات. أجل مات ذاك الذي أحيا الموتى بقوته الإلهية، وشفى المرضى، وطهر البرص، وشدد ركب المقعدين، وفتح عيون العميان، وهدى الضالين إلى الطريق المستقيم، وأتى بالخطاة إلى التوبة، وتم فيه ما كتبه النبي أشعيا على لسانه قائلاً: «روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية» (لو ٤ : ١٨ واش ٦١ : ١).

مات ذاك الذي تبعته الجموع الغفيرة من كل فج عميق لتستمع إلى تعاليمه السماوية السامية «لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة»(مت ٧ : ٢٧) ففي عظته على الجبل قال لهم: «طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات... طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء اللّه يدعون» (مت ٥ : ٣ و ٩).

ولم يكتفِ بهذا بل وضع القاعدة الذهبية لمعاملة الإنسان أخاه الإنسان قائلاً: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم أفعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء» (مت ٧ : ١٢).

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المجيد المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩٨٣/٥/٨.

فاذا تجرد الإنسان من أنانيته، وأحب ربه من كل قلبه وكل إرادته، وأحب قريبه كنفسه، فانه يستطيع أن يكمل وصية الرب هذه، بل يتوصل أيضاً إلى الكمال المسيحي باتمام أمر الرب القائل «أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات»(مت ٥: ٤٤ و٤٥). ان الآب السماوي هو: «اللّه الذي بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا»(رو ٥: ٧و٨) هذه المحبة المضحية، التي لاتطلب مالنفسها بل ما للآخرين. المحبة التي تنقض سياج العنصرية البغيضة، وتهدم الفوارق المذهبية بين البشر، وتعلم الناس الإخاء المتبادل، لأنه «هكذا أحب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

لقد كان موت المسيح على الصليب ضرورياً لخلاص الجنس البشري، كما نص قانون الايمان النيقاوي بقوله: «الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء والدة الإله، وصار انساناً وصلب عوضاً عنا في عهد بيلاطس البنطي تألم، ومات، ودفن، وقام في اليوم الثالث» ويقول الرسول بولس بهذا الصدد: «الذي أُسلِمَ من أجل خطايانا، وأقيم لأجل تبريرنا»(رو ٤: ٢٥).

فالسيد المسيح بموته كان بديلاً، أي أنه مات عوضاً عن البشرية، وكان موته ضرورياً ليفي عدل اللّه حقه، وليوفق مابين عدله تعالى ورحمته. وكان اختيارياً، أي بإرادته وإرادة أبيه السماوي. وهو الإله المتجسد البريء من العيوب، المعصوم من الخطأ، حلَّ محل الإنسان الخاطئ واحتمل الآلام بمحض إرادته نيابة عن هذا الإنسان، ومات على الصليب ليصالحنا مع أبيه السماوي على حد قول الرسول بولس

«لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر اللّه فيه»(٢كو ٥: ٢١) و «المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لأجلنا» (غلا ٣: ١٣). وقال الرسول بطرس «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا ونحيا للبر»(١بط ٢: ٢٤).

ولم يكن المسيح عاجزاً عن التخلص من أيدي أعدائه اليهود والرومان ولكن كان لابد أن يشرب كأس المنايا في سبيل خلاص الإنسان. وقد قال «كما إن ابن الإنسان لم يات ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مت ٢٠: ٢٨)

أجل مات المسيح، وانتهى آخر فصل من فصول مأساة الجلجلة بعد ظهر يوم الجمعة لما سلّم روحه بيد أبيه السماوي، وطعن في جنبه بحربة، فجرى منه دم وماء. وتأكد أعداؤه من موته التام.. وبإذن من بيلاطس الوالي، جاء يوسف الرامي ونيقوديموس وأنزلا جسده الطاهر من على الخشبة، وحنطاه وكفناه بكتان وبخور، وطيوب وعطور. ودفناه في القبر الجديد المنحوت في صخرة، ودحرج على باب القبر حجر كبير.. وبأمر بيلاطس وتلبية لطلب رؤساء كهنة اليهود، ختم القبر بأختام السلطة الرومانية. وأقيم الجند لحراسته، لأن أعداءه تذكروا بعد أن أماتوه بالجسد أنه قال إني أقوم بعد ثلاثة أيام، فضبطوا القبر بالختم، ووضعوا عليه الحراس (مت ٢٧: ٦٣و٦٦).

نعم مات المسيح على الصليب، ودفن في القبر الجديد، مات ذاك الذي صنع سوطاً من حبال وطرد من هيكل الرب الصيارفة وباعة الحمام، فقال له اليهود أية آية ترينا حتى تفعل هذا. أجاب يسوع وقال لهم: «أنقضوا هذا الهيكل. وفي ثلاثة أيام أقيمه، فقال اليهود في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟ وأما هو

فكان يقول عن هيكل جسده. فلما قام من الأموات تذكّر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع»(يو ٢: ١٨ـ ٢٢).

ففي فجر يوم الأحد، وقد جاءت النسوة إلى القبر ليعطرن الجسد، حسب العادة المتبعة يومئذ وجدن الحجر الكبير قد دحرج عن بابه. والأكفان موضوعة بانتظام، لاتدل على عجلة أو إسراع أو خوف أو فزع. ورأين داخل القبر ملاكاً قال لهن: «أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب قد قام ليس هو ههنا هوذا الموضع الذي وضعوه فيه» (مر ١٦: ٦).

كان الفادي قد قام من بين الأموات، وخرج من القبر، على الرغم من وجود الحجر الكبير على بابه، وأشرق نوره الإلهي الباهر حول المكان كله، ثم جاء الملاك ودحرج الحجر الكبير من على باب القبر لتتيسر للنسوة والتلاميذ رؤية القبر الفارغ. وكانت الأرض قد تزلزلت فارتعب الحراس وسقطوا على وجوههم، وصاروا كالأموات... وذهبوا إلى المدينة وأخبروا سادتهم بأن المسيح قد قام... ولكن رؤساء كهنة اليهود قد قسَّوا قلوبهم، وضيّعوا الفرصة الذهبية للتوبة، والعودة إلى الله، والإيمان بالمسيح يسوع المنتظر. فرَشَوا الحراس وسدوا بالفضة أفواههم فصمتت ألسنتهم ولم ينطقوا بالحق. والساكت عن الحق شيطان أخرس. بل انقلبوا إلى شهود زور كاذبين. ويل لهم في يوم الدين.

أما حقيقة قيامة السيد المسيح فهي واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار، وهل يمكن حجز نور الشمس بغربال؟! فالمسيح قد قام. حقاً قام، وتم ماقاله النبي داود على لسانه «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، لن تدع تقيَّك يرى فساداً»(مز ١٦: ١٠ وأع ٢: ٢٧و٣١) أجل قام المسيح من بين الأموات، وظهر للتلاميذ مرات عديدة، وفي أماكن مختلفة، وقد ظهر في أحد هذه المرات لأكثر من خمسمائة

منهم، فشاهدوه بعيونهم، ولمسوه بأيديهم، وسمعوه بآذانهم، وأكلوا وشربوا معه، وأكل وشرب معهم.

وقد ظهر يوم قيامته للمجدلية، وللنسوة، ولبطرس، وللتلميذين المسافرين إلى عماوس. وفي مساء ذلك اليوم بالذات كان التلاميذ مجتمعين في العلية خوفاً من اليهود، وقد أوصدوا الأبواب عليهم وأحكموا تقفيلها. وقلوبهم مضطربة هلعة، ونفوسهم قلقة خائفة. فظهر يسوع في وسطهم «وقال لهم السلام لكم»(يو ٢٠: ١٩) ولئلا يظنوا أنه خيال، قدم لهم يديه، وأراهم رجليه وأثر الحربة في جنبه.. ففرح التلاميذ إذ عاينوا الرب، وازداد فرحهم بعبارة السلام التي فاه بها، وهو يعني كل حرف فيها...

إن هذا السلام هو خير ما تركه السيد المسيح لأتباعه، إنه اطمئنان القلب، وراحة الضمير، ورجاء لايخيب، وأمل باسم. فمهما كانت العواصف شديدة عنيفة، والسحب سوداء كثيفة، والصواعق مرعبة مخيفة، فنحن نحلق في أجواء الروح، والنفس مطمئنة لأن عناية الرب تشملنا، وعينه الساهرة ترعانا، ووعده الإلهي لنا يبعث السلام في قلوبنا، وقد قال: «وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» (مت ١٠: ٣٠) وأساس هذا السلام هو المصالحة مع الله، الغاية القصوى من تجسد الفادي. وعبارة السلام هذه أسمعتنا اياها السماء منذ أن بشر الملاك جبرائيل العذراء مريم بالحبل بيسوع، كما أنشدت الملائكة أنشودة السلام يوم ميلاد الفادي قائلة: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة»(لو ٢: ١٤) وقبيل آلامه طمأن الرب تلاميذه المضطربين بعبارات السلام قائلاً: «سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا»(يو ١٤: ٢٧) والآن بعد قيامته أعطى السلام لتلاميذه ففرحت قلوبهم لأنهم عاينوا الرب.

ما أحوجنا اليوم، أيها الأحباء، إلى سلام المسيح ربنا. السلام المبني على أساس قيامته المجيدة من بين الأموات، ذلك أن القيامة هي الكفالة الراهنة للمواعيد التي قطعها الرب للعالم. فقد أنارت لنا قيامته طريق الحياة، وأثبتت لنا صدق وعده الإلهي الذي أعلنه بقوله:

«أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد»(يو ١١: ٢٥ و١٦). فكما أن الموت أنواع ثلاثة، موت أدبي، وموت طبيعي، وموت أبدي، كذلك الحياة بالمسيح أنواع ثلاثة: حياة أدبية، حياة طبيعية، حياة أبدية.

والمسيح بقيامته من بين الأموات وهب لنا نحن الذين دفنا معه بالمعمودية للموت أن نقوم معه ونسلك في جدة الحياة(رو ٦: ٤). كما وضّح لنا الرسول بولس. وهذه الحياة هي الحياة الأدبية، حياة الطهر والنقاء، والبر والقداسة «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح»(في ٣: ٢٠). ومع المسيح انتصرنا على الموت الطبيعي ومعه يحق لنا أن نقول: أين شوكتك ياموت أين غلبتك ياهاوية» (١كو ١٥: ٥٥وهو ١٣: ١٤) فقد أبطلت قيامة المسيح من بين الأموات عِزَّ الموت، ومنحت البشرية النصر والغلبة، وملأت قلوبنا رجاء لا يخيب. وبرهنت على أن الموت الطبيعي ليس نهاية لحياتنا بل هناك حياة بعد الموت، وأننا بالموت الطبيعي ننتقل من حياة فانية زائلة، إلى حياة باقية خالدة، ومن بؤس وشقاء إلى سعادة وهناء، وبهذا الصدد يقول الرسول بولس: «إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح، فاننا أشقى جميع الناس، ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين»(١كو ١٥: ١٩ و٢٠).

إن بواكير الثمار التي كانت تقدم للرب تعد كوعد بحصاد قادم من نوعية جيدة. فقيامة المسيح أظهرت لنا ماستكون عليه أجسادنا المقامة

بقوة المسيح في اليوم الأخير، كقول الرسول بولس: «الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (في ٣: ٢١ و١يو ٣: ٢) أي على شكل جسده لما تجلى على الجبل أمام ثلاثة من تلاميذه، وهو شكل جسده بعد قيامته من بين الأموات.

والمسيح بعد قيامته لم يمت ثانية، ولن يموت أبداً بل هو حي إلى الأبد ويحيي الموتى بوساطة كنيسته المقدسة التي هي جسده السري، والتي هي حية فيه. وتأثيره في العالم، عبر الدهر، يبرهن على أنه حي، وقد وعد أن يكون معنا إلى انقضاء الدهر، وأن كنيسته ثابتة على صخرة الإيمان به، وأبواب الهاوية لن تقوى عليها، فلن تتزعزع أركانها مهما قسا الدهر عليها.

والمسيح مع كل فرد من المؤمنين وقد وعد قائلاً: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ١٠) وتلاميذ الرب يعلمون أنه لا قيامة بدون موت، ولا إكليل مجد بدون إكليل من شوك. لذلك عندما يقبلون المسيح المصلوب مخلصاً شخصياً لهم يصلبون معه ذواتهم ليحيوا لا هم بل المسيح يحيا فيهم على حد تعبير الرسول بولس. فاذا كانوا أمواتاً بالخطية كشاول الطرسوسي، فانهم سينالون الحياة بالمسيح فيصيرون كالرسول بولس آنية مختارة.

إن العديد من القديسين في السماء كانوا خطاة وعمياناً، لهم عيون ولايبصرون، ولكنهم لما آمنوا بالمسيح مخلص العالم تناثرت القشور التي كانت متلبدة على عيونهم، وأبصروا نور المسيح القائم من بين الأموات، وآمنوا به فنالوا نعمة التبرير والتقديس والتجديد والتبني، وصاروا أبناء الله بالنعمة وورثة لملكوته السماوي.

لنقم نحن أيضاً مع المسيح أيها الأحباء، لنراه بعين الروح ونسمعه جيداً يقول: «انظروا يديّ ورجليّ أنا هو»(لو ٢٤: ٣٣) إنه المخلص

الذي أحبنا وهذه الجروحات أصابته من أجلنا فماذا قدمنا نحن لأجله؟.

لنفحص أيدينا وأرجلنا. هل عملت أيدينا أعمال الخير والصلاح، هل سلكت أقدامنا في طريق البر والاستقامة؟

لننصت جيداً فنسمع الرب يقول لنا «السلام لكم» فتمتلئ قلوبنا بالمحبة لله، وللقريب، ونكون بسلام مع الله، ومع أنفسنا، ومع القريب.

وعندما تأتي الساعة لنغادر هذه الفانية تكون نفوسنا مطمئنة، وأشواقنا إلى المسيح ملتهبة، كالرسول بولس الذي قال: «لي اشتياق أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذلك أفضل جداً» (في ١: ٢٢ ـ ٢٤) ولاغرو من ذلك فقد وعد الرب تلاميذه بقوله: «هاأنذا ماض لأعد لكم مكاناً... وحيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً معي» (يو ١٤: ٣).

أهلنا الرب الإله جميعاً، لنعيد عيد قيامته هذا المقدس بالأفراح والمسرات. وعندما يحين موعد انتقالنا إليه، ونسير في وادي ظلال الموت، لانخاف شراً لأنه معنا، ينير لنا الهاوية بنوره، فنرقد بسلام، لأن أعيننا قد نظرت خلاصه كسمعان الشيخ. وحينما تأتي الساعة التي قال عنها الرب إن جميع من في القبور يسمعون فيها صوته فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة. ليؤهلنا الرب أن نقوم قيامة الحياة لنملك معه إلى الأبد فنعيد عيد القيامة العامة بأفراح لاتزول ولاتحول، بنعمته تعالى آمين.

الموت والقيامة(*)

«وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلةٌ كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم... أنتم بعد في خطاياكم... ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين» (١كو ١٥: ١٤و١٧و٢٠).

في ميدان دحض الآراء الباطلة التي كان ناكرو قيامة الأموات يبثونها بين الناس يفترض الرسول بولس افتراضاً مشئووماً، ثم يستدرك استدراكاً منطقياً معقولاً وهو يربط عقيدة قيامة السيد المسيح من الأموات، بعقيدة القيامة العامة، ويعتبر الأولى أساساً للثانية، ويخرج بنتيجة حتمية، واضحة، هي أن المسيح قد قام من الأموات، وصار باكورة الراقدين، وفي المسيح سيقوم الأموات في اليوم الأخير.

ولاعجب فإنّ قيامة المسيح من الأموات أهم عقائدنا المسيحية الراسخة، فلو تمكنت الهاوية من الاحتفاظ بجسده الطاهر مدفوناً في القبر الجديد، ولو استطاع الموت إبقاءه تحت سلطانه، لأصبحت المسيحية أثراً بعد عين. ولكن المسيح أمات الموت بموته، ودكّ أركان الهاوية بنزوله إليها وأثبت صحة الحقائق التي أعلنها أمام الملأ: فهو ابن اللّه الوحيد، وهو والآب واحدٌ، ومن رآه فقد رأى الآب وهو الطريق والحق والحياة، وهو نور العالم، بل هو القيامة والحياة. من آمن به وإن مات فسيحيا. لذلك حقّ للرسول بولس أن يكتب إلى أهل كورنثوس قائلاً: «إن لم يكن

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المجيد المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس بدمشق في ١٩٨٤/٤/٢٢.

المسيح قد قام فباطلٌ إيمانكم» «وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لاترى» (عب ١١: ١) وهو الإقرار قلباً ولساناً مع الرسول بطرس وسائر الرسل، بأن الرب يسوع هو المسيح ابن اللّه الحي، وهو المخلص الذي انتظرته الشعوب، وفيه كملت نبوات الانبياء، وقد فدى البشرية بموته وقيامته. وهذا الإيمان هو لب الإنجيل المقدس والغاية القصوى من كتابته وإعلانه على حدّ قول الرسول يوحنا في إنجيله «أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن اللّه ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه»(يو ٢٠: ٣١).

أجل، إن قيامة المسيح هي الضمانة الوحيدة لنيل الحياة باسمه له المجد لأنها الوسيلة الفريدة لمغفرة الخطايا كقول الرسول بولس: «إن لم يكن المسيح قد قام.. أنتم بعد في خطاياكم»... فقيامته برهانٌ ساطعٌ على قبول الآب السماوي ذبيحته الإلهية كفّارةٍ عن العالم، وبذلك غفِرت الخطية التي تمخضت وولدت موتاً، ونلنا الحياة بالمسيح يسوع.

ولو لم يكنِ المسيح قد قام من الأموات لاعتبر مجرد إنسان صالحٍ استشهد كسائر القديسينِ في سبيل مبادئه الدينية السامية، ولكن قيامته أثبتت أنه حمل اللّه الرافع خطايا العالم «الذي أُسلِم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا»(رو ٤: ٢٥).

و«إن لم يكن المسيح قد قام من الأموات فباطلةٌ كرازتنا» يقول الرسول بولس، وليست كرازة الرسل باطلة بدون قيامة المسيح فحسب بل أيضاً باطلة كرازة الأنبياء الذين تنبأوا عن مجيئه ووصفوا بدقةٍ مراحل تدابيره الإلهية على الأرض. وباطلة كرازة تلاميذ الرسل ومعلمي الكنيسة وملافنتها بل أيضاً باطلة الكرازة الصامتة والناطقة للمؤمنين به في كل عصر ومصر.

ولكن الآن المسيح قد قام. فكرازة الرسل والأنبياء والآباء إذن ليست باطلة بل صادقة وكان أولئك الرسل الأطهار شهود عيانٍ لقيامة الرب، وقد أعلنوا شهادتهم على رؤوس الأشهاد وختموها بدمائهم الزكية إذ قدّموا أعناقهم للذبح في سبيل التمسك بالإيمان بالمسيح القائم من الأموات. وهؤلاء الرسل مشهودٌ لهم بالصدق والاستقامة والتقوى ومخافة الرب.

كان هؤلاء الرسل الأطهار قد دفنوا آمالهم وأمانيهم مع الرب يسوع في القبر الصغير وودّعوا، يوم الجمعة، رجاءهم إلى الأبد إذ تملكهم اليأس القاتل، وخيبة الأمل القاسية، وعادوا إلى المدينة حزانى خائفين، موصدين وراءهم أبواب العلية. ولكن في فجر يوم الأحد، انبلج النور من الظلمة، بقيامة المسيح يسوع من الأموات وظهر الرب لتلاميذه مرات عديدة وفي أماكن شتى، وأكل وشرب معهم، وبعد أربعين يوما أخذهم إلى جبل الزيتون، وانفرد عنهم ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم صعد إلى السماء، وبعد عشرة أيامٍ من صعوده أرسل إليهم الروح القدس، فحل عليهم في العلية بشبه ألسنة نارية... فانقلب أولئك الرجال البسطاء إلى رجال حكماء، وصار أولئك الضعفاء الجبناء مملوئين شجاعة وبسالة وقوة، يعلنون شهادتهم الصادقة أمام القاصي والداني بجرأة فائقة. ولم يبالوا بالآلام التي تحملوها في سبيل إعلان حق المسيح يسوع والاعتراف بقيامته من الأموات.

فهذا بطرس زعيمهم يخطب يوم الخمسين في الجمهور الغفير الذي قدم المدينة المقدسة من كل فج عميق، مخاطبا اليهود قائلا «يسوع الناصري رجلٌ قد تبرهن لكم من قبل اللّه بقوات وعجائب وآيات صنعها اللّه بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون. هذا أخذتموه مُسلّما بمشورة اللّه المحتومة وعلمه

السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه الذي أقامه اللّه ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه... فيسوع هذا أقامه اللّه ونحن جميعاً شهود لذلك» (أع ٢: ٢٢ ـ ٢٤ و ٣٢). فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة، فقال لهم بطرس: توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس... فقبلوا كلامه بفرحٍ واعتمدوا وانضمَّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفسٍ(أع ٢: ٣٧ و ٣٨ و ٤١).

أما الرسول بولس، الذي اضطهد كنيسة اللّه في بادئ الأمر فبعد أن ظهر له الرب يسوع بالقرب من دمشق، واختاره ليكون اناءً مختاراً، يكتب إلى أهل كورنثوس سنة سبعٍ وخمسين للميلاد قائلاً: «فإنني سلَّمت إليكم في الأول ماقبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب. وأنه ظهر لصفا ثم للأثني عشر، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ، أكثرهم باقٍ إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين، وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا... فسواءٌ أنا أم أولئك هكذا نكرز وهكذا آمنتم». ثم يردف الرسول بولس قائلاً: «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم... ولكن الآن قد قام المسيح وصار باكورة الراقدين» (اكو ١٥: ٣ و ٧ و ١١ و ١٣ و ٢٠).

هذا مثال صادق لشهادة الرسل الأبرار على حقيقة قيامة المسيح من الأموات ويضاف إلى ذلك البراهين الطبيعية،وهي شهادات لاتحصى تنطق بصمتها على صحة حقيقة قيامة المسيح، من ذلك القبر الفارغ، والأكفان الملفوفة بانتظام، والمنديل الذي كان على رأسه، والحجر الكبير المدحرج عن

باب القبر، والأرض التي تزلزلت، والنور الباهر الذي أشرق فأرعب الحراس وصاروا كالأموات. فالأرض والسماء شهدتا على قيامة الفادي من الأموات.

وكانت قيامة الرب من الأموات فريدة من نوعها: فقد قام بإرادته الذاتية وقدرته الإلهية، كما مات بمحض مشيئته، وقد قال عن نفسه: «لذلك يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضا ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضاً. وهذه الوصية قبلتها من أبي» (يو ١٠: ١٧ ـ ١٨).

وفي قيامته أعلن انتصاره المبين على أعداء البشرية الثلاثة: الموت والشيطان والخطية، وصار باكورة الراقدين، والباكورة هي أول كل شيء، وهي أيضاً كل فعلة لم يتقدمها مثلها، والمسيح هو أول من قام من الأموات قيامة حياة لا موت بعدها، كقول الرسول بولس: «عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لايموت أيضاً لايسود عليه الموت بعد» (رو ٦: ٩) فهو حيٌّ، وسيبقى حياً إلى الأبد، بل هو المحيي، لأنه القيامة والحياة ومن آمن به وإن مات فسيحيا، كما وعدنا له المجد، وإذا اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه فهو يكون بينهم. وقد قام بجسده الذي أخذه من العذراء مريم ولكن بعد أن صار جسداً ممجداً شفافاً لايخضع للعوامل المادية ولاتحجبه الحواجز.

لقد قام من الأموات، العديد من الناس قبل قيامة المسيح وبعدها. فالنبي إيليا أقام ابن أرملة صرفة صيدا(١مل ١٧: ٢٢) والنبي اليشع أقام ابن المرأة الشونمية(٢مل ٤: ٣٥) كما أن جثة رجل ميت طرحت في قبر النبي اليشع فلما مسّت هذه الجثة عظامَ النبي أليشع عاش الرجل وقام على رجليه(٢مل ١٣: ٢١). والرب يسوع ذاته قد أقام من الأموات، الفتاة ابنة يايرس (مر ٥:

٢١-٤٣) والشاب ابن أرملة نايين(لو ١٧: ١١-١٧). ولعازر بعد موته ودفنه بأربعة أيام (يو ١١:٤٦). ولكن هؤلاء جميعاً وغيرهم ممن أقيموا بقوة إلهية إنما أقيموا بأجسادهم الترابية، وماتوا ثانيةً، أما يسوع المسيح ربنا فقد قام بارادته الذاتية، وبجسده الممجد وهو حيٌّ إلى الأبد. وليس هذا فقط بل أن قيامته صارت ميراثاً حقيقياً للذين دفنوا معه في المعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا يسلكون هم أيضاً في جدَّة الحياة(رو ٦: ٤). وبالتالي يرثون معه ملكوت أبيه السماوي كقول الرسول بولس: «لأنه إن كنا نؤمن أن المسيح مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم اللّه أيضاً معه»(١تس ٤: ١٤).

فكما في آدم مات الجميع، كذلك في المسيح يحيا الجميع، فآدم كان نائباً عن الجنس البشري، وفي نيابته كان في معرض الربح والخسارة، فلما سقط في الخطية وحُكم عليه بالموت، دخل الموت إلى العالم وشمل الجنس البشري كلّه، «فالجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله»(رو ٣: ٢٣). وقد ورثنا هذه الخطية بالولادة الشرعية الطبيعية من آدم.

كذلك المسيح يسوع ربنا صار نائباً لنا، وبديلاً عنا، وفدانا بدمه الكريم وذلك بسلطان إلهي وتدبير سماوي، بني على قصد اللّه ورحمته تعالى ففي المسيح نولد ميلادا ثانيا روحياً من السماء ونصير ورثة لملكوت الآب السماوي.

كذلك يوصينا الرسول بولس «ألاَّ نحزن كثيراً على الراقدين بالرب كمن لا رجاء لهم»(١تي ٤: ١٣).

فرجاؤنا بالمسيح أنه باكورة الراقدين، وأنه يدعو المؤمنين الصالحين لتتنعم أرواحهم معه في الفردوس، كما وعد اللص التائب وهو على الصليب قائلاً له: «الحق أقول لك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣). فالإنسان لايتلاشى بالموت،

والموت هو انتقال من حال إلى حال، وهو انفصال النفس عن الجسد، والنفس خالدة لاتموت لأنها نسمة من الله. وصاحب الجامعة يصف الموت قائلا: «فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى اللّه الذي أعطاها»(جا ١٢: ٧).

فالذين رحلوا عنا، وسبقونا إلى الأبدية، إنما قد رحلوا من دار شقاءٍ فانية إلى دار هناء خالدة، وأرواحهم تتنعّم مع المسيحِ، فِي الفردوس وتنتظر يوم القيامة العامة لتسمع صوت ابن اللّه فتقوم قيامة الحياة متحدة بأجسادها وحينذاك تملك مع المسيح، في ملكوت أبيه السماوي.

ولذلك تاق القديسون إلى الانتقال إلى السماء وسمعنا الرسول بولس يقول: «لي اشتياق أن أنطلق وأكون مع المسيح»(في ١: ٢٣) وصاحب الرؤيا يعطي الطوبى للراقدين بالرب بقوله: «وسمعت صوتاً من السماء قائلاً لي: اكتب طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن نعم يقول الروح لكي يستريحوا من أتعابهم، وأعمالهم تتبعهم»(رؤ ١٤: ١٣).

أهَّلنا الرب الإله لنحيا كما يحق لإنجيله المقدس، بإيمان متين ثخين، ورجاءٍ وطيد، ومحبة صادقة. وأن نتزين بالأعمال الصالحة التي ستتبعنا إلى السماء، لنستحقّ أن نسمع يوم القيامة العامة صوت ربنا يسوع ينادينا فتتحد أرواحنا بأجسادنا، ونقوم قيامة الحياة، ونرث معه ملكوت االسموات.

أعاد اللّه عليكم عيده المجيد باليمن والبركة، ووفقكم لتحتفلوا في ملكوت أبيكم بعيد القيامة العامة الذي لايزول ولايحول. ونعمته تشملكم آمين.

قيامة السيد المسيح وحياتنا الروحية(*)

«فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة»(رو ٦: ٤).

يقدم لنا الرسول بولس بهذه الآية الكريمة، الثمار الروحية الشهية التي يجتنيها المؤمنون من عمل الفداء، الذي أكمله الرب يسوع بموته المحيي على الصليب، وبقيامته المجيدة من الأموات ويبين الرسول أيضاً أن المعمودية التي نهجِ الرب طريقها بعماده من عبده يوحنا، وأعطاها للكنيسة سراً مقدساً يمنح المؤمنين بوساطته نعمة التبرير والتقديس والتبني، هذه المعمودية هي مثال لموت الرب يسوع وقيامته، وفيها تكمن قوة الفداء لذلك أمر الرب تلاميذه الأطهار قائلاً لهم: «إذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن»(مر ١٦: ١٥). وتعني كلمة اعتمد (عماذ) بالسريانية: غاص، وتوارى، كما تعني اصطبغ، واستحم، والطقس السرياني يوجب على الكاهن تغطيس المؤمن المقدم للعماد في جرن المعمودية ثلاث مرات اشارة إلى موت السيد المسيح ودفنه في القبر الجديد، وقيامته في اليوم الثالث ممجداً.

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في عيد القيامة المجيد المنقول بإذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٤/٤/١٩٨٥.

فالمؤمن المعتمد يموت مع المسيح، ليقوم معه، وينال نعمة الفداء بدم المسيح يسوع، وليولد ثانية من الماء والروح كقول الرب لنيقوديموس «الحق أقول لك إن كان أحد لايولد من الماء والروح لايقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣: ٥). وبهذه الولادة يصير المؤمن إبنا للّه بالنعمة ووريثا لملكوت السماء مع «الذين ولدوا ليس من دم ولامن مشيئة جسد ولامن مشيئة رجل بل من الله»(يو ١: ١٣)، على حد تعبير الرسول يوحنا في الإنجيل المقدس.

أجل إذ نحتفل اليوم بعيد قيامة الرب يسوع من الأموات لانحتفل فقط بذكرى حدث عجيب يعتبر من أهم أحداث التاريخ البشري، بل أيضاً نحيا القيامة المجيدة، شاعرين بقوتها الروحية التي تغمر كياننا، لأن المسيح المقام من الأموات هو حي فينا ومعنا وبيننا، يمنحنا الحياة الدائمة. وقد قال مرة «الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة وهي الآن حاضرة حين يسمع الأموات صوت ابن اللّه والسامعون يحيون» (يو ٥: ٢٥).

بدأت تلك الساعة في بدء عمل السيد المسيح الفدائي في الجسد، وكملت بموته وقيامته وهي مستمرة إلى موعد مجيئه ثانية لدينونة العالم، فهو لايزال وسيبقى إلى الأبد يُسمع صوته من خلال رسله، وكهنته، الحاملين بشارة إنجيله المقدس إلى العالم أجمع. فمن سمع كلام الرب وأطاعه خلص، إذ ينتقل من الموت إلى الحياة. وإنّ كلمة الأموات في هذه الآية تعني الخطأة المذنبين الذين ماتوا بالآثام وصاروا تحت حكم الخطية، وهذه الحال ندعوها بالموت الروحي والأدبي، وهو انفصال الإنسان عن اللّه تعالى. كابتعاد آدم، الإنسان الأول، عن ربه بعدما أخطأ. وابتعاد الإبن الضال عن بيت أبيه، وتشرده في أرض

الغربة، وتبذيره أموال أبيه في عمل الخطية. ولايتخلص الإنسان من هذا الموت، ولاتعود إليه الحياة، الابالعودة إلى الله، كما فعل الابن الشاطر. كانت الخطية قد تفشت في العالم، وقد أماتت قوى الإنسان الروحية يوم نادى الرب يسوع قائلاً: «تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن اللّه والسامعون يحيون» فقد رأى الرب الإنسان رازحا تحت نير إبليس الثقيل، والخطية تقض عليه مضجعه. ولم يقو الآباء والأنبياء على انقاذه من وهدة آثامه وهوة خطاياه، وهؤلاء الآباء والأنبياء، ولئن أتوا بالشريعة الإلهية إلى الإنسان، ولكنهم عجزوا عن اتيان الإنسان إلى اللّه رب الشريعة.

لم تتمكن اليهودية بناموسها المكتوب، ودماء ذبائحها الحيوانية وتعاليم آبائها جميعاً، أن تخمد نار غضب اللّه على الإنسان الخاطئ، وأن تمنح هذا الإنسان المغفرة وتنقذه من الموت الروحي الأدبي «لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح اذاً مات بلا سبب» (غل ٢: ٢١)يقول الرسول بولس.

كان رؤساء اليهود قد تعمقوا في دراسة الناموس وتفقهوا في الشريعة الموسوية، ولكنهم كانوا في الوقت ذاته يرتكبون الآثام التي ينهون غيرهم عنها. فلم يكن هناك تناغم بين مايبطنونه في ضمائرهم الفاسدة المنحرفة، وما يظهرونه من أعمال أمام الناس، لذلك قرّعهم الرب يسوع بقوله: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثماً» (مت ٢٣: ٢٧و٢٨).

أما الديانات الوثنية فقد كانت الطريق الممهدة للتمرغ في حمأة الفساد وكانت طقوسها ممارسات للرذيلة باسم الدين.

وهكذا مات الإنسان روحيا وأمسى فريسة باردة لإبليس وجنده ينهشونها بنهم. ويصف لنا الرسول بولس في رسالته إلى رومية مابلغت اليه البشرية في عصره من الانحطاط بقوله: «وكما لم يستحسنوا أن يبقوا اللّه في معرفتهم أسلمهم اللّه إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لايليق، مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسدا وقتلا وخصاما ومكرا وسوءا، نمامين مفترين مبغضين للّه ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شرورا غير طائعين للوالدين. بلافهم ولاعهد ولاحنو ولارضى ولارحمة» (رو ١: ٢٨ ـ ٣٢).

في هذا العالم المشحون بالخطية أقام السيد المسيح من نفسه مثالا حيا للفضيلة. فعاشر الخطاة، وجالس العشارين وقال: «لايحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، لأني لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة»(مت ٩: ١٣) وهو يدعو كل من يشعر بنفسه بأنه بحاجة إليه قائلا: «تعالوا إليّ ياجميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم، احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم، لأن نيري هين وحملي خفيف» (مت ١١: ٢٨ ـ ٢٩). ولم يكتف بهذا بل أيضا فدى البشرية بدمه الكريم بموته عنها على الصليب وبدفنه وقيامته في اليوم الثالث ممجدا.

لقد منحنا الرب يسوع بقيامته قيامة روحية من موت الخطية، وانتشلنا من وهدة الإثم والمعصية، ونقلنا من حال الخطية إلى حال البر والقداسة، وأهلنا لنحيا حياة روحية بسيرة صالحة وسريرة نقية، وانسجام تام بين ما نكنه ومانظهره من

أفكار وأقوال وأعمال، وبينها جميعاً وبين ناموس اللّه الأدبي وشريعته الإلهية.

وللمسيح يسوع ربنا سلطان على مغفرة الخطايا، ويحق له أن يمنح الإنسان نعمة الحياة الروحية، ذلك أنه الإله القدير الذي لبس جسدنا وهو «مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية» (عب ٤: ١٥) وبرئ من أي إثم، وطاهر ونقي، وقدوس، ومثال للكمال كما يشهد له حتى أعداؤه.

من ذلك ان الفريسيين ورؤساء الكهنة اليهود أرسلوا مرة خدماً ليمسكوه بكلمة، فرجع هؤلاء إليهم قائلين: «لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان» (يو ٧: ٤٦) وإن بيلاطس الوالي بعد أن فحص يسوع قال لليهود: «إني برئ من دم هذا البار» (مت ٢٧: ٢٤).

وقد وُصف الرب يسوع بلغة البشر بأنه «جال يصنع خيراً»(أع ١٠: ٣٨) وهو عمل وعلّم «وأما من عمل وعلَّم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات» (مت ٥: ١٩) و «الأعمال التي عملها لايقدر أحد أن يعملها مالم يكن اللّه معه»(يو ٣: ٢) كما شهد عنه نيقوديموس أحد رؤساء اليهود. وسمعنا الرب ينادي على مسمع من أعدائه وأصدقائه، «من منكم يبكتني على خطية»(يو ٨: ٤٦) ولم يقو أحد أن يعترض على قوله لأنه كان بريئاً من كل خطية، ولم يوجد في فمه غش.

وكان تأثيره في الناس عظيما، فقد دعا رسله وتلاميذه ليتبعوه، فتبعوه تاركين أهلهم وذويهم ودورهم وأملاكهم، وأعمالهم، وخطاياهم، ليتجردوا من كل شيء وليعيشوا معه وهو القائل: «للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه»(مت ٨: ٢٠).

أما تعاليمه السامية فهي الأجوبة الشافية لتساؤلات الإنسان عن اللّه تعالى الواحد الأحد، وخلقة الأكوان وماهية الإنسان ومصيره، وعلاقة الخالق بالمخلوقات. وقد سلطت تعاليمه الإلهية الأضواء على ماوراء القبر فملأت قلوب المؤمنين عزاء ويقيناً بأمور لاترى، وإيماناً متيناً ورجاء وطيدا بالسعادة الأبدية.

وقد قرن الرب يسوع تعاليمه السامية بالمعجزات الباهرات ليبرهن على صحتها، ويقيم الحجة على شرعية سلطانه الإلهي بكشف أسرار السماء وسن الشرائع الأدبية للناس ونهج طريق الحياة لهم. فسمعناه يعلّم بثقة حتى قال عنه اليهود «إنه يعلم كمن له سلطان وليس كالكتبة»(مت ٧: ٢٩).

فموعظته على الجبل تذكرنا بالشريعة التي أعطاها أبوه السماوي في النظام القديم على جبل سيناء، فالأخيرة كملت الأولى ولذلك قال: «لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس والأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل» (مت ٥: ١٧) فبعد أن يعطي الطوبى للمساكين بالروح والودعاء والرحماء وأنقياء القلب وصانعي السلام ولكل من يستحق الطوبى وملكوت الله، يعقد المقارنة ما بين الشريعة القديمة والشريعة الجديدة ويوجه أنظار الإنسان إلى الغاية من الشريعة مرتفعا بأفكاره إلى مستوى النية والإرادة والفكر، فهو إذ يعالج القتل، وينهي الإنسان عن دوافعه أي عن الحقد، والبغضة، والغضب، ويحكم على النية والإرادة والأفكار ويقول: «قد سمعتم أنه قيل للأولين لاتقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم» (مت ٥: ٢١ و٢٢).

وهكذا يكمل السيد المسيح الشريعة الأولى بالثانية، ويوجه أنظارنا لا إلى الحرف، فالحرف يقتل، ولكن إلى الروح الذي يحيي(٢كو ٣: ٦) ولذلك لايريدنا أن نخدع بمظاهر البر التي كانت لدى الكتبة والفريسين ويقول: «إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت الله»(مت ٥: ١٧ ـ ٢٠) وعنى بهذا البر، بر الأعمال والفرائض والتمسك بالحلال، وتجنب الحرام، الأمور التي كان أولئك القوم يدققون فيها شكليا وظاهريا. أما البر الذي يريدنا السيد المسيح أن نمارسه فهو بر الأعمال الصالحة المقترنة حتماً بالإيمان به. وهذا البر يستند إلى المحبة ويمس ضمير المؤمن وبذلك يزيد على بر الفريسيين وغيرهم لأنه برخال من المراءاة.

ويضع الرب القاعدة الذهبية التي تحدد معاملة الإنسان لأخيه الإنسان قائلاً: «فكل ماتريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم لأن هذا هو الناموس والأنبياء»(مت ٧: ١٢).

وكثيراً ماسمعنا الرب يردد في عظاته قوله «من له أذنان للسمع فليسمع»(مت ١١: ٥) إن العديد من الناس «لهم آذان ولايسمعون».

وفي مثل الزارع، يذكر الرب أن الزرع هو كلمة الله. وحيث أن صلاح الأرض يعرف بتجاربها مع الزرع، كذلك صلاح الإنسان يظهر بسماع هذا الإنسان كلمة الله وتجاربه معها فتنمو في قلبه، وفكره وعقله، وهكذا يولد ثانية من السماء.

لقد تجاوب شاول الطرسوسي مع كلمة الله لما خاطبه السيد المسيح من السماء. فآمن شاول، وولد ميلاداً روحيا من السماء، ودعي بولس رسول الأمم، والإناء المصطفى.

مرة جاء شاب إلى الرب يسوع وسأله عما ينبغي أن يفعله ليرث الحياة الأبدية. فأجابه الرب: «بع كل مالك ووزعه على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني». فلما سمع ذلك الشاب تلك الكلمات السامية ذهب حزيناً لأنه كان غنياً جداً (لو ١٨: ٢٢-٢٣) إذ أحب الظلمة أكثر من النور. صم أذنيه عن سماع كلام الرب وإطاعته فبقي ميتاً روحياً.

وفي أواخر القرن الثالث سمع أنطونيوس كاهناً يتلو قول الرب للشاب الغني: «بع كل مالك ووزعه على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني» فاعتبر أنطونيوس الأمر موجهاً إليه فأطاعه وكرس نفسه للرب، وصار أبا الرهبان، وكوكب البرية.

إن ملايين الناس تسمع صوت الرب كل يوم، ولكن كم عدد الذين يطيعونه؟ لايكفي الإنسان أن يؤمن بوجود الله إيماناً نظرياً بل عليه أن يترجم إيمانه بالأعمال الصالحة، لذلك يقول الرسول يعقوب: «الإيمان بدون أعمال ميت»(يع ٢: ٢٦) «والديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم»(يع ١: ٢٧) هذا مانتعلمه أيضاً من مثل السامري الصالح. المثل الذي ضربه الرب يسوع ليوضح لنا أنه يريد رحمة لا ذبيحة، وفيه نلمس عدم جدوى مافعله الكاهن في الهيكل طالما لم يشفق على أخيه الإنسان الساقط بين اللصوص وكذلك اللاوي يدان لعدم رحمته. أما السامري الصالح الذي كان غريب الجنس وكان رمزاً إلى السيد المسيح بالذات. فقد ترجم الدين بالعمل الصالح، عمل الرحمة والمحبة. فضمد جروح الساقط بين اللصوص واعتنى به وحمله على دابته وأتى

به إلى فندق ودفع الأجرة عنه. فمن يسمع صوت السيد المسيح ويطيعه ينتقل حتما من الخطية إلى حياة البر والقداسة، ويقوم مع المسيح في جدة الحياة، هذه هي الرسالة الحقيقية لقيامة السيد المسيح من الأموات بعد تقديمه نفسه فدية عن البشرية.

إنّ حقيقة قيامة المسيح من الأموات ثابتة، ولاتحتاج إلى برهان بل هي الحجة الدامغة على إثبات ألوهته والعلامة الواضحة لحقيقة قيامة المؤمنين في اليوم الأخير. فالمسيح قد قام وقمنا معه. وكان رسله وتلاميذه والنسوة شهودا صادقين على تلك القيامة. وقد أثبتوا صدق شهادتهم بأعمالهم الصالحة وبتقديم دمائهم في سبيل الإيمان بالمسيح يسوع.

فهل نحن أيضاً شهود لقيامة المسيح؟ إن شهادتنا الصادقة للمسيح القائم من الأموات لاتقبل مالم نقم معه في جدة الحياة، أي في الحياة الجديدة التي نحياها بعد أن كنا قد ولدنا ثانية من الماء والروح، ومن الروح والنار، فيصور فينا المسيح يسوع الذي خلقنا على شبهه كمثاله، وتفوح منا رائحة المسيح الذكية، بل أيضاً نصير رسالته المقروءة من الناس، «فقد دفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة»(رو ٦: ٤).

أعاد اللّه عليكم عيده المقدس باليمن والبركة ونعمته تشملكم دائماً أبداً آمين.

رفيق الطريق(*)

«وإذا اثنان منهم كانا منطلقين في ذلك اليوم إلى قرية... عمواس»(لو ٢٤: ١٣).

في فجر ذلك اليوم العظيم يوم قيامة الفادي من الأموات، كان الليل البهيم يرجع القهقرى، والنور الباهر يقتحم جحافل الظلمة بسرعة فائقة لينبلج عن صبح عجيب ينير الجالسين في الظلمة وظلال الموت.

كانت الشمس قد حجبت نورها في رابعة النهار يوم الجمعة لما سلم الرب يسوع روحه بيد أبيه السماوي وشرب بإرادته كأس الموت، موت الصليب المرير، ولكن في فجر الأحد كان لابد من أن يقوم من الأموات ممجداً ظافراً، ويرسل نوره الإلهي إلى المسكونة كلها فهو «شمس البر والشفاء بأجنحتها»(ملا ٤: ٢) كما وصفه النبي ملاخي. فلو لم يقم من الأموات لوُئدت رسالته السماوية في لحده، وتبدد تلاميذه وذهبوا أيدي سبا، فقد استولى عليهم اليأس وخيبة الأمل عندما رأوه ميتاً على الصليب، وتسرب الشك إلى قلوبهم بصدق من أنبأهم عن قيامته في فجر الأحد، ولم يؤمنوا حتى ظهر لهم يسوع ذاته فشاهدوه بأعينهم، وسمعوه بآذانهم، ولمسوه بأيديهم. وشهدوا بأنه قام حقاً من الأموات وأيد أغلبهم شهاداتهم بسفك دمهم الطاهر في سبيله.

(*) الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المجيد المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩٨٦/٥/٤.

«لو لم يكن المسيح قد قام يقول الرسول بولس فباطلة كرازتنا وباطل إيمانكم ونوجد نحن أيضاً شهود زور لأننا شهدنا من جهة اللّه أنه أقام المسيح وهو لم يقمه... ولكن الآن المسيح قد قام وصار باكورة الراقدين»(١كو ٥: ١٤ ـ ٢٠).

إنّ عدد شهود القيامة الصادقين الصدّيقين أكثر من خمسمائة شخص، وقد ظهر الرب لبعضهم منفردين وللآخرين مجتمعين في أماكن عديدة ويحدثنا البشير لوقا عن ظهوره له المجد لتلميذين من تلاميذه السبعين غادرا المدينة المقدسة بعد ظهر يوم القيامة المجيد، اسم أحدهما كليوبا، أما الثاني فهو على الأغلب لوقا ذاته. كان هذان التلميذان ذاهبين إلى قريتهما عمواس التي تبعد سبعة أميال عن المدينة المقدسة. وكانا كئيبين على سيدهما يسوع المسيح، ولم يتمكنا من التوفيق بين براءته من أي ذنب ونهايته المشؤومة على يد رؤساء الكهنة الذين أسلموه للموت، موت الصليب.

وفيما كان هذان التلميذان يتحاوران وهما ماشيان وإذا بالرب يسوع يقترب منهما ويسير معهما «وقد أمسكت عيونهما عن معرفته» وظناه إنساناً غريباً، ذلك أنه ظهر بعد قيامته بهيئات مختلفة، وعن ظهوره هذا بالذات كتب البشير مرقس قائلاً: «وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين في البرية»(مر ١٦: ١٢).

وسألهما الرب يسوع قائلاً: «ماهذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسَين؟» فأجاب كليوبا وقال له: هل أنت متغرب وحدك في أورشليم ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام؟ «فقال لهما يسوع وماهي؟ فقالا المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام اللّه وجميع

الشعب كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه». ثم يظهر كليوبا خيبة أمله وقنوطه وهو يتكلم عن توقعات الشعب ورجائهم أن يسوع هو المنقذ المرسل من اللّه ليخلص الشعب، ومفهوم الخلاص لدى كليوبا ولدى معاصريه كان زمنياً لا روحياً، لذلك خاب ظنهم بموت المسيح، ويتابع كلامه قائلاً: و «لكن مع هذا كله، اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك».

أجل لم يعلن الرب يسوع ألوهته قبل قيامته من الأموات، إلا لبعض رسله الأطهار. ولما اعترف به بطرس أنه المسيح ابن اللّه الحي قال له يسوع «إنّ لحماً ودماً لم يعلنا لك هذا بل أبي الذي في السموات» ثم أوصى تلاميذه «ألا يقولوا لأحد أنه المسيح» (مت ١٦: ١٥ ـ ٢٠) وكذلك على أثر حادثة التجلي عندما كشف الرب النقاب عن جزءٍ من مجده الإلهي أمام ثلاثة من تلاميذه(مت ١٧: ٩) قال لهم «لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات»(لو ٢٤: ١٣ ـ ٣٥) ولم يكونوا يفهمون ما معنى القيامة من الأموات. لذلك لا نلوم كليوبا وغيره إذا ما ساورتهم الشكوك بقيامته، ولم يؤمنوا حتى شاهدوه ولانستغرب قول كليوبا لرفيق الطريق «إنّ بعض النساء منا حيّرننا إذ كنّ باكراً عند القبر ولما لم يجدن جسده أتين قائلات أنهن رأين منظر ملائكة قالوا أنه حي. ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت أيضاً النساء، وأما هو فلم يروه» (لو ٢٤: ٢٢ ـ ٢٤). فكأنه يريد أن يقول إنني لا أؤمن بقيامته مالم أشاهده بأم عيني.

ويعلل الرسول يوحنا عدم تصديق التلاميذ نبأ القيامة سريعاً بقوله: «لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات»(يو ٢٠: ٩).

وجاء الآن دور رفيق الطريق الرب يسوع ليتكلم، فوبخ كليوبا ولوقا بكلمات صادرة عن قلبٍ محبٍ، يتألم لقلة إيمان تلاميذه، قائلاً لهما: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ماتكلم به الأنبياء. أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذه الآلام ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب»(لو ٢٤: ٢٥). فالرب يسوع هو محور هذه الكتب التي ينطوي عليها الكتاب المقدس، عنه تنبأ الأنبياء، وفيه تمت نبواتهم بحذافيرها.

كان الرب، قبل آلامه قد أنبأ تلاميذه أنه مزمع أن يتحمل الآلام والموت وفي اليوم الثالث يقوم، واستشهد بما كتب في أسفار العهد القديم من ذلك قوله: «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»(يو ٣: ١٤). «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ» (مت ١٢: ٣٨ ـ ٤٠).

والآن في لقائه مع تلميذيه هذين أخذ يفسر لهما بعض ما ورد عنه في كتب موسى والأنبياء. وماأكثر ما ورد عنه فيها من نبوات ورموز وإشارات، ففي سفر التكوين نقرأ ماكتب على لسان اللّه تعالى وهو يقول للحية: «وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه»(تك ٣: ١٥) وما نسل المرأة الذي سحق رأس إبليس الحية الدهرية، إلا الرب يسوع الذي انفرد عن سائر البشر بولادته العجيبة من عذراء لم يعرفها رجل. وهو النسل الذي عناه الرب الإله بوعده لإبراهيم أبي الآباء بقوله: «ويتبارك في نسلك جميع

أمم الأرض»(تك ٢٢: ١٨) وبهذا الصدد يقول الرسول بولس: «وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لايقول في الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح»(غل ٣: ١٦).

ونقرأ في سفر أشعيا عن ميلاد الرب يسوع قول الوحي الإلهي: هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل» (اش ٧: ١٤)أما عن آلامه وموته الكفاري في سبيل فداء البشرية فيقول الوحي الإلهي في هذا السفر: «لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها.. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا... والرب وضع عليه إثم جميعنا... ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه... سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين» (اش ٥٣).

أما سفر النبي دانيال فقد حدد الوحي الإلهي فيه موعد مجيء المخلص بقوله: «سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين» (دا ٩: ٢٤).

وهكذا من خلال نبوات كهذه مدونة في أسفار العهد القديم ألقى الرب يسوع على إثنين من تلاميذه درسا خالدا في موضوع التجسد الإلهي والفداء، وهو ماش معهما في طريق عمواس.

ولما وصلوا إلى قرية عمواس تظاهر الرب يسوع وكأنه ينوي مواصلة سفره إلى مكان أبعد، وشعر التلميذان بقوة هائلة تجذبهما إليه، فألحّا عليه ليمكث معهما قائلين له «أمكث معنا

لأنه نحو المساء، وقد مال النهار» فدخل ليمكث معهما، وفيما كانا يظنان أنهما يستضيفان إنساناً غريباً، استضافا الرب يسوع ذاته.

ولما جلسوا على المائدة لتناول الطعام، أخذ هذا الغريب الخبز وبارك وكسر، فانفتحت أعين التلميذين وعرفاه أنه الرب يسوع، ثم اختفى عنهما حالاً.

لقد عرف التلميذان الرب عندما شاهدا أثر المسامير في يديه، كما كان للرب طريقة خاصة بمباركة الخبز وتقطيعه وتوزيعه.

إنَّ سرّ القربان المقدس هو علامة الشركة الروحية بين الرب يسوع وبين كل عضو في كنيسته، التي هي جسده السري، وهو رأسها. هذا مايؤكده الرسول بولس بقوله: «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد» (اكو ١٩: ١٦و١٧) فلما بارك الرب يسوع الخبز في عمواس، وكسره وناول التلميذين أعاد إليهما الشركة في كنيسته المقدسة بعدما كانا قد فقداها بانفصالهما عن رسل الرب، وبالشكوك التي ساورتهما في حقيقة قيامة الرب من الأموات.

وبعدما انفتحت أعينهما وعرفاه اختفى عنهما حالاً، ذلك أن جسده المقدس بعد القيامة كان جسداً روحانياً ممجداً ولئن كان جسداً حقيقياً كاملاً. وهو يشبه الجسد الممجد الذي ظهر فيه يوم تجلى على الجبل أمام ثلاثة من تلاميذه، وبهذا الجسد قام من الأموات وترك الأكفان وهي ملفوفة بانتظام، وكأن جسداً لا يزال داخلها كما غادر القبر وكان القبر مغلقاً ولم يحتج إلى فتحه ولا إلى من يدحرج الحجر بل أن أختام السلطة الرومانية

التي كانت على باب القبر لم تنثلم، وهذه الأعجوبة تشبه أعجوبة ولادته من العذراء مريم فقد حافظ على بتوليتها عند الولادة وبعد الولادة. وهو بجسده الممجد بعد القيامة يكون حاضراً في أمكنة عديدة في آن واحد وفي الوقت ذاته لاتراه العين المجردة إلا متى شاء هو أن يُرى.

فبعدما سمح الربِ أن تنفتح أعين تلميذيه ويعرفاه، واختفى عنهما، قاما حالاً وشدا الرحال وقفلا عائدين إلى المدينة المقدسة ليشاركا الرسل والتلاميذ فرحة المناداة بقيامة الفادي... سارا في طريق تحت جنح الظلام فقد أرخى الليل سدوله، ولكنهما لم يفزعا البتة لأنهما آمنا بأن يسوع كانٍ ثالثهما ولئن لم يشاهداه بالعين المجردة فقد وعد أتباعه قائلاً: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ٨: ٢٠).

ولما وصلا إلى المدينة المقدسة اجتمعا في العلية إلى الرسل الأحد عشر ومن كان معهم من التلاميذ سمعاهم يقولون إن الرب قام بالحقيقة من الأموات وظهر لسمعان(اكو ١٥: ٥) فأخبرا الباقين بما حدث لهما في الطريق ولكن التلاميذ لم يصدقوهما(مر ١٦: ١٣) «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلامٌ لكم» (لو ٢٤: ٣٦) فتحول الشك في قلوبهم إلى إيمان متين، وخيبة الأمل إلى رجاء وطيد، والحزن إلى فرحٍ، والخوف إلى شجاعة، والصمت إلى إعلان الشهادة بأن المسيح قد قام من الأموات وهو حيّ. وقد قال هو نفسه: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا»(يو ١١: ٢٥) «أنا هو الأول والآخر والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين ولي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١: ١٧و ١٨).

فما أسعدنا أيها الأحباء أن يكون إلهنا حياً . فبعد أن فدانا بدمه الكريم واشترانا لنفسه، وبررنا، وقدسنا، وأعاد إلينا نعمة التبني فصرنا أبناء لأبيه بالنعمة، يريدنا أن نكون في حظيرته المقدسة. أما إذا ابتعدنا عن دار الأبوة وبدّدنا نِعَمه الإلهية في الديار البعيدة كالإبن الضال... فهو ينتظرنا لنعود إليه بالتوبة كما فعل الإبن الشاطر ليعيد إلينا خاتم العهد، ويلبسنا الحلة الجديدة، ويذبحِ الكبش المسمنِ ويحتفل ويقول افرحوا معي لأن ابني هذا كان ضالاً فوُجِد وكان ميتاً فعاش.

إن إلهنا حي، وهوالراعي الصالح الذي يفتش عن الخروف الضال فإذا ما وجده يحمله على منكبيه ويعيده إلى حظيرة الخراف كما فعل بتلميذي عمواس.

وما أجمل مناجاة النبي داود للرب الإله في المزمور الثالث والعشرين حيث يقول: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء... أيضاً إذا سرت في وادي ظلال الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي».

فإلهنا معنا. عمانوئيل الذي تفسيره اللّه معنا. هو رفيق الطريق.

هو حي وبإمكاننا أن نحيا فيه، وله، ومعه، في حياتنا الجديدة بعد القيامة «فقد دُفنَّا معه بالمعمودية للموت فكما قام المسيح من الأموات كذلك نحن أيضاً نسلك في جدة الحياة»(الحياة الجديدة) لنستحق في اليوم الأخير عند سماع صوته أن نقوم قيامة الأحياء ونملك معه إلى الأبد.

ولتحلَّ بركة قيامته عليكم، أيها السامعون الكرام، في هذا اليوم المبارك ودائماً أبداً آمين.

طوبى للذين آمنوا ولم يروا(*)

«قال له يسوع لأنك رأيتني يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا»(يو ٢٠: ٢٩).

ماأكثر البراهين الحسية، والحجج الدامغة، التي تثبت حقيقة قيامة رب المجد من بين الأموات. من ذلك القبر الفارغ، والأكفان الموضوعة في ترتيب ونظام، والحراس الهاربون فزعاً، والملائكة الموجودون داخل القبر الفارغ وخارجه والذين بشروا النسوة حاملات الطيب قائلين لهن: «لماذا تطلبن الحي بين الأموات، ليس هو ههنا لكنه قام»(لو ٢٤: ٥ و ٦).

أجل، قام رب المجد، في فجر يوم الأحد، بقوته الإلهية الذاتية. وفي يوم قيامته أظهر ذاته، خمس مراتٍ، للمجدلية، وللنسوة حاملات الطيب، ولبطرس، وأخيراً في عشية ذلك اليوم، ظهر لتلاميذه الأطهار وهم مجتمعون في العلية، بسبب الخوف من اليهود، وكانت الأبواب مغلقة، فجاء يسوع نفسه ووقف في وسطهم وقال لهم: «سلام لكم، فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم رأوا روحا»(لو ٢٤: ٣٦ و ٣٧).

كان التلاميذ، كسائر اليهود، يعتقدون بظهور الخيالات في الليل وتلك الخيالات بحسب معتقدهم هي أبالسة أو أرواح بشرية شريرة. ولكي يؤكد لهم الرب أنه هو، أراهم يديه ورجليه وجنبه وقال لهم: ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم...

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المجيد المنقول بإذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في ١٩/٤/١٩٨٧.

إني أنا هو جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب (لو ٢٤: ٣٨و٣٩ ويو ٢٠: ١٩و٢٠) وتم بذلك الوعد الإلهي لهم «سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولاينزع أحدٌ فرحكم منكم» (يو ١٦: ٢٢).

ابتدأ الرب يسوع اجتماعه هذا بتلاميذه الأطهار بعبارة السلام، ليعيد إلى قلوبهم الحزينة المكلومة، البهجة والطمأنينة، فقد أشفق عليهم، ولم يوبخهم على تركهم إياه أوقات المحاكمة والصلب، وأكد لهم بأنه غفر لهم خطيتهم هذه. كما ثبّت إيمانهم به، وجدد ثقته بهم، ودعوته إياهم لحمل رسالته الإلهية إلى العالم أجمع، وبذلك أعاد اليهم رتبة الرسولية ومنحهم سلطان حل الخطايا وربطها بقوله: كما أرسلني الآب أرسلكم أنا، ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم: «اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» (يو ٢٠: ١٩ـ ٢٢) فقد دُفع إليه كل سلطان في السماء والأرض، بانتصاره على أعداء البشرية: الشيطان، والموت، والخطية. وحق له أن يرسل تلاميذه إلى العالم، لينشروا بشارة السلام والخلاص والفداء، ويحملوا إلى المؤمنين نعم التبرير والتقديس والتبنّي.

إن جند السماء ظهروا يوم ميلاد الفادي مسبحين اللّه وقائلين: «المجد للّه في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»(لو ٢: ١٣و١٤). ولكن يوم قيامته من الأموات أقام هو بذاته هذا السلام بين السماء والأرض، بقبول السماء ذبيحته الكفارية المقدمة لأبيه السماوي فدية عن البشرية.

فما أعظم النعمة الإلهية التي نالها التلاميذ بظهور الرب لهم بعد قيامته، ومنحه إياهم هذا السلام الروحي. أما توما أحد

الأثني عشر فلم يكن معهم حين جاء يسوع إلى العلية في المرة الأولى بعد قيامته. فقال له التلاميذ الآخرون: قد رأينا الرب، فقال لهم «إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع إصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه لا أومن» (يو ٢٠: ٢٤و٢٥).

لقد حُرم توما السلام الداخلي، واضطربت نفسه، وتبلبلت أفكاره، لفقده مشاهدة الرب القائم من بين الأموات والذي أحبه كثيراً. لذلك أصر على طلب البرهان الحسي، ولم يقبل شهادة رفقائه. فأساء إليهم بشكه في صدقهم واستقامتهم، كما أساء إلى الرب يسوع الذي كان قد أنبأ تلاميذه متنبئاً عن آلامه، وموته، وقيامته قبل وقوعها. وأملت كبرياء توما عليه عبارته القاسية المشهورة وهي: «إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه لاأؤمن».

لقد أخطأ توما بالتشبث بالبرهان الحسي الملموس، وبالإصرار على الإنكار. وبموقفه هذا ابتعد كثيراً عن معنى الإيمان ومفهومه العام، فالإيمان، كما يصفه الكتاب المقدس، هو «الثقة بما يرجى والإيقان بأمورٍ لاترى» (عب ١١: ١) وإن البراهين الحسية مهما كثرت وتنوعت لايمكن أن تقنع الإنسان المشاكس المتشبث برأيه، المعجب بنفسه، وهذه البراهين لاتقوى على تطهير قلب الإنسان من أشواك الشكوك وفتح كوة في ذلك القلب المظلم ليدخل النور الإلهي إليه فيساعده على تقبل الحقائق الإلهية التي لايدركها العقل البشري.

كانت البراهين الحسية كافية وافية لإثبات قيامة الرب ولكن الجند الذين أقامهم رؤساء الكهنة لحراسة قبره، والذين أعلنوا نبأ القيامة لأسيادهم، أعمت الفضة بصائرهم، وأماتت ضمائرهم

وانقلبوا من شهودٍ للقيامة، إلى شهود زور ضدها. وبذلك منعوا النور الإلهي من الولوج إلى قلوبهم، فقد «أحبوا الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة» (يو ٣: ١٩) فهلكوا كما هلك أسيادهم من رؤساء الكهنة اليهود وغيرهم، إذ لم يؤمنوا بالمسيح يسوع مخلصاً انتظرته الشعوب، وتمت فيه نبوات أنبيائهم.

أما توما، فلئن ساورته الشكوك، وعرف بالتلميذ المشكك، فقد كان الشك لديه الطريق إلى الإيمان، لذلك لم يترك رفقاءه التلاميذ طيلة الأيام الثمانية التي تلت ظهور الرب لتلاميذه في العلية عشية يوم القيامة وكانت تلك الأيام لدى توما أطول من عام، وكان خلالها كريشة في مهب الريح قلقاً، واضطراباً، وهو يمثل الإنسان المرتاب بحقائق الإيمان، والذي قد تهوي به شكوكه إلى درك هوة الكفر والإلحاد. أما إذا افتقدته النعمة الإلهية كما افتقدت توما فينال الخلاص ويرتفع إلى قمة الإيمان... فبعد ثمانية أيام كان التلاميذ أيضاً داخلاً في العلية. وتوما معهم، وجاء يسوع، والأبواب مغلقة، ووقف في الوسط وقال، سلام لكم، ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديَّ وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» (يو ٢٠: ٢٦ ـ ٢٧). لقد عَظُمَت رحمة اللّه على توما رغم مشاكسة توما وقسوة عدم إيمانه، وتنازل الفادي الإلهي مظهراً محبته له، وشفقته وفتش عنه كما يفتش الراعي الصالح عن الخروف الضال ولما وجده حمله على منكبيه وأتى به إلى حظيرة الخراف. إن الرب يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون، فهو يفتقدنا في حالة السقوط في الشكوك، وإذا ما تجاوبنا مع رحمته الإلهية خلّصنا كتوما. فقد تجاوب

توما مع النعمة الإلهية. وانقلب الشكّ لديه إلى إيمان متين، لذلك طرح نفسه جاثياً عند قدميْ يسوع تائبا نادما على خطيته العظمى، مناجياً الرب يسوع قائلا «ربّي وإلهي» ويعاتبه الربّ عتاباً وديّاً بقوله: «لأنك رأيتني يا توما، آمنت. طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٩).

كان توما موحدا كسائر التلاميذ، ويعرف أنه مكتوب «للرب إلهك تسجد وإيّاه وحده تعبد» (مت ٤: ١٠ ولو ٤: ٨). وبسجوده للرب يسوع يعلن اعترافه به إلهاً متجسداً. والرسول بولس يقول: «لكي تجثوَ باسم يسوع كلّ ركبة ممّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كلُّ لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد اللّه الآب» (في ٢: ١٠و١١). وكان صاحب المزامير قد تنبّأ عن قيامة يسوع وصعوده إلى السماء بقوله: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك»(مز ١١٠: ١) إن لفظة (الرب) هي أحد الأسماء الإلهية التي أُطلقت على الرب يسوع والتي لا يمكن أن يُلّقب بها إنسان أو ملاك. كما أُطلقت على الرب يسوع أيضاً صفة الألوهة. فالرسول بولس يقول: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى اللّه ظهر في الجسد، تبَرَّر في الروح، تراءى لملائكة كُرز به بين الأمم، أومِن به في العالم، رُفِعَ في المجد» (١تي ٣: ١٦). ويقول الرسول بولس أيضا لكهنة أفسس: «احترزوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة اللّه التي اقتناها بدمه»(أع ٢٠: ٢٨). لذلك حُقّ للرسول توما أن يجثو عند قدمي يسوع مناجياً إياه قائلا: «ربّي وإلهي». وهكذا يعترف توما بلاهوت السيد المسيح ويؤيد وحدة المسيح الطبيعية والأقنومية، فهو يرى إنساناً، ويرى جروحاً وقد يكون لمس تلك الجروح المقدسة، ويدعو الشخص رباً وإلهاً.

وهكذا انقلب الشكُّ لدى توما إلى إيمان ثابت وطيد. بل غدت شكوكه سبيلاً سوياً يؤدّي بالباحث المدقق إلى معرفة الحقيقة. وهكذا أيضاً أتى إيمان توما بملايين البشر إلى الإيمان بالمسيح يسوع الذي قدّم نفسه على الصليب فدية عن خطية العالم. كما صارت شكوكه التي عقبها الإيمان سبباً لإعطاء الطوبى «للذين آمنوا بالرب يسوع ولئن لم يروه»(يو ٢٠: ٢٩) هذا التطويب هو نصيب كلّ مَن صدَّق الحقائق الإنجيلية، وآمن بما تسلمته الكنيسة المقدسة من الآباء القديسين، من عقيدة سمحة وتعليم شريف تسلّموه بدورهم من الرسل الأطهار الذين أخذوه من الرب يسوعٍ مباشرة، وبهذا الصدد يكتب الرسول بطرس عن الرب قائلاً: «يسوع المسيح الذي وإن لم تَرَوْه تُحبُّونه. ذلك وإن كنتم لا تَرَوْنه الآن لكنْ تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطَقُ به ومجيد. نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس» (١بط ١: ٨). ليس هذا الإيمان مجرد أمر عقلي، بل هو الثقة القلبية بيسوع المسيح مخلصنا، ولا يكون هذا الإيمان تصوّراً عارضاً بل هو هبة السماء الإلهية التي تثبت في قلب المؤمن وتلازمه سائر أيام حياته، ومنه ينبثق الرجاء المسيحي المؤسّس على مواعيد اللّه تعالى، فنحن إذ نتطلّع إلى السماء لنرى المسيح جالساً عن يمين العظمة كما رآه اسطيفانس، نترجّى الحياة الأبدية التي وعد بها قديسيه وننتظر مجيئه الثانيٍ فهو مخلّصنا وهو الألف والياء، والأول والآخر، الحي وكان ميتاً وهو حي إلى الأبد، وسيأتي في اليوم الأخير ليأخذنا إليه، لذلك ننتظر برجاء وطيد موعد القيامة العامة حيث سنلبس الجسد الممجّد، الذي هو على شبه جسد المسيح الممجّد.

أجل إنّ التشكيك بحقائق العقيدة السمحة، يُعَدّ علامة تمرد ومعصية وخطية. كما إنَّ التسليم بالإيمان هو ثمرة البر والقداسة ومخافة اللّه. وإنّ الإيمان العامل بالمحبة هو الإيمان

الحي الذي يحوّل الخاطئ إلى بارّ وهذا الإيمان قد جعل من بطرس الجبان، رسولاً شجاعاً، فبعد أن حلّ الروح القدس عليه، وعلى رفقائه، شهدوا لقيامة الرب من بين الأموات جهرا، ووبّخوا الكهنة ورؤساء الكهنة، على جريمتهم الشنعاء بصلب الرب يسوع وأعلنوا أنّ الرب قام من بين الأموات ممجّدا. وهذا الإيمان بالذات حوّل شاول الطرسوسي الذئب الخاطف الشرس الذي كان يلغ بدم أتباع المسيح، حوّله إلى حمل وديع، وجعل منه الرسول بولس الإناء المصطفى الذي تحمّل صنوف العذاب في سبيل إعلان حقيقة قيامة المسيح من بين الأموات. بل استشهد أيضاً مع الرسول بطرس خاتمين شهادتهما بدمهما الطاهر.

إن حضور الرب في قلوبنا، بحلول الروح القدس علينا خير مرشد لنا إلى الإيمان بقيامة الفادي من بين الأموات، ونحن نقبل بالإيمان شهادة الرسل الصادقة، وما تسلّمناه منهم عن طريق الكنيسة من حقائق إيمانية، وبذلك نستحق التطويب الذي أعطاه الرب للذين آمنوا ولم يروا. وننبذ كل تعليم غريب عن روح الكتاب المقدس، وتقليد الآباء القديسين، لأن الشكوك التي يزرعها الملحدون كالزؤان الفاسد بين الحنطة الجيدة، وكالأشواك القاسية بين بذور الإيمان الصالحة، هذه الشكوك هي من عمل إبليس الذي شكّك في البدء أبوينا الأوليْن بصدق كلام اللّه تعالى فسقطا بالمعصية. فلنؤمن بالرب يسوع، الإله المتجسّد، الذي فدانا بدمه الثمين ومات من أجلنا ومن أجل خلاصنا وقام من بين الأموات وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماء، وقد وعد أن يمنح من يؤمن به حياة أبدية. فلنعلننَّ هذا الإيمان بمحبتنا إياه من كل قلبنا وكل فكرنا وكل إرادتنا مسلّمين له حياتنا، عائشين كما يحق لإنجيله المقدس، بإطاعة وصاياه الإلهية.

وفي هذا اليوم المبارك، عيد قيامة الرب يسوع من بين الأموات، لنتضرّع إليه كي يُنعم علينا بالدخول إلى قلوبنا ولئن كانت مداخلها موصدة، كما دخل إلى العلية وأبوابها مغلقة. وأن يهبنا السلام الروحي الذي وهبه تلاميذه الأطهار، وأن يلهمنا لنقتدي بالرسول توما بالسجود له بالروح والحق معترفين به ربّاً، وإلهاً. طارحين عند قدميه كلّ ما يساورنا من شكوك فيما لا تدركه عقولنا من العقائد الدينية، لنستحق التطويب الذي أعطاه الرب «للذين آمنوا ولم يروا».

وأن يعيد عليكم عيد قيامته المجيدة باليمن والبركة آمين.

وعند فجر أول الأسبوع... قام(*)

(مت٢٨: ١ و٦)

عند فجر أول الأسبوع، أحد أيام شهر نيسان أجمل الشهور، أشرق نورٌ باهرٌ من قبر يسوع الناصري القدوس، فقد قام المصلوب حياً، وغادر القبر المغلق دون أن يثلم أختام المملكة، فتزلزلت الأرض، وظهرت الملائكة، وأعلنت البشارة على لسان أحد النورانيين قائلاً للنسوة: «لماذا تطلبن الحي بين الأموات، ليس هو ههنا لكنه قام»(لو ٢٤: ٥ و٦)، عند فجر أول الأسبوع قام من بين الأموات المسيح «الذي أُسلم لأجل زلاتنا وأقيم لأجل تبريرنا»(رو ٤: ٢٥). فقد أسلم نفسه للموت بإرادته لأجل افتداء البشرية، وقام بقوته الذاتية الإلهية، ليبقى حياً إلى الأبد (رو ٦: ٩) وهو القائل على لسان صاحب الرؤيا: «أنا هو الأول والآخر، والحي، وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين آمين» (رؤ ١: ١٧ و١٨).

في فجر يوم الأحد قام المسيح من بين الأموات، وغدّت قيامته الحدث التاريخي الفريد من نوعه، فلم يسبقه مثيل ولن يكون له شبيه، وأعطت قيامته المجيدة مجداً وقدسية ليوم الأحد، فدعي يوم الرب، **ولذلك تحتفل الكنيسة المقدسة يوم الأحد من كل أسبوع بذكرى قيامة الفادي، علاوة على احتفالها السنوي بهذه الذكرى المقدسة**، لأن قيامة الرب من بين الأموات تعد أساس العقائد المسيحية، وتبرهن على سمو رسالة المسيح

(*) . الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق في ١٠/٤/١٩٨٨.

الإلهية رسالة الفداء وقبول ذبيحته الكفارية عن البشرية، وصدق الحقائق السامية التي أعلنها عن نفسه، فهو ابن الله الحي، وهو والآب السماوي واحدٌ، ومن رآه فقد رأى الآب وهو القيامة والحياة بل هو الطريق والحق والحياة.

وكان الله تعالى قد مهد بوساطة النبوءات لتتقبل عقولَ البشر الحقائق الإلهية التي تفوق إدراكهم. فكان أنبياء النظام القديم، قد تنبؤوا عن مجيء السيد المسيح بالجسد، عن ولادته من عذراء، وآلامه المحيية، وقيامته المجيدة من بين الأموات. وقد تمت نبوءاتهم الصادقة بحذافيرها في الزمان والمكان والظروف المحددة فيها، فعن قيامته تنبأ النبي داود قائلاً: «يقوم الله. يتبدد أعداؤه، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه. كما يُذرى الدخان تذريهم. كما يذوب الشمع قدام النار يبيد الأشرار قدام الله والصديقون يفرحون» (مز ٦٨: ١ ـ ٣). كما يقول داود أيضاً على لسان الرب: «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيَّك يرى فساداً» (مز ١٦: ١٠) وقد أشار الرسول بطرس إلى هذه النبوة في خطابه يوم الخمسين قائلاً لليهود: «أيها الرجال الأخوة يسوغ أن يقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود انه مات ودفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم. فإذ كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه. سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح، أنه لم تترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً. فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك» (أع ٢: ٢٩ ـ ٣٢).

كما تنبأ الرب يسوع ذاته عن آلامه وموته بكلمات صريحة واضحة: فقد أخذ مرة الاثني عشر تلميذاً على انفراد وقال لهم: «ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء

الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت. ويسلمونه إلى الأمم، لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم» (مت ٢٠: ١٨ ـ ١٩) مرة طلب الكتبة والفريسيون من الرب يسوع أن يريهم آية: «فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولاتعطى له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاثة ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليال» (مت ١٢: ٣٩ ـ ٤٠).

ولم ينسَ رؤساء الكهنة والفريسيون نبوءات الرب يسوع عن قيامته،ولذلك بعد أن صلبوه وتأكدوا من موته، اجتمعوا إلى بيلاطس قائلين: «ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي إني بعد ثلاثة أيام أقوم فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث.. فقال لهم بيلاطس عندكم حراس. اذهبوا واضبطوا كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر» (مت ٢٧: ٦٣ ـ ٦٦).

ولما قام الرب من بين الأموات، ارتعب الحراس، وهربوا. وذهبوا وأخبروا رؤساء الكهنة بأنه قام، ولكن هؤلاء القساة القلوب، والغلاظ الرقاب لم يؤمنوا فخسروا آخر فرصة لهم في الخلاص. أما تلاميذ الرب فقد ظهر لهم الرب بعد قيامته فشاهدوه وآمنوا بقيامته وبذلوا في سبيل ذلك دمهم الكريم مستشهدين.

أجل إن بيِّنات حقيقة قيامة الفادي من بين الأموات كافية وافية للايمان العقلي الحسي ليعترف بها لا الأتباع فقط بل أيضاً الأعداء. ولكن هذا الإيمان لايكفي للخلاص مالم يقترن بالإيمان القلبي المترجم بالأعمال الصالحة. وبهذا الصدد يقول الرسول

يعقوب: «أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون. ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت» (يع ٢: ١٩و ٢٠).

فالإيمان الحي العامل بالمحبة هو الإيمان القوي الذي يزعزع الجبال ويزحزحها من مواقعها. الإيمان الذي يغير الإنسان ليجعل منه خليقة جديدة، الذي حوّل شاول الطرسوسي الذئب الكاسر إلى حمل وديع بل جعل منه الإناء المصطفى ورسول المسيح القائل: «بل اني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي... لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته. لعلّي أبلغ إلى قيامة الأموات». (في ٣: ٨و ١٠و ١١).

فإيمان الرسول بولس القلبي بالمسيح يسوع القائم من بين الأموات كان وازعاً له ليضحي بكل أمجاد العالم في سبيل ربح المسيح يسوع، وكان له في العالم أمور كثيرة بإمكانه أن يفتخر بها، من حسب ونسب ومركز وعلم وثقافة وغنى، ولكنه احتقرها كلها وقال: «وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل ٦: ١٤).

وبولس الرسول وكل المؤمنين بالرب إيماناً حياً متيناً ثخيناً، يقرنون هذا الإيمان بالرجاء ولذلك يقول الرسول بولس: «لأعرفه وقوة قيامته، وشركة آلامه متشبهاً بموته لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات» فالمسيح القائم من الأموات هو موضع رجائنا، ويوضح الرسول بولس هذه العقيدة بقوله: «ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين» (اكو ١٥: ٢٠) فإذا كان هو ال فنحن الحصاد في يوم الحصاد يوم البعث والنشور، اليوم

الذي سيسمع فيه جميع من في القبور، صوت ابن الله فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة.(يو ٥: ٢٩).

فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصا هذا مقداره (عب ٢: ٣). فقد مات المسيح لأجلنا وقام وأقامنا معه، فلنسلك في جدة الحياة كما يليق بمن اشتراهم الرب يسوع بدمه الكريم (رو ٣: ٢٤ـ ٢٦) كي نستحق أن نقوم معه في اليوم الأخير ونملك معه إلى الأبد، وفي يوم الرب الذي ستكون له بداية ولن تكون له نهاية لأنه أبدي خالد.

فكما قام المسيح من بين الأموات بالجسد الممجد، وهو حي ولن يموت أبداً، كذلك سنقوم نحن في اليوم الأخير بالجسد الروحاني الذي هو شبه جسده الممجد، «ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو»(ايو ٣: ٢) مثلما رآه التلاميذ بعد قيامته.. فالله سيحيي أجسادنا في اليوم الأخير(رو ٨: ١١).

إن قيامته بالجسد هي تمجيد للجسد، لأن الإنسان ليس روحاً فقط بل هو روح وجسد، وكما تحمل الجسد الآلام مع الروح في هذه الحياة كذلك يرث الجسد مع الروح ملكوت السماء ويتنعمان معاً في الحياة الأبدية «فإن كنا الآن نتألم معه فلكي نتمجد أيضا معه»(رو ٨: ١٧). ولنهيئ قلوبنا بدموع التوبة وبتناول القربان المقدس للأتحاد به لنحيا فيه ويحيا فينا، وتمتلئ هذه القلوب بالإيمان الصادق والمقترن بالرجاء الذي لايخيب والمحبة الثابتة الخالدة، وبذلك نكون قد اتممنا الغاية من الفداء الذي تم بصلب المسيح وموته وقيامته،آمين.

يوم الرب العظيم(*)

قال صاحب المزامير: «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب. نبتهج ونفرح فيه»(مز ١١٨: ٢٤).

إنه يوم الرب العظيم. يوم الخلاص، يوم الأحد، اليوم الذي خلق اللّه فيه النور في بدء الخليقة وأشرق فيه، في ملء الزمان، شمس البرِّ، الرب يسوع، إذ قام من بين الأموات ممجداً، فأتم الفداء. فهو عيد الأعياد وتاج المواسم، كما دعاه آباء الكنيسة الميامين، وهو أجلُّ الأيام وأقدسها لأنه يوم القيامة. ذلك أن موت السيد المسيح بدون قيامته يفقد معناه الكفّاري، ولايكون سوى موت شجاعة فائقة لشهيد كريم. أما بعد قيامته من بين الأموات فقد غدا موته موت الإله المتجسد الذي أرسله الآب السماوي حباً بالبشرية، فقدم نفسه بإرادته ذبيحة كفارية عنها فنالت فيه نعم الخلاص والتبرير والتقديس والتبني.

أجل إن حقيقة قيامة السيد المسيح من بين الأموات ثابتة بالأدلة القاطعة، والبراهين الناصعة، فالشهادات التي قدمها رسله الأطهار وتلاميذه الأبرار بهذا الصدد لايحصى لها عدد. فهؤلاء الذين شاهدوه يتألم، ورأوه معلقاً على الصليب، وبعد أن سلَّم روحه بيد أبيه السماوي ومات، أنزلوا جسده المقدس من على الصليب، وبأيديهم الطاهرة حنطوه بالطيوب والبخور، ودفنوه في القبر الجديد. إن هؤلاء الرسل والتلاميذ لم يتوقعوا قيامته، بل غاب عن ذهنهم في حالة الحزن العميق، ماكان قد

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق في ١٩٨٩/٤/٣٠.

سبق وأنبأهم به عن آلامه وموته وقيامته بعد أيام ثلاثة، ولعلهم حسبوا كلامه بهذا الشأن من باب الرموز والأمثال، وظنوا أن ظلمة الموت قد ابتلعت تلك الحياة العجيبة، فاستسلموا إلى اليأس والقنوط... وهيأت النسوة طيوبا ليضمخن الجسد المقدس في اليوم الثالث، كعادة شعب النظام القديم.

ولكن ما كاد ينبلج فجر يوم الأحد إلاّ ونداءات البشارة المفرحة بالقيامة الإلهية كانت تتوارد من كل حدب وصوب، وتوالت ظهورات الرب القائم من بين الأموات ممجدا. ففي ذلك اليوم بالذات، يوم الأحد عينه، ظهر خمس مرات، عند القبر الفارغ، وفي طريق عمواس، وفي العلية للرسل، ثم في الأحد التالي أيضاً في العلية. وتوالت الظهورات مدة أربعين يوماً للرسل والتلاميذ والتلميذات حتى بلغ عدد الشهود في أحد الظهورات أكثر من خمسمائة أخ شاهدوه جميعهم في آن واحد.

هكذا التقى الرسل معلمهم الإلهي بعد قيامته، ورأوه حياً ممجداً، واستمعوا إليه وهو يعلمهم أسرار ملكوته السماوي ثم غادرهم في اليوم الأربعين حيث شاهدوه صاعداً إلى السماء.

وفي ظهوراته لهم، أكل الرب معهم وشرب، ولم يكتفِ بعضهم بالمشاهدة والحديث، فإن توما أحد الاثني عشر أصر على أن يضع أصبعه في موضع المسامير وأن يضع يده في جنب الفادي، فلما ظهر الرب في العلية يوم الأحد التالي لقيامته، نادى قائلاً: «**تعال يا توما وضع إصبعك في موضع المسامير وضع يدك في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً**». فسجد توما للرب وهتف قائلا: **ربي والهي**. فقال له يسوع «**ألأنك رأيتني يا توما آمنت، طوبى لمن آمن ولم يرَ**».

إن شكوك التلاميذ أولاً تقوّي ثقتنا بصحة شهادتهم بعد يقينهم. وها نحن نسمع يوحنا الرسول يقدم شهادته بهذا الصدد قائلاً عن الرب «**الذي كان منذ البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا نخبركم به**» (**١يو ١: ١ـ ٣**).

وهامة الرسل بطرس يقول: «إننا أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات»(أع ١٠: ٤١).

ومما يبرهن على صحة شهادة الرسل، التغير العظيم الذي حدث بعد قيامة الرب. فانقلب الخوف الذي استحوذ على قلوبهم على أثر موت السيد المسيح، إلى شجاعة فائقة بعد أن رأوه قائماً من بين الأموات حياً ممجداً. فكانوا يقدمون شهادتهم الصادقة عن قيامته أمام الملوك العتاة، والولاة القساة، بثبات مدهش لايمكن أن يزعزعهم عن ذلك وعد أو وعيد أو يصدّهم عن المناداة باسم يسوع عذابٌ أليم أو موتٌ زؤام، بل سفك أغلبهم الدم الطاهر في هذا السبيل. ولايوجد ما يفسر هذا التغيير العجيب في حياتهم سوى إيمانهم المتين بحقيقة قيامة الرب المجيدة من بين الأموات.

أجل إنَّ عظمة قيامة الرب من بين الأموات دفعت الرسل أيضاً إلى تمجيد يوم القيامة، فألغوا السبت الذي كان خاصاً بشعب النظام القديم وعلامة خلاص جسدي لهم، وقدّسوا يوم الأحد الذي هو يوم الخلاص الروحي ففيه قام المسيح من بين الأموات وأكمل فداء البشرية. كما فيه، يوم الخمسين أرسل الروح القدس فحلَّ على التلاميذ وولدت الكنيسة المقدسة. لذلك قدّسه الرسل وكرسوه ليكون يوم الرب الذي فيه كانوا يجتمعون لكسر الخبز كما جاء في سفر أعمال الرسل (أع ٢٠: ٧). وفيه

يجمعون الاسعافات والاعانات للفقراء كما نفهم من وصية الرسول بولس (اكو ١٦: ٢). ودعي يوم الرب(رؤ ١: ١٠).

فهذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه، مرددين صوت الرسول بولس المدوّي كالرعد القاصف، والذي يهبّ أيضا كالنسيم العليل اللطيف القائل: أعرّفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه... أن المسيح مات من أجل خطايانا... وأنه قام في اليوم الثالث... (اكو ١٥: ١ ــ ٤)«**المسيح قام وصار باكورة الراقدين**» (اكو ١٥: ٢٠). المسيح قام وأقامنا معه وأجلسنا معه في السمويات. فما أجمل أن نحفظ يوم الرب مقدساً، وأن نشترك فيه بالقداس الإلهي الذي هو الذبيحة غير الدموية وهي استمرارية ذبيحة المسيح القائم من الأموات.

ففي هذا اليوم المبارك يحرك فينا نداء القيامة الداوي الإحساس الجامد، ويثير الشعور الخامد، ويسري في نفوسنا وعقولنا وقلوبنا سريان التيار الكهربائي.. المسيح قام. حقاً قام، فتم الفداء ونلنا الخلاص وتبررنا وتقدسنا وصرنا أولاد اللّه بالنعمة.

فإذا كنا قد صلبنا ذواتنا معه، ومتنا معه، ودُفنّا معه بالمعمودية للموت، فلكي نحيا معه في جدّة الحياة وننتظر مع القديسين ظهوره في مجيئه الثاني العظيم، يوم القيامة العامة، اليوم الذي فيه سيسمع جميع من في القبور صوت المسيح القائم من الأموات، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة(يو ٥: ٢٨و ٢٩).

أهلنا الرب جميعاً لنكون معه في ملكوته في القيامة العامة ويوم النشور، يوم الرب العظيم، وأعاد عليكم عيده باليمن والبركة، وكل عام وأنتم بخير.

حمل اللّٰه والكفّارة العظيمة(*)

«وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل اللّه الذي يرفع خطية العالم»(يو ١: ٢٩).

جاء يوحنا المعمدان ليهيِّئ الطريق أمام الرب يسوع، وقال عن نفسه «أنا صوت صارخٍ في البرية قوِّموا طريق الرب» (يو ١: ٢٣). وكانت رسالة يوحنا رسالة التوبة، كما كانت معموديته أيضاً معمودية التوبة، فكان ينادي قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات (مت ٣: ٢). وقال عنه الإنجيل المقدس، إنه جاء للشهادة ليشهد للنور(يو ١: ٧) فشهد للنور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم (يو ١: ٩) هذا النور هو المسيح يسوع ربنا.

وكان يوحنا المعمدان النبي العظيم سليل الكهنة، فهو كاهنٌ شرعي، ولئن لم يمارس الخدمات الكهنوتية في الهيكل لأنه كان نذيراً وربته الملائكة في البرية. ويوحنا الكاهن كان يعرف جيداً أن الناموس الطقسي يفرض على أتباع العهد القديم أن يقدموا عن أنفسهم ذبائح، ومحرقاتٍ عديدة في هيكل الرب، وعلى يد كاهن الرب ، لمغفرة الخطايا، فإذا تاق أحدهم إلى نيل مغفرة خطاياه كان عليه أن يختار له خروفاً لاعيب فيه، ويأتي به إلى مذبح الرب، أمام كاهن الرب، ويضع يده على رأس الخروف، ويعترف بخطاياه، فيحمل هذا الخروف البريء خطايا

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق في ١٥/٤/١٩٩٠.

هذا الإنسان المذنب. ثم يقدم الكاهن الخروف ذبيحة أو محرقة فيموت الخروف بدلا عن ذلك الإنسان المستحق الموت. ومع تمادي الزمان... **انقلبت طقوس الذبائح والمحرقات إلى ممارساتٍ شكليةٍ رتيبةٍ خاليةٍ من روح التقوى وقوتها، ولئن كانت لها صورتها.** واحتاجت إلى روح التوبة الحقيقية التي قال فيها النبي داود: «**ذبائح اللّه هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا اللّه لاتحتقره**»(مز ٥١: ١٧).

فنادى يوحنا بالتوبة، وقد لمس فداحة الخطية الجدية، وشناعة الخطايا الشخصية، التي كان شعب النظام القديم يقترفها، وقد ارتفعت هذه الخطايا كسورٍ شاهقٍ فصل بين ذلك الشعب وبين اللّه تعالى كقول النبي اشعياء: «**آثامكم صارت فاصلةً بينكم وبين الهكم**»(اش ٥٣: ٢).

ونهج يوحنا المعمدان طريقة المعمودية بالماء، الطريقة التي كانت معروفة لدى شعب النظام القديم، وكانت تستعمل لتنقية الوثنيِّ المتهود. أما يوحنا المعمدان فقد رأى أن الشعب اليهودي ذاته قد حاد عن شريعة الرب التي اؤتمن على حفظها وصار بعيداً عن الرب، وشابه من لايعرف الرب، لذلك كان يوحنا المعمدان، يعمّد الذين جاؤوه من ذلك الشعب تائبين معترفين بخطاياهم. فدُعيت معموديته معمودية التوبة، وهي غسل الجسد بالماء رمزاً لتنقية النفس من أدران الخطايا الشخصية.

واكتشف يوحنا، حقيقة الخطية الجدية، الداء العياء، الذي لايجدي لشفائه دواء. فقد عمّت تلك الخطية الفادحة كل الجنس البشري، وبما أنها كانت موجهة إلى اللّه غير المتناهي فقد صارت غير متناهية، لذلك اقتضى لغفرانها ذبيحة غير متناهية تمثل اللّه تعالى غير المتناهي، والإنسان الذي اقترفها، لتفي

العدل الإلهي حقَّه، ولتوفق بين عدل اللّه ورحمته. وقد تمت شروط هذه الذبيحة بالمسيح يسوع الإله المتجسد «الذي لم يعرف خطية» (١بط ٢: ٢٢) و «المجرب في كل شئ مثلنا بلا خطية» (عب ٤: ١٥) وعلى حدّ تعبير الرسول بولس أن اللّه تعالى جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن برّ اللّه فيه (٢كو ٥: ٢١) لذلك أوحى اللّه إلى عبده يوحنا المعمدان ليعلن أن يسوع هو ذبيحة الكفارة، فلما رآه يوحنا قادماً إليه قال: «هوذا حمل اللّه الذي يرفع خطية العالم» وشهد يوحنا قائلاً: «إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه. وأنا لم أكن أعرفه لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس، وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن اللّه» (يو ١: ٣٢ ـ ٣٤).

ونرى بعين الأيمان، **الرموز العديدة التي أشارت إلى حمل اللّه** منذ بدء الخليقة فقد قُدمت عبر الدهور حملان لايحصى لها عدد، ذبائح ومحرقات ارضاء للّه تعالى. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، الكبش الذي رآه إبراهيم الخليل معلقاً بقرنيه في العوسج، وكأنه كان مصلوباً ليشير ويرمز إلى حمل اللّه الذي يرفع خطية العالم، المسيح يسوع ربنا الذي صلب لأجل خلاصنا، فقد أمر اللّه إبراهيم أن يقدم ابنه اسحق ذبيحةً ومحرقةً. وأطاع إبراهيم أمر الله، وهمَّ إلى تقديم ابنه ذبيحة لله، ولكن اللّه أرسل ملاكه ليمنعه عن فعل ذلك، وأرسل اليه الكبش المعلَّق بقرنيه في العوسج فقدمه للّه ذبيحة ومحرقة بدلاً من ابنه (تك ٢٢: ١ ـ ١٤) ويقول الكتاب عن إطاعة إبراهيم لله، «فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً»(رو ٤: ٣) وكأني بالله تعالى

يقول لإبراهيم ما الفائدة من تقديم ابنك ذبيحةً، إنه إنسان تحت الخطية وقد ورث الخطية الجدّية، لذلك هو لايصلح ليقوم بعمل فداء البشرية، «لأنه هكذا أحب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

أجل إن ذبيحة إبراهيم، وسائر الذبائح الحيوانية قد استمدت قوتها من ذبيحة حمل اللّه الذي يرفع خطية العالم، لإيمان مقدّميها ورجائهم بمجيء هذا المخلص الإلهي، وأهم تلك الذبائح في النظام القديم هو خروف الفصح الذي يرمز خاصة إلى المسيح يسوعٍ الذي يقول عنه بولس الرسول: «لأن فصحنا هو المسيح أيضاً».(١كو ٥: ٧). وكلمة فصح العبرية تعني العبور وهي تشير إلى عبور الملاك المهلك عن دور شعب العهد القديم بدون أن يمس أبكارهم بأذى، وذلك عند رؤيته دم خروف الفصح وقد رُشَّ على شكل صليب على قائمتي باب الدار وعتبته العليا، ويقول الكتاب على لسان الرب «فأرى الدم وأعبر عنكم»(خر ١٢: ١٣) وكان خروف الفصح رمزاً إلى حمل اللّه يسوع المسيح الذي أنقذنا بدمه الكريم من الخطية الجدية فمحا صكّ الخطية، وبررنا وقدسنا، وأهلنا لنكون أولاداً لأبيه السماوي بالنعمة، وورثةً لملكوته، إذ اقتنانا بدمه الكريم على حدّ تعبير الرسول بولس لقسس إفسس «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة اللّه التي اقتناها بدمه»(أع ٢٠: ٢٨).

وإذ أوجب اللّه الفصح فريضة على شعب العهد القديم في أجيالهم، كانت حملان الفصح تفرز من القطيع في اليوم العاشر من نيسان وتقدم إلى الكهنة ليحكموا فيما إذا كانت بلا عيب

وتصلح لتقدّم للرب أم لا. وكانت تذبح في اليوم الرابع عشر منه المصادف عيد الفصح لديهم. أما نحن ففصحنا هو يسوع المسيح حمل الله الذي يرفع خطية العالم، قدّم إلى الكهنة يوم الأحد واستقبلته الجماهير في المدينة المقدسة الكبار منهم والصغار وحتى الأطفال والرضع، وفي أيديهم سعف النخل وأغصان الزيتون، وهم يهتفون أوصانا مباركٌ الآتي بأسم الرب، ومعنى كلمة أوصانا السريانية الأرامية «يارب خلص». وإذ نهش الحسد أفئدة الكتبة ورؤساء الكهنة، حكم عليه مجلسهم الأعلى بالموت، وقال رئيس الكهنة متنبئاً «إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب من أن تهلك الأمة كلها»(يو ١١: ٥٠) فتحيّنوا بعدئذ الفرصة، وألقوا القبض عليه وحكموا عليه بالموت، وتمت فيه نبوة اشعيا القائل: «ظُلِمَ أما هو فتذلل، ولم يفتح فاه، كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه»(اش ٥٣: ٧) وصلبوه يوم الجمعة، ومات على الصليب ودفن في القبر الجديد، وفي اليوم الثالث قام من القبر حياً ممجداً.

أجل مات المسيح بإرادته، وكان قد سبق وأنبأ تلاميذه قائلاً: «إنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم» (مت ١٦: ٢١) **وشبّه موته مصلوباً والخلاص الذي ناله البشر منه، بالحية النحاسية** التي رفعها موسى النبي في البرية قائلاً: «وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»(يو ٣: ١٤) **كما شبه الرب دفنه في القبر الجديد وقيامته بحادثة النبي يونان** قائلاً: «كما كان يونان في جوف

الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن البشر في قلب الأرض» (مت١٢: ٣٨ ـ ٤٠).

وسبق الرب **وأنبأ تلاميذه بصريح العبارة عن قيامته من بين الأموات**، فعلى أثر حادثة التجلّي على الجبل، وإظهار مجده الإلهي أمام ثلاثةٍ من تلاميذه وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا: «لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات»(مت ١٧: ٩) وقال لهم أيضاً: «ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل»(مت ٢٦: ٣٢) وقال عن نفسه: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا»(يو ١١: ٢٥)، وبرهن على صحة مطاليبه باقامته الموتى، فقد أقام ابنة يايرس، وابن الأرملة، كما أقام لعازر بعد موته ودفنه بأربعة أيام، ولما دعاه من القبر قام لعازر وخرج من القبر ويداه ورجلاه مربوطاتٌ بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع حلُّوه ودعوه يذهب»(يو ١١: ١ ـ ٤٤).

فهل بإمكان القبر أن يضم شخصا كالرب يسوع إلى الأبد؟! **المسيح قام، حقاً قام، قام من بين الأموات**، وترك الأكفان موضوعة في القبر بانتظام. لأنه قام متشحاً بحلة المجد والبر والقداسة، وجسده الروحي خرج من القبر والحجر باقٍ على باب القبر، وبعد قيامته دحرج الملاك الحجر وجاءت النسوة فبشرهن الملاك بقيامة الفادي ورأين القبر الفارغ، كما رآه بطرس ويوحنا وغيرهم.

وظهر الرب للتلاميذ الأبرار بعد قيامته فرأوه وتحادثوا معه ولمسوه بأيديهم وأكلوا وشربوا معه، مدة أربعين يوماً حيث ظهر نحو عشرين مرة، في أمكنة مختلفة، وأزمنة متباينة،

صباحاً ومساءً، ليلاً ونهاراً، وفي أيامٍ متفرقة وأيام متتابعة، ظهر لهم منفردين ومجتمعين، وظهر مرة لأكثر من خمسمائة شخص منهم في آن واحد، وبقيامته تحول الخوف عند رسله وتلاميذه وسائر أتباعه إلى شجاعة، والضعف إلى قوة، فكانوا يجاهرون بالاعتراف به وبالشهادة لقيامته بل استشهد العديد منهم في سبيل الإيمان بالمسيح القائم من بين الأموات.

وكانت قيامته ضرورية جداً لاثبات صدق رسالته وقبول الآب ذبيحته الكفارية عن البشرية. فإذا كانت النار قد نزلت من السماء والتهمت الذبيحة التي قدمها إيليا في جبل الكرمل أمام آخاب الملك وإيزابل زوجته، وكهان الوثنية وشعب النظام القديم، وبرهنت تلك الحادثة على أن اللّه تعالى هو الإله الحقيقي وإن إيليا نبيَّه. **وكذلك قيامة الرب يسوع من بين الأموات جاءت برهاناً قاطعاً على قبول اللّه الآب ذبيحة ابنه الوحيد الكفارية لفداء البشرية، كما صارت القيامة أقوى حجة على صحة مطاليب الرب يسوع،** الذي قال «أنا والآب واحد»، «من رآني فقد رأى الآب»، «أنا في الآب والآب فيَّ»، و«أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا»، «وتأتي ساعةٌ يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن اللّه فيقوم الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة».

لقد انتصر الرب بقيامته على أعداء البشرية: الموت والشيطان والخطية... وصعد بالجسد الممجد إلى السماء وجلس عن يمين الآب، وهو حمل اللّه الذي يرفع خطية العالم، الذي رآه الرائي يوحنا، وقد استوى على العرش الإلهي في السماء خروفاً مذبوحاً، ولكنه حيٌّ وسمع يوحنا الرائي ترانيم المجد

ترفع إلى ذاك الذي قد ذبح لأجل البشرية وغسل القديسون ثيابهم وبيِّضوها بدمه (رؤ ٧: ١٣ ـ ١٤) والمسبّحون يسبحونه باعتباره الخروف المذبوح، وآثار عمل الفداء من مسامير وحربة، وإكليل الشوك باديةً ثابتةٌ في جسده الطاهر، حتى في السماء، لتبقى علامةً أبديةً لمحبته للبشر.

أهلنا الرب الإله أن نكون في عداد الذين يتنعمون معه في السماء ممجدين إياه مع ملائكته القديسين، **المسيح قام ـ حقاً قام.**

شهود القيامة(*)

«ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم. ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب» (يو ٢٠: ١٩ ـ ٢٠).

في فجر يوم الأحد، وهو أول الأسبوع، أشرق نور قيامة المسيح الفادي من بين الأموات، ففي موته على الصليب يوم الجمعة وفي دفن جسده الطاهر في القبر الجديد هدم المسيح أركان الهاوية، ونهج لنا أن نموت معه على الصليب وأن ندفن معه بالمعمودية للموت، وفي قيامته من بين الأموات أقامنا معه وأجلسنا معه في السماوات، وجدد بذلك حياتنا وهو بعد موته وقيامته لايتسلط عليه الموت بعد ، فهو حي وسيبقى حياً إلى الأبد، لأنه هو القيامة والحياة ومن آمن به وإن مات فسيحيا، ومن آمن به وهو حي سيبقى حياً إلى الأبد، على حد تعبيره له المجد.

أجل إن عقيدة قيامة الرب يسوع من بين الأموات هي أساس عقائد الدين المسيحي المبين، وهي حقيقة تاريخية أكيدة ومثبتة بحجج دامغة، وشواهد واضحة، وشهادات صادقة لا لبس فيها. فقد ظهر الرب في يوم قيامته للمجدلية، وبقية النسوة حاملات

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق في ١٩٩١/٤/٧.

الطيب، ولبطرس هامة الرسل، ويوحنا الحبيب، ولتلميذي عماوس ولسائر الرسل والتلاميذ، كما ظهر بعدئذ لأكثر من خمسمائة تلميذ، فرأوه، ولمسوه واستمعوا إليه وأكلوا وشربوا معه، وشهدوا أنه قام من بين الأموات (اكو ١٥ : ٦).

وكانت شهادتهم صادقة لأنهم نطقوا بالحق. واثبتوا شهادتهم لا بقوة البرهان، وصنع المعجزات فحسب، بل بتحملهم المشقات وصنوف العذاب والاضطهادات، حتى سفك الدم لتمسكهم بالإيمان بالمسيح الحي الذي مات بإرادته لفداء البشرية وقام من بين الأموات وهو حي إلى الأبد، ويقول سفر أعمال الرسل بهذا الموضوع «وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع وكانت مع جميعهم نعمة عظيمة»(أع ٤: ٣٣).

وكانت قيامته ضرورية جدا لاثبات لاهوته والوهية الدين الذي علّم به، وبهذا الصدد يقول الرسول بولس «إن كان المسيح لم يقم فايمانكم باطل وأنتم بعد في خطاياكم، إذن الذين رقدوا في المسيح أيضا قد هلكوا... لكن الآن إن المسيح قد قام من بين الأموات وصار باكورة الراقدين»(اكو ١٥: ١٧ ـ ٢٠).

وأثبتت قيامته صحة مطاليبه ونبواته. فهو والآب واحد، ومن رآه فقد رأى الآب، وأنه «هو القيامة والحياة» (يو ١١: ٢٥) وأنه هو الطريق والحق والحياة وقد تنبأ عن موته وقيامته بقوله لليهود: «**انقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه**» (يو ٢ : ١٩) وعنى بذلك هيكل جسده، وأيضا لأنه مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال كذلك يكون ابن البشر في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال»(مت ١٢: ٤٠) وقال للإثني عشر «هوذا نحن صاعدون إلى اورشليم وابن

البشر سيسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم، فيهزأون به ويبصقون عليه، ويجلدونه، ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم(مر ١٠: ٣٣و٣٤) فقد تمت نبوته، وقام من بين الأموات ممجدا، وهو حيٌّ الآن وإلى الأبد، وكقول الرسول بولس «عالمين أن المسيح بعدما أقيم من بين الأموات لا يموت أيضاً، لايسود عليه الموت بعد. لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة، والحياة التي يحياها فيحياها لله. كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء للّه بالمسيح يسوع ربنا»(رو ٦: ٩ ـ ١١).

المسيح حي ووعد أتباعه بقوله: «**حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم**»(مت ١٨: ٢٠) قبل موته وقيامته كان المسيح ظاهرا للناس يراه كل أحد الا عندما يشاء المسيح أن يخفي نفسه عن عيون الناس كما فعل في بعض الأحيان. أما بعد قيامته فجسده المجيد لايراه أحد الاعندما يشاء هو أن يراه الناس. كظهوره لتلاميذه في العلية وهم يتحدثون عن نبأ القيامة وكانت الأبواب مغلقة بسبب الخوف من اليهود. يقول يوحنا الرسول وهو شاهد عيان أن يسوع جاء ووقف في الوسط **وقال لهم سلام لكم. ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب**(يو ٢٠: ١٩و٢٠).

هذه شهادة أداها الرسول يوحنا إنها شهادة صادقة وواضحة، والشاهد معروف بصدقه واستقامته، فهو أحد تلاميذ الرب الإثني عشر، وكان قد نال حظوة لدى معلمه الإلهي لطهر سيرته، ونقاء سريرته حتى أنه استودعه والدته العذراء مريم وهو على الصليب، وبهذا الصدد يقول القديس يوحنا ذاته «فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً، قال لأمه ياامرأة

هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا أمك، ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته» (يو ١٩: ٢٦و٢٧) وعاشت العذراء مريم عنده حتى وفاتها وانتقالها إلى الفردوس السماوي.

كما أن الرب كان قد اختص يوحنا مع بطرس ويعقوب، دون سائر التلاميذ لمشاهدة ثلاثة حوادث مهمة، هي: تجلي الرب على الجبل، وإقامة ابنة يايرُس من الموت، والصلاة في الجسيماني قبيل القاء القبض على السيد المسيح، والحكم عليه بالموت، وصلبه، وموته، وقد تبعه يوحنا على طريق الجلجلة، ورآه ميتاً على الصليب.

وفي هذه الحوادث أزيح الستار عن جزء من المجد الإلهي فرأوا المسيح ممجدا كما سمعوا صوت الآب السماوي قائلا: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا»(مت ١٧: ٥). كما أنهم شعروا بسلطانه الإلهي بإقامة الموتى بمجرد كلمة من فيه، كما رأوه يصلي في البستان وعرقه يتصبب دما من جبينه، وهو يرضخ لإرادة الآب، ويرضى بأن يشرب كأس الموت المريرة قائلا لأبيه السماوي «ياأبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لَتكن لا إرادتي بل إرادتك»(لو ٢٢: ٤٢).

هذا يوحنا الرسول الخبير بالإلهيات الذي عرف المسيح جيدا فافتتح إنجيله بآيته المشهورة: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند اللّه وكان الكلمة اللّه... والكلمة صار جسدا وحل فينا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا» (يو ١:١ـ١٤) ويقول يوحنا عن نفسه: هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق (يو ٢١: ٢٤) ويبدأ يوحنا رسالته الأولى بقوله عن الرب يسوع «الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته

أيدينا من جهة كلمة الحياة فان الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا، الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا» (ايو ١: ١ - ٣).

أجل لقد رأى التلاميذ معلمهم السماوي بعد قيامته من بين الأموات ويقول يوحنا «ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب».

إن رؤية الرب بعد قيامته من بين الأموات لاشت المخاوف من قلوب التلاميذ وبددت غيوم الشكوك الداكنة وثبتت إيمانهم وحولت خوفهم إلى شجاعة فائقة، وقد أدخل حضوره السكينة إلى قلوبهم والطمأنينة إلى نفوسهم وثبت ايمانهم به لذلك أراهم يديه وجنبه ليتبينوا آثار المسامير والحربة فيتأكدوا بأنه هو المسيح قد قام حقاً من بين الأموات.

أجل هذه هي ثمار القيامة، فقد حدث تغيير فجائي في حياة التلاميذ وصاروا مستعدين للاستشهاد في سبيل أداء الشهادة عن قيامة المسيح من بين الأموات.ففي يوم الخمسين بعد حلول الروح القدس على التلاميذ قال بطرس لليهود «إن يسوع الناصري الرجل الذي أشير لكم إليه من اللّه بالقوات والعجائب والآيات والذي صلبتموه بأيدي الأثمة... يسوع هذا قد أقامه اللّه ونحن شهود لذلك» (أع٢). ولم يجترئ أحد من اليهود صالبي المسيح والوثنيين معاصريهم، تكذيب الرسل، بل آمن بالمسيح في يوم الخمسين ثلاثة آلاف نفس وتابوا واعتمدوا باسم المسيح بحسب توجيه الرسول بطرس (اع ٢: ٤١).وهذا الرسول يوحنا مع هامة الرسل بطرس، على أثر شفائهما الرجل الأعرج عند باب الهيكل الذي يقال له الجميل، وتهديد اليهود لهما ووصيتهم

لهما أن لاينطقا البتة ولايعلّما باسم يسوع ، أجابا أعداء الرب وقالا «إن كان حقاً أمام اللّه أن نسمع لكم أكثر من اللّه فاحكموا» «لأننا نحن لايمكننا أن لانتكلم بما رأينا وسمعنا» (اع٣و٤: ١٩ - ٢٠) قالا ذلك بعد أن تحدّيا اليهود بقولهما لهم: أنتم أنكرتم القدوس البار... ورئيس الحياة قتلتموه... الذي أقامه اللّه من بين الأموات ونحن شهود لذلك(أع ٣: ١٤و١٥). وعلى أثر هذه الأعجوبة آمن بالمسيح ألفا نسمة فصار عدد التلاميذ خمسة آلاف.

ويصف سفر أعمال الرسل شهادة الرسل بقوله: «وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع وكانت مع الجميع نعمة عظيمة»(أع ٤: ٣٣). ذلك أنهم اختبروا القيامة، ورأوا المسيح وقد قام من بين الأموات وهو الحي وقد أكل وشرب معهم بعد قيامته واستمعوا إلى تعاليمه، ولم يكونوا سابقاً ميالين للاعتقاد بقيامة معلمهم دون أي تحقيق، ومثالهم توما الذي أصر على أن يرى الرب وأن يضع أصبعه مكان المسامير، ويده في جنبه (يو ٢٠: ٢٤ ـ ٢٩) كما أن رفقاءه لم يؤمنوا الا بعد أن أراهم الرب في العلية يديه وجنبه ففرحوا لأنهم رأوا الرب يقول يوحنا، أجل لقد فرحوا لأنهم رأوا الرب وعلى يديه سمات المحبة ثابتة وفي جنبه ينبوع الدم والماء علامة الفداء، وهو يهب السلام معلناً الصلح بين السماء والأرض، فقد محا صك الخطية، ونقض سياج العداوة وبرّرنا وقدّسنا وأعادنا إلى رتبة البنين. مات لأجلنا كفارة عن خطايانا، وقام وبقيامته أعلنت إرادة اللّه ورضاه وقبوله الكفارة... السلام لكم قال لهم ولنا.

هذا السلام ابتدأ يوم ميلاده عندما اشتركت السماء مع

الأرض بالفرح الروحي بميلاد الفادي فأنشدت الملائكة أنشودة السماء على الأرض قائلين **المجد للّه في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرَّة**.

هذا السلام أعلنه الرب أيضاً لتلاميذه قبيل آلامه وهو يتنبأ وينبئ التلاميذ عن هذه الآلام التي يتحملها والموت الذي يشرب كأسه والقيامة التي تعلنه ممجداً منتصراً ظافراً بالموت والشيطان والخطية فقال لتلاميذه: «لاتضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فأمنوا بي، في بيت أبي منازل كثيرة والا فإني كنت قد قلت لكم أنا أمضي لأعدّ لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً... سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لاتضطرب قلوبكم ولاترهب...» (يو ١٤: ١ـ ٣ و٢٧).

هذا السلام هو سلام اللّه مع الإنسان، وسلام الإنسان مع أخيه الإنسان، بل سلام الضمير الذي في داخل الإنسان.

هو سلام في الحياة وسلام عند الممات، وبعد الممات.

هو رجاء لايخيب بالمسيح الذي تجسد لأجل خلاصنا ومات وفدانا، وظفر بالموت لنتغلب نحن على الموت. وجعل في قلوبنا رجاء في الابدية. لذلك يوصينا الرسول بولس ألا نحزن على الراقدين بالرب كمن لا رجاء لهم (اتس ٤: ١٣) ويقول «إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فاننا أشقى جميع الناس»(اكو ١٥: ١٩).

فالمسيح الذي قام من بين الأموات وأقامنا معه سيأتي ثانية وبصوت رئيس الملائكة سينادي جميع الذين في القبور ويسمعون صوته «فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة

الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة»(يو ٥: ٣٩).

فلنفرح بالرب القائم من بين الأموات.

ولننتظر يوم القيامة العامة، يوم المكافأة، يوم الجزاء. اليوم الذي ينتظره الصالحون ويقول عنه الرسول بولس «فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم، ونوجد نحن أيضا شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه إن كان الموتى لايقومون. لأنه إن كان الموتى لايقومون فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم، أنتم بعد في خطاياكم... ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين» (١كو ١٥: ١٢ ـ ٢٠).

شهادة الفم واللسان نابعة من شهادة القلب والفكر، بل أيضا هي حصيلة الإيمان المترجم بالأعمال الصالحة، وإلهنا الغيور حذرنا قائلاً «فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدّام أبي الذي في السموات ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبي الذي في السموات» (مت ١٠: ٣٢و٣٣).

فلنبرهن بطهر سيرتنا ونقاء سريرتنا، عن صدق إيماننا بقيامة المسيح وأن نحيا حياة النعمة حياة التوبة، أي أن نعيش كما يحق لإنجيل المسيح وأن نترجى مجيئه الثاني لنسمع صوته يقول للصالحين ونتمنى أن نكون معهم: «**تعالوا يامباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم**»(مت ٢٥: ٣٤) آمين.

قام الرب يسوع من بين الأموات وخلصنا من الموت[*]

«وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يو ١٠: ١٠)

«يالعمق غنى اللّه وحكمته وعلمه، ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء»(رو ١١: ٣٣) فقد دبر تعالى منذ سقوط الإنسان في وهدة الخطية أن يتجسد الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، من الروح القدس ومن العذراء مريم، ليخلص العالم من أعدائه الثلاثة الموت والخطية والشيطان. وبهذا الصدد قال الرب يسوع: «لأنه هكذا أحب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل اللّه ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم»(يو ٣: ١٦-١٧) والرسول يوحنا يصف ابن اللّه الوحيد، في بدء الإنجيل المقدس بقوله: «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان فيه كانت الحياة»(يو ١: ٣)

أجل في البدء خلق اللّه العالم من العدم بكلمة منه تعالى إذ قال كن فكان. ثم جبل الإنسان من تراب الأرض، كما يذكر الكتاب المقدس «ونفخ في أنفه نسمة الحياة فصار الإنسان حياً»(تك ٢: ٧) فلم تنشأ حياة الإنسان عن تركيب الإنسان الجسدي فقط، أو تطورت عن حيوان أدنى منه، بل أبدعها اللّه

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق ٢٦/٤/١٩٩٢.

تعالى مباشرة حيث «نفخ اللّه في أنف الإنسان نسمة الحياة» فملأ بدنه بالروح، وأعطى الجسد حياة طالما هو متحد بالروح، وحيث أن اللّه تعالى روح محض، أزلي سرمدي، وليس له يدان ليجبل بهما تراب الأرض ويبدع الإنسان، وليس له فم أو رئة لينفخ بهما، فليس المراد من هذه العبارات إلا أن يبين الكتاب وجود تمييز بين جوهر الروح الروحي ومادية الجسد المادي، فاتحاد الروح بالجسد تهب للإنسان الحياة. وقد خلق اللّه روح الإنسان على صورته تعالى ناطقة عاقلة، قائمة بذاتها مجردة عن المادة، لها صفات عقلية، وأدبية، ودينية، لاوجود لها إلا في الإنسان. وأعطى اللّه الإنسان القدرة على تمييز الحق من الباطل والصواب من الخطأ والحلال من الحرام والجميل من القبيح، من ذلك القدرة على الخلق والإبداع وتقبل العلوم والمعارف، والتفكير في الماضي والحاضر والمستقبل. كما منحه إرادة حرة وخيَّره بين طاعته تعالى أو التمرد عليه، فعصى الإنسانٍ ربه وسقط في وهدة الخطية «والخطية إذا كملت تنتج موتاً»(يع ١: ١٥) من أجل ذلك «كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع»(رو ٥: ١٢) على حدّ تعبير الرسول بولس، وقد هيمن الموت بأنواعه الثلاثة على الإنسان.

فبالخطية مات الإنسان أدبياً وصار تحت حكم الموت الطبيعي والأبدي.فنزل الإله الكلمة من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ليفدينا وقال: «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل » (يو ١٠: ١٠) وهكذا أعاد المسيح الحياة للإنسان مخلصاً إياه من قوى جميع صنوف الموت الأدبي والطبيعي والأبدي.

فالموت الأدبي: هو انفصال الإنسان عن اللّه تعالى لأنه «أية شركة للنور مع الظلمة»(٢كو ٦: ١٤) ولذلك لما أخطأ الإنسان الأول، هرب من أمام وجه الله، وحاول أن يختبئ ولكن اللّه تعقبه وناداه آدم أين أنت؟(تك ٣: ٩).

أما الموت الطبيعي فهو انفصال النفس عن الجسد، ويصفه صاحب الجامعة بقوله: «فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى اللّه الذي أعطاها»(جا ١٢: ٧).

أما الموت الأبدي فهو عذاب أبدي في جهنم وبئس المصير.

كم سعى الإنسان ليتخلص من الموت، ولكن دون جدوى. فقد قدم القرابين والذبائح لإخماد سعير الغضب الإلهي. فكان بحسب شريعة موسى الطقسية يأتي بالحيوان أمام الكاهن ويضع الخاطئ يده على رأس الحيوان، ويعترف بخطاياه أمام الكاهن، ليحمل الحيوان خطية الخاطئ ويذبح الحيوان عوض الخاطئ، أو يحرق، ليعترف الخاطئ أنه هو الذي كان مستحقاً هذا المصير الأليم، لأنه هو الذي أخطأ ولكن الحيوان صار بديلاً منه، فذبح عوضاً عنه. واستمدت كل ذبائح العهد القديم ومحرقاته قوتها الروحية، لأنها كانت ترمز إلى ذبيحة المسيح يسوع حمل اللّه الرافع خطايا العالم، الذي صار بديلاً عنا، ومات على الصليب ذبيحة كفارية لفداء البشرية، فأنقذنا من الموت والشيطان والخطية. وبررنا وقدسنا وأهلنا لنصير أولاداً لأبيه السماوي بالنعمة، لنستحق أن نرث معه الحياة الأبدية.

أجل لهذا أتى إلى العالم، ليموت عنا، وبموته أعطانا الحياة فيه. فموته الكفاري كان عمله الرئيس وغايته القصوى من تجسده. لذلك تنبأ عن موته، وأظهر ضرورة قيامته من بين الأموات، ومثّل ذلك بالحية النحاسية التي رفعها موسى في البرية (يو ٣: ١٤ـ ١٦) فكان كل من لدغته الحيات المحرقة،

يتطلع إلى الحية النحاسية فينال الشفاء حالاً، وهكذا من يؤمن بالمسيح المصلوب، القائم من بين الأموات ينجو من إبليس الحية الدهرية، ويقوم مع المسيح من بين الأموات إذ قد تبرر بالإيمان فله الحياة فيه.

ومثل الرب يسوع موته وقيامته أيضاً بحادثة يونان النبي الذي كان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وهكذا كان المسيح في القبر حياً (مت١٢: ٣٨ـ ٤٠) وذلك بقوته الإلهية الذاتية، وكان السيد المسيح قبل ذلك قد برهن على سلطانه الإلهي على الموت، بإقامته الفتاة ابنة يايرُس إذ ناداها بلغته السريانية الآرامية قائلاً: ܛܠܝܬܐ ܩܘܡܝ «طاليثا قومي» أي أيتها الفتاة انهضي، فعادت إليها الحياة... وكذلك بإقامته الشاب ابن أرملة نايين إذ ناداه قائلاً: أيها الشاب لك أقول قم. فانتصب الميت إذ عادت إليه الحياة فسلّمه إلى أمه. وكذلك بإقامته لعازرٍ من الموت بعد موته ودفنه بأربعة أيام إذ ناداه الرب قائلاً لعازر هلمَّ خارجاً، فخرج لعازر حياً ملفوفاً بالأكفان، فحلّوه.

أما الرب يسوع فقد قام من بين الأموات في فجر يوم الأحد والصخرة الكبيرة كانت ما تزال موضوعة على باب القبر، وأختام المملكة سليمة غير مثلومة، بل إن الأكفان في القبر كانت مرتبة كما لو كان هو في داخلها بعد. والمنديل الذي كان على رأسه وُجد مرتباً أيضاً وموضوعاً في موضع الرأس، ولكن القبر كان فارغاً من جسد الرب. ولذلك قال الملاك للنسوة: أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه(مر ١٦: ٦) لقد قام المسيح من القبر بدون أكفان قام عرياناً مجللاً بالنور، كما كان آدم قبل سقوطه في الخطية، وكما ظهر الرب ممجداً يوم أظهر جزءاً من مجده الإلهي بالضياء الإلهي على جبل التجلي أمام ثلاثة من تلاميذه.

لقد كانت قيامته من بين الأموات ضرورية جداً لإثبات لاهوته، وصدق رسالته، ولإعلان قبول الآب السماوي عمل الفداء الذي قام به إذ قدم نفسه ذبيحة كفارية عن البشرية. كما كانت قيامته ضرورية لإثبات صدق مطاليبه الإلهية، فقد قال عن نفسه: «أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا» (يو ١١: ٢٥).

ولما عقد الرب المقارنة بينه وبين من سبقوه ممن ادَّعوا كاذبين أنهم مسحاء، دعاهم لصوصاً وسراقاً، لأنهم ذبحوا الرعية، وقاموا بثورات دنيوية دموية، سفك فيها دم عدد كبير من الأبرياء، أما هو فقد جاء لتكون للناس حياة وليكون لهم أفضل (يو ١٠: ١٠) فهو الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن الخراف.

وحيث أنه قام من القبر ممجداً، فأمات الموت بموته وهدم أركان الهاوية في نزوله إليها، فحق له أن يقول: «أين أوباؤك ياموت وأين شوكتك ياهاوية» (هو ١٣: ١٤). أجل قام المسيح من القبر ممجداً ليقول: «أنا هو الأول والآخر والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الأبدين آمين ولي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١: ١٨).

لقد قام المسيح من القبر في فجر الأحد، حقاً قام، وشهود القيامة لا عدد لهم من الملائكة، والرسل والتلاميذ والتلميذات، بل أيضاً من الحراس الخائفين الهاربين.

قام من القبر وظهر لتلاميذه ما يقرب العشرين مرة، منفردين ومجتمعين، ولخمسمائة منهم دفعة واحدة. ظهر لهم مدة أربعين يوماً، في أزمنة مختلفة صباحاً ومساءً، نهاراً وليلاً، في أيام متفرقة ومتتابعة، وفي أمكنة عديدة في طريق الجلجلة، وفي طريق عماوس، وعند بحيرة طبرية وفي الجليل، وأخيراً على جبل الزيتون حيث صعد أمامهم إلى السماء.

وتأثير قيامته ظهر في تلاميذه فانقلبوا من أناس ضعفاء جبناء هربوا من ظلم أعدائه، إلى رجال أقوياء شجعان، اعترفوا به أمام الملوك والعظماء، إذ حوّلت قيامته الضعف فيهم إلى قوة، والجبن إلى شجاعة، فلم يخافوا الموت بل سفكوا دمهم في سبيل الاعتراف جهراً بقيامته المجيدة من بين الأموات.

وبدلت قيامته لدى المؤمنين به المفاهيم الروحية والأدبية، فالموت الأدبي الذي هو التمرغ بالخطايا والتمرد على اللّه أنقذنا منه المسيح إذ محا صك الخطية وبررنا وقدسنا وجعلنا مولودين من السماء، وأمرنا أن ندخل من الباب الضيق، ونسلك الطريق الصعبة ونحمل الصليب، بل أن نصلب أهواءنا معه على الخشبة.

لقد أنتظرت الشعوب مجيء المسيح، فجاء وخلص العالم من الأعداء البشرية الثلاثة، الموت والشيطان والخطية ودحرها، ووهب البشرية الحياة كوعده بقوله: أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة ويكون لهم أفضل (يو ١٠: ١٠). لأنه هو الطريق والحق والحياة (يو ١٤: ٦).

فحق لكل منا أن يقول مع الرسول بولس «لي الحياة هي المسيح»(في ١: ٢١) فقد أكتسبنا بموته وقيامته الحياة معه في هذه الحياة وفي الأبدية، إذ وعدنا قائلاً: «ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠).

ويقول الرسول بولس: «فإن كنا نتألم معه فلكي نتمجد أيضاً معه»(رو ٨: ١٧) «من آمن بي وإن مات فسيحيا»(يو ١١: ٢٥).

فعلينا أن نحيا بالمسيح الحياة الأبدية، بتمسكنا بشريعته الإلهية، شريعة الكمال، وأن نسلك في الحياة الدنيا سلوك الذين ماتوا مع المسيح وقاموا معه من بين الأموات في اليوم الثالث

ليسلكوا في الحياة الجديدة بالبر والتقوى ومخافة اللّه، سلوك أبناء السماء المؤمنين بأن لهم في السماء مخلصاً يشفع فيهم ويسمع صلواتهم، والمبتهجين بأن يعيشوا حياة السماء على الأرض، لكي يستحقوا عندما ينتقلون من هذه الحياة، أن يكونوا في عداد الأبرار والصالحين الذين يرثون ملكوت السموات متنعمين مع المسيح القائم من بين الأموات. الذي سيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات. فقد وعدنا قائلاً: «تأتي ساعة يسمع فيها جميع الذين في القبور صوته فيقوم الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة»(يو ٥: ٢٩). «وهذه الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة»(يو ٣: ١٩). وقال: «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يو ١٠: ١٠). كما قال: «لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم» (يو ١٥: ٢٢). «لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية، ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية» (يو ٩: ١٤).

فرسالة القيامة هي أن نقوم من موت الخطية لنحيا في المسيح، فنخلص من الموت الأدبي بالتوبة إلى الله، وسيكون الموت الطبيعي بالنسبة لنا رقاداً ونوماً مريحاً نستيقظ على أثره في فجر القيامة العامة وقد تخلصنا من الموت الأبدي لنحيا متمتعين بالسعادة الأبدية. الحالة التي أتمناها لي ولكم بنعمته تعالى. فالمسيح قد قام حقاً قام وكل عام وأنتم بخير.

يوم الخلاص(*)

قال صاحب المزامير:

«هذا هو اليوم الذي صنعه الرب. نبتهج ونفرح به» (مز ١١٨: ٢٤).

إنه يوم قيامة المخلص من بين الأموات، فهو يوم الخلاص الذي أشرق فيه نور الرب، ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت (لو ١: ٧٩) في ذلك اليوم المقدس أكمل المخلص عمل الفداء وأبهج الآباء والأنبياء وسائر الأبرار والأتقياء الذين يقول عنهم الرسول بولس: «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيّوها، وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض» (عب ١١: ١٣). ومن جملة هؤلاء الآباء إبراهيم خليل الله الذي قال عنه الرب يسوع لشعب العهد القديم: «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح» (يو ٨: ٥٦).

فما أسمى فرحنا، وأعمق بهجتنا بنعمة الفداء التي أسبغها الله علينا بوساطة مخلصنا يسوع المسيح، الذي أعلن الملاك جبرائيل لأمه العذراء مريم، ولخطيبها يوسف أن اسمه يدعى يسوع المخلص لانه يخلص شعبه من خطاياهم (لو ١: ٣١ ومت ١: ٢٠ و٢١).

هذا هو يسوع المخلص العجيب، الذي فيه اتحد اللاهوت بالناسوت، واجتمعت السماء والارض، فحق له أن ينوب عن

(*) ـ الموعظة التي ارتجلها المؤلف في قداس عيد القيامة المنقول عبر إذاعة دمشق من كاتدرائية مار جرجس في دمشق في ١٨/٤/١٩٩٣.

الأرض والسماء، وأن يقيم الصلح والسلام بين اللّه والإنسان، وأن يفي العدل الإلهي حقه بتقديم ذاته فدية عن البشرية بسفك دمه الثمين على عود الصليب بإرادته. «لأنه هكذا أحب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل اللّه ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم»(يو ٣: ١٦ و١٧).

أجل لقد أوضح الرب يسوع رسالته الخلاصية في بدء تدبيره الإلهي العلني في الجسد يوم دخل مجمع الناصرة، ودُفع اليه سفر اشعياء النبي، ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه «روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، والعمي بالبصر، وأُرسل المنسحقين في الحرية» وقال لهم: «إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم. وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه» (لو ٤: ١٦ ـ ٢٢). منذ ذلك اليوم توجهت إليه أنظار الأتقياء، وآمن به الأبرار الذين كانوا ينتظرون ظهور **ماشيحا** المسيح المخلص المنتظر، إتماماً لما جاء في نبوات الأنبياء الصادقين، ورأوا في يسوع الناصري القدوس مشتهى الأجيال ورجاء الدهور، فتبعوه يستمعون إلى تعاليمه الإلهية متعجبين من المعجزات الباهرات التي كان يجترحها مبرهناً بذلك على صدق رسالته الخلاصية، فقد جاء ليموت عن الإنسان.

ورأوا فيه الراعي الصالح الذي جاء إلى أرضنا يفتش عن الخروف الضال، ولما وجده، حمله على منكبيه، وأدخله إلى الحظيرة، بل هو الراعي الصالح، الذي نازل الذئب الخاطف إبليس، فقصم ظهره وهشم أضراسه بصليبه المقدس، وأنقذ الخراف منه. بل بذل نفسه حقاً لفداء البشرية، وإذ وجد في

الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب (في ٢: ٨) على حد تعبير الرسول بولس الذي أوضح لأهل تسالونيكي من الكتب مبينا «أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات» (أع ١٧: ٣). لذلك نص قانون الإيمان النيقاوي عن الرب يسوع أنه «تألم، ومات، ودفن، وقام في اليوم الثالث (كما في الكتب) أو كما شاء» لقد مات بإرادته، وقام من بين الأموات بسلطته الإلهية الذاتية.

وكان الرب يسوع قد تنبأ عن موته على الصليب، ودفنه، وقيامته من بين الأموات، وأنه لهذا قد جاء إلى العالم، وأنه بإرادته قدّم نفسه للموت، وذكر سامعيه بالحية النحاسية التي رفعها موسى على سارية في البرية، وإن كل لديغ من الحيات المحرقة، صدق قول الرب، وآمن به، ينظر إلى تلك الحية لا يهلك، وبهذا الصدد قال الرب «وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان لكي لايهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٥ وانظر عدد ٢١: ٨و٩). وشبّه الرب دفنه في قلب الأرض وقيامته، بآية يونان النبي قائلا: «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليال» (مت ١٢: ٣٩و٤٠).

فلو تألم المسيح يسوع ومات ودفن ولم يقم من بين الأموات في اليوم الثالث، لما كان مسيحنا ولامخلصنا، ولكان بموته قد شابه الأنبياء والشهداء ليس إلا. ولكن إذ قام من بين الأموات، أثبت أنه كان صادقا في مطاليبه، فهو حقا ابن الله، الذي شهد له الآب السماوي في العماد والتجلي، وهو حقا قد قدم نفسه فدية عن البشر، وإن الله الآب قبل ذبيحته الكفارية.

وقيامته من بين الأموات، حدث تاريخي ثابت، شهد بصحته القبر الفارغ، والأكفان التي وجدت مرتبة، وكأن جسده كان لايزال داخلها، والمنديل الذي كان على رأسه وجد موضوعا في موضع وحده بانتظام... وقد خرج الرب من القبر والحجر الكبير لم يزل على باب القبر، وأختام المملكة لم تنثلم، وحينما غادر القبر، تزلزلت الأرض، ونزل ملاك من السماء ودحرج الحجر من على باب القبر. فجاءت النسوة حاملات الطيب، فلم يجدنه بل وجدن ملاكاً داخل القبر، قال لهن: «لماذا تطلبن الحي بين الأموات، ليس هو ههنا، لكنه قام كما قال»(مت ٢٨: ٦ ولو ٢٤: ٥و٦).

وظهر الرب بعد قيامته لتلاميذه مرات عديدة، خلال أربعين يوماً، في أزمنة متباينة، صباحا ومساءً، نهاراً وليلاً.

كما ظهر في أماكن عديدة، وتراءى لأشخاص كثيرين: لأفراد وجماعات، ولأكثر من خمسمائة أخ دفعة واحدة في إحدى المرات، وقال لهم الرب ذات مرة: «هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعذ معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.. وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم...»(لو ٢٤: ٤٤ - ٤٦).

وقد آمن هؤلاء جميعاً بحقيقة قيامته من بين الأموات، فبعد أن شاهدوه يوم الجمعة قد مات، واستحوذ عليهم اليأس والقنوط، ولم يتوقعوا قيامته، شاهدوه يوم الأحد وقد قام من بين الأموات، ظافرا منتصرا، فأجمعوا على اعتبار الأحد يوم الرب، الذي علينا أن نبتهج ونُسرّ به. لأنه يوم القيامة، يوم الخلاص، وألغوا السبت اليهودي.

وصار المسيح المخلص، فصحنا الجديد، ومعنى الفصح: (العبور)، ففيه عبرنا من الظلمة إلى النور، من الموت إلى الحياة، من الخطية إلى البر والقداسة، من العبودية لإبليس إلى الحرية بالمسيح. كما أن التلاميذ الذين شاهدوه حيا بعد قيامته من بين الأموات، ولمسوه وأكلوا وشربوا معه، تحوّلوا من حالة الشك إلى حالة الإيمان واليقين، ومن حالة اليأس والقنوط إلى حالة الرجاء الوطيد، والأمل الذي لايخيب، وصارت شكوك بعضهم بقيامته قبل أن يروه، وإيمانهم بعد أن رأوه حيا، تثبيتا لإيماننا، وتقوية لثقتنا بصدق شهادتهم التي ختموها بسفك دمهم الكريم في سبيل تمسكهم بالإيمان بالمسيح المخلص القائم من بين الأموات. وفي مقدمة هؤلاء التلاميذ، توما الرسول الذي تحدى الرب بشكوكه، وقال لإخوته الرسل،:«إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع إصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه لا أؤمن»(يو ٢٠: ٢٥). وبعد ثمانية أيام، ظهر الرب للتلاميذ وتوما معهم «وقال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديّ، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا، أجاب توما وقال له: ربي وإلهي. قال له يسوع: لأنك رأيتني ياتوما آمنت. طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٦ـ ٢٩).

أجل لقد صارت عقيدة قيامة المسيح من بين الأموات أساس عقائد الكنيسة المسيحية السمحة. وفي هذا الصدد يقول الرسول بولس: «إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم... أنتم بعد في خطاياكم... ولكن الآن المسيح قد قام وصار باكورة الراقدين» (١كو ١٥: ١٤ـ ٢٠).

أيها الأحباء: إن قيامة المسيح من بين الأموات، تذكرنا بسقوطنا في الخطية، ودخول الموت إلى عالمنا. فقد حكم علينا

بالموت بأنواعه الثلاثة: الأدبي الروحي، والطبيعي، والأبدي، والمسيح المخلص أنقذنا من الموت بكل أنواعه، فقد قام وأقامنا معه واجلسنا معه في السماويات، على حد تعبير الرسول بولس(أف ٢: ٦).

فأقامنا من الموت الأدبي الروحي، إذ محا صك الخطية، فتبررنا أي أسقط حق الدعوى المقامة ضدنا، وأعلن السلام مع اللّه، وقدسنا وأعاد إلينا الشركة مع الله. فبعد أن فصلتنا الخطية عنه تعالى، ومتنا موتاً أدبياً روحياً، وهذا الموت هو الانفصال عن اللّه كما يقول النبي اشعياء: «آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم»(أش ٥٩: ٢). وبعد أن كنا هالكين، أنقذنا المسيح إذ دعانا إلى التوبة والعودة اليه، ووجدنا كما وجد الدرهم المفقود والخروف الضال، وعدنا إليه كالإبن الشاطر.

وبهذا الصدد قال الرب يسوع: «تأتي ساعة وهي الآن حاضرة يسمع فيها الأموات (أموات الخطية) صوت ابن اللّه، والسامعون يحيون» (يو ٥: ٢٥) لقد سمع صوته العديد من الناس: كالخاطئة، وزكا العشار، والسامرية، وأحد اللصين المصلوبين معه، أولئك آمنوا فنالوا الحياة فيه، كما أنعم الرب علينا بالغلبة على الموت الطبيعي، الذي هو انفصال النفس عن الجسد، فبعد أن أقام الموتى بكلمة من فمه، أقام هو ذاته بسلطانه الإلهي الذاتي، وحوّل الموت إلى رقاد، وكشف لنا سر ما وراء القبر، ووضع رجاء القيامة في قلوبنا، لذلك يوصينا الرسول بولس الا نحزن كثيراً على الراقدين بالرب، كمن لا رجاء لهم(اتس ٤: ١٣). وحق لنا أن نترجى قيامة الموتى والحياة الجديدة في العالم الآتي، كما نص قانون الإيمان النيقاوي، بل أن ننتظر مجيء الرب ثانية، لننال المكافأة، إذ

تأتي ساعة كما يقول الرب يسوع: «يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٨ـ ٢٩).

وهنا الخلاص من الموت الأبدي حيث سينال الصالحون الحياة الأبدية، أما الأشرار فالعذاب الأبدي.

لقد قام المسيح من بين الأموات، حقا قام. لنبتهج ونفرح في ذكرى قيامته، ولنشكره على ما أسبغه علينا من نعم، إذ أقامنا معه، وهو حي، لأنه البداية والنهاية، وكان ميتا، وها هو حي إلى الأبد، كما قال له المجد في سفر الرؤيا(رؤ ١: ١٨) وقد وعدنا انه يمكث معنا إلى الأبد، وحيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه، فهو يكون بينهم (مت ١٨: ٢٠). فنسأله أن يقيمنا دائما من عثرات الخطية، ويؤهلنا عند مغادرتنا هذه الحياة لأن نرقد فيه، لتكون أرواحنا مع أتقيائه في فردوسه، وليؤهلنا في يوم القيامة العامة لأن نقوم قيامة الأبرار والصالحين، ونكون عن جانبه الأيمن، ونسمع صوته العذب القائل: تعالوا يامباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم(مت ٢٥: ٣٤). المسيح قام، حقاً قام. وكل عام وأنتم بخير.

صعود الرب إلى السماء (*)

«وأخرجهم خارجا إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم إنفرد عنهم واصعد إلى السماء فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم»(لو ٢٤: ٥٠).

منذ البدء جعل الله صورة واضحة لتدبيره الإلهي لخلاص الإنسان، فالنبوات العديدة أوضحت سريّ التجسد والفداء كما أن الرب يسوع نفسه كلم تلاميذه وأنبأهم عما يجري له قبل أن يحدث بمدة طويلة. ومن جملة هذه الحوادث المهمة صعود الرب إلى السماء فقد ألمع الرب عنه يوم حدّث التلاميذ واليهود عن سريّ جسده ودمه الأقدسين فلم يستطيعا أن يتحملا هذا الكلام السماوي ورجع العديد منهم إلى الوراء ومن جملتهم بعض تلاميذ الرب حينذاك قال لهم أهذا يعثركم فكيف إذا، رأيتم إبن الإنسان صاعدا إلى حيث ماكان.

كما إننا سمعناه مرة يقول لهم: «في بيت أبي منازل كثيرة» وإلا لقلت لكم إني ماض لأهيئ لكم مكانا، ومتى ذهبت وهيأت لكم مكاناً، آتي أيضاً وآخذكم إليّ، لأنه حيث أكون أنا تكونون أنتم، وفي الاصحاح الثالث من الإنجيل حسب يوحنا نسمع الرب في حديثه مع نيقوديموس، يعلن محبة الله للناس حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن بل تكونٍ له الحياة الأبدية. ويتنبأ عن وجوب صلب المسيح مشيراً إلى الحية النحاسية التي رفعها موسى في البرية، لتكون سبب خلاص لأولئك الذين تلسعهم الحيات المحرقة في البرية.

(*) ـ الموعظة التي إرتجلها المؤلف في كاتدرائية مار جرجس بدمشق في ١٩٩٦/٥/٢٣

ومن جملة ما قاله الرب: «ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء». ماأعظم هذا الكلام أجل نزل من السماء وصعد أيضا ولكنه في نزوله وصعوده في كل الأحوال المسيح يسوع هو هو أمس واليوم وإلى الأبد، هو في السماء وهو على الأرض وهو في كل مكان، ولكن حيث أنه قد أخذ جسدنا ليتم التدبير الإلهي بالموت على الصليب، وبالدفن في القبر الجديد، بل أيضا بالقيامة من بين الأموات. في اليوم الثالث، كان لابد أن تنتهي هذه التدابير الإلهية علي الأرض بصعود الرب إلى السماء. يحدثنا البشير مرقس قائلا إن التلاميذ كانوا متكئين فظهر لهم الرب، للمرة الأخيرة وأعطاهم السلطان الإلهي لنشر بشارته الإنجيلية، ويقول لنا لوقا في الإنجيل المقدس أن الرب يسوع أخذ رسله الأطهار إلى الجبل إلى بيت عنيا هناك رفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم إنفرد عنهم واصعد إلى السماء. يحدثنا لوقا نفسه بعدئذ في سفر أعمال الرسل أن الرسل كانوا يتطلعون إلى السماء، وإن سحابة حجبت أنظارهم عنه وأن رجلين وقفا بهم بثياب بيضاء وقالا لهم: «مابالكم أيها الرجال الجليليون تتطلعون إلى السماء إن يسوع هذا الذي إرتفع عنكم إلى السماء سيأتي ثانية كما رأيتموه صاعدا إلى السماء. سيأتي ثانية هذا أمل كبير صعد إلى السماء هذا إيمان متين ورجاء لايخيب لذلك يقول الكتاب: إن الرسل سجدوا للرب معلنين إيمانهم بالمسيح يسوع الإله المتجسد ورجعوا إلى أورشليم. كان قد حدثهم قبل صعوده إلى السماء أن يمكثوا في أورشليم المدينة حتى ينالوا قوة من العلاء، عندما يحل عليهم الروح القدس. فرجعوا إلى أورشليم وكانوا في كل حين في الهيكل يمجدون الله ويسبحونه عادوا إلى أورشليم يقول لوقا بفرح عظيم كيف يفرحون وقد

غادرهم سيدهم ومعلمهم الإله المتجسد! إن مصدر فرحهم أيها الأحباء أن الرب قد غفر لهم خطاياهم.

ماأصعب أن يتركك صديق وقت الضيق أولئك الذين اجترح أمامهم المعجزات أولئك الذين استمعوا إلى كلمات الحياة من فمه المقدس، أولئك الذين أحبهم كثيراً تركوه وهو يتألم بيد أعدائه لكنه عندما قام من بين الأموات غفر لهم خطاياهم ظهر لهم مرات عديدة، في أماكن شتى وبأشكال مختلفة، وبعدئذ أمامهم اصعد إلى السماء لذلك فرحوا فرحاً عظيماً، عادوا إلى أورشليم فرحين كما أنهم تأكدوا من صحة رسالته السماوية وسموها وأن ما قاله وعمله إنما كان حقائق إلهية. وقد فرحوا أيضاً لأنهم قد نالوا سلطانا منه في الارض والسماء وإنهم قد حملوا رسالته كما أراد أن يحملوها ليذهبوا إلى العالم أجمع وينشروا بشارة الإنجيل في الخليقة كلها. وعادوا إلى أورشليم فرحين وهم ينتظرون القوة من العلاء عادوا فرحين وقلوبهم ممتلئة بهجة لأن الملاكين قد بشراهم بأن الذي صعد الى السماء على السحاب سيأتي ثانية كما رأوه صاعدا إلى السماء، ولذلك فإن رجاءهم كان وطيداً ولايخيب أبداً، وعيونهم تتطلع دائماً إلى السماء تنتظر مجيئه مع السحاب كما ذكر بعدئذ صاحب الرؤيا.

إننا نحتفل اليوم بعيد صعوده بإيمان متين ورجاء لايخيب ونحن نقتدي به نرى إننا بحسب إيماننا ودستور الإيمان الذي نتلوه في بدء القداس نقول «وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب» كما يذكر ذلك أيضاً البشير مرقس في الإنجيل المقدس، ويذكرنا قانون الإيمان أن الرب يسوع سيأتي ثانية في مجد عظيم ليدين الأحياء والأموات. نقول ذلك بعد أن نعترف بأنه تألم ومات لأجلنا وإنه قام من بين الأموات، فإذاً نذكر آلامه

ونعترف بقيامته وننتظر مجيئه الثاني نتوق أن نصعد معه في مجيئه الثاني يوم يأتي بمجد أبيه مع ملائكته القديسين، يوم ينفخ رئيس الملائكة بالبوق، يوم تتحد الأرواح بالأجساد ونحن الأحياء يقول الرسول بولس نختطف معه في الجو ننتظر ذلك اليوم العظيم أيها الأحباء ولكن من يستحق أن يصعد مع الرب إلى السماء؟ إن العهد القديم يذكر لنا أن الذي يصعد إلى جبل الرب هو النقي الكفين الطاهر القلب، وأن لا يكون في فمه غش، فالعديد من الناس يتظاهرون كأنهم مؤمنون وهم فريسيون دينونتهم عظيمة جدا، إنما من كان للرب بكفيه النقيين بكل مايعمل يعني، وبقلبه الطاهر وبفمه الذي لاغش فيه وبالقلب النقي أيضاً الذي طلب داود من الرب أن يخلقه فيه عند توبته ذلك الإنسان يستحق أن يصعد إلى جبل الرب الذي هو كنية عن السماء، حيث صعد المسيح وجلس عن يمين العظمة.

أجل إننا جميعاً بشر خطاة ضعفاء ولا يمكن الإنسان وهو خاطىء أن يصعد إلى السماء، ولكن شكرا لله الذي نهج لنا سبيل التوبة والعودة إليه تعالى. ففي عيد صعوده إلى السماء لنهييء قلوبنا ونفوسنا وعقولنا للتوبة النصوح، ولنحب الرب من كل قلبنا وإرادتنا، لنحب قريبنا أيضا كنفسنا لنكون أنقياء نغسل بدموع التوبة هذه القلوب وهذه النفوس، لتتطهر حينذاك نصير في حالة البر أي في حالة القداسة فنستحق أن نصعد من المسيح إلى السماء في مجيئه الثاني. الحالة التي اتمناها لي ولكم بنعمته تعالى آمين.

العنصرة (*)

«ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى» (يوئيل ٢: ٢٨)

انه يوئيل نبي التوبة والصوم والصلاة الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد ورأى الناس وقد تمرغوا في حمأة الآثام، فنادى عليهم بالويل والثبور وعظائم الأمور منذرا ومحذرا إياهم من الاستسلام للمعاصي والعاقبة الوخيمة التي يتوقعها لهم من جراء ذلك، إذ أن الخطية كانت قد خرجت سافرة وإن الخطاة تمرغوا بالآثام بدون حياء، وكما يقول الرسول بولس عن مثل هؤلاء «الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم»(في ٣:١٩) وسمعنا يوئيل ينادي بالتوبة قائلاً «ولكن الآن يقول الرب ارجعوا إلي بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنّوح مزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم .. قدسوا صوما ونادوا باعتكاف» (يوئيل ٢: ١٢ـ ١٣ـ ١٥) وقد استحق النبي يوئيل أن يعلن له الله ما سيكون في مستقبل الأيام عندما يتم الصلح بين الله والإنسان بالمسيح المنتظر فادي البشرية فقال على لسان الرب «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبابكم رؤى وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء اسكب روحي في تلك الأيام» (يوئيل ٢: ٢٨و ٢٩). هذا الروح ولئن

(*) الموعظة التي ارتجلها المؤلف صباح يوم الأحد ١٩٩٦/٦/٢ في كاتدرائية مار جرجس بدمشق.

ظهرت مفاعيله للناس في العهد القديم ولكنه ظهر جليا في العهد الجديد بكل صفاته وخاصياته وانتشرت أعماله في الأرض كلها، إنه الروح القدس الاقنوم الثالث من الثالوث الأقدس الذي عندما نصفه بأنه مساو للآب والابن في الجوهر والذات والطبع والأزلية والقدرة والسلطان إنما نعني أن الروح القدس والآب والابن جوهر واحد، هذا ما تسلمناه من آبائنا القديسين ورسل الرب يسوع الأطهار، وقد أعلن المجمع المسكوني الثاني المنعقد في القسطنطينية عام (٣٨١) عقيدة الكنيسة المسيحية منذ ابتداء وجودها بألوهية الروح القدس قائلاً: «ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي الكل المنبثق من الآب ومع الآب والابن يسجد له ويمجد الناطق في الأنبياء» وضم المجمع هذه العبارة إلى قانون الايمان النيقاوي الذي نتلوه في القداس الإلهي وقبل ختام صلواتنا صباح مساء وفي كل آن.

أجل لقد رأينا الروح القدس في العهد القديم يرف على وجه المياه، ورأيناه يرشد الناس الذين يحل عليهم إلى طريق الحياة بل أيضاً يعلن كلمة الله بين الناس عندما كان يحل على الأنبياء والمرسلين إذ هو معطي الحياة وهو المدبر والمعلم، وعلى عهد موسى عندما أراد الله أن يخفف أعباء مشقات الإدارة عن كاهل موسى فقال الرب له اجمع إليّ سبعين رجلا من شيوخ إسرائيل الذين تعلم انهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا معك فانزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك واضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك ... ففعل موسى هكذا فلما حلّ الروح عليهم تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا وبقي رجلان في المحلة اسم الواحد الداد واسم الآخر ميداد وحل عليهما الروح أيضا وكانا

من المكتوبين لكنهما لم يخرجا إلى الخيمة فتنبآا في المحلة ولما أخبر أحد الغلمان موسى بذلك، قال له يشوع بن نون يا سيدي موسى اردعهما، فأجابه موسى: يا ليت شعب الرب كانوا أنبياء اذا جعل الرب روحه عليهم (عد ١١ : ١٦و١٧و٢٤-٢٩) ونعتبر ما قاله موسى نبوة على ما جرى في مثل هذا اليوم الذي حلّ فيه الروح القدس على رسل الرب وتلاميذه، وعلى سائر الرجال والنساء الذين كانوا مجتمعين معهم في العلية بنفس واحدة، بدون تمييز. إنها لنعمة عظيمة ينالها الإنسان الذي يحل عليه روح الله فإذا لم يكن الإنسان مملوءا من روح الله تعرض ذلك الإنسان إلى خطر هيمنة روح إبليس النجس عليه، حيث يجد المكان «مكنوساً مزينا»(لو ١١: ٢٤). لقد منح الله الإنسان الذي جبله من تراب الأرضٍ روحا حياً عندما نفخ في انفه نسمة الحياة فصار الإنسان نفساً حيّة، ولذلك نقول أن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه (تك ١: ٢٦ و ٥: ١) وهذه الروح تعتبر حلقة الوصل بين الله الذي هو روح محض وبين الإنسان الذي هو جسد وروح، لأن الله روح ولا يمكن أن يناجيه إلا الروح على حدّ تعبير الرب يسوع القائل: «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو ٤: ٢٤) فإذا استمرت روح المؤمن منسجمة مع الله يحل الروح القدس على هذا الإنسان المؤمن، ولكن عندما يشك الإنسان بمصداقية أوامر الله ووصاياه ويسمع لإبليس عدو البشر وعدو الله، حينذاك يغادر الروح القدس ذلك الإنسان، الذي يهوي إلى درك المعصية، كما جرى لأبوينا الأولين آدمٍ وحواء. والمؤمن يدرك ذلك جيدا . فعندما أخطأ داود مثلاً ارتعب جداً إذ صار يتوقع أن يغادره الروح القدس، فارتعب وهو يتذكر يوم كان فتى صغيراً يعزف على قيثارته ليهدّئ

روع الملك شاول الذي كان يتعذب من الروح النجس إذ أن روح الله كان قد غادر شاول الملك. وان روح إبليس كان قد سيطر عليه وعذّبه، لذلك ارتعب داود عندما أخطأ لئلا يحدث له ما حدث لشاول وطلب إلى الله قائلاً: «وروحك القدوس لا تنزعه مني»(مز ٥١: ١١). فإذا غادر الروح القدس الإنسان المؤمن سيطرت عليه روح إبليس، لذلك فنحن بحاجة ماسة إلى أن نكون دائماً في حال النعمة، أي في حال توبة نصوح، وكما يوصينا النبي يوئيل أن نمزق قلوبنا لا ثيابنا وأن نقدس صوماً، وننادي باعتكاف ليكون روح الله ثابتا فينا .

أمّا في العهد الجديد فقد ظهر الروح القدس بكل مفاعيله في سر التجسد، فهو الذي طهّر ونقّى العذراء مريم من الخطية عندما حل عليها وقدّسها لتكون أهلا ليحل نار اللاهوت في أحشائها، وهكذا تجسّد ابن الله الوحيد من الروح القدس ومن مريم العذراء، كما نصّ قانون الايمان النيقاوي. كما أن الروح القدس ظهر بشبه حمامة استقرت على هامة الرب يسوع على أثر عماده في نهر الأردن من يوحنا المعمدان. وكان يوحنا هذا قد امتلأ من الروح القدس وهو جنين. فأهّله الروح أن يشعر بوجود الرب يسوع الإله المتجسّد وهو جنين في بطن أمه العذراء مريم، فارتكض يوحنا في بطن أمه كما قالت أمه اليصابات فرحاً باستقباله الرب يسوع. أجل إن الروح القدس هو روح الحق، فعندما يحلّ على الإنسان يرشده إلى الحق، وهو طاهر ونقي وقدوس ويحلّ في القديسين. لقد وعد الرب يسوع تلاميذه قبل صعوده إلى السماء، أن يرسل إليهم الروح القدس، معزياً وشفيعاً ومعلماً ومرشداً ومقدساً، وأمرهم الرب أن يمكثوا في أورشليم المدينة لينتظروا القوة من العلاء وهذه

القوة هي الروح القدس، الأقنوم الثالث، من الثالوث الأقدس وهذه العقيدة السمحة تتضح من قول الرب يسوع لتلاميذه قبل صعوده إلى السماء «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»(مت ٢٨: ١٩).

ويذكر لنا البشير لوقا في سفر أعمال الرسل كيف أن الرسل كانوا مجتمعين في البيت وكان اليهود في ذلك اليوم يحتفلون بأحد أعيادهم الكبرى، ويسمونه عيد العنصرة أي الاجتماع وعيد الباكورة، وعيد الخمسين لأنه يقع بعد خمسين يوما من عيد الفصح ، وكانوا يقدمون فيه للرب رغيفين من باكورة زروعهم شاكرين إياه تعالى على النعم التي يسبغها عليهم، وكانوا يعتقدون أن في ذلك اليوم خُلق آدم، وفيه أعطيت الشريعة لموسى، ولذلك كانوا يحتفلون فيه احتفالا عظيما ويأتون من أقاصي الأرض إلى المدينة المقدسة ليظهروا أمام الرب في هيكله، في ذلك اليوم بالذات كان التلاميذ مجتمعين في العلية بحسب أمر الرب ، كانوا أنقياء قديسين وقد نالوا بركة الرب يسوع الذي كان قد سامحهم على كل ما اقترفوه من ذنوب ضده، فقد أنكره بعضهم، وشكّ آخرون أول وهلة في حقيقة قيامته، ولكنهم تابوا. فظهر لهم الرب يسوع مرات عديدة مدة أربعين يوماً، وأطاعوا أمره بمكوثهم في أورشليم المدينة لينالوا قوة من العلاء وفيما كانوا مواظبين على الصلاة، صار بغتة صوت عظيم كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين فظهرت ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا . فلما صار هذا الصوت اجتمع جمع غفير من الناس إلى العلية حيث

كان مصدر الصوت، ورأوا التلاميذ ومريم أم يسوع والنسوة وتعجبوا لان كل واحد منهم كان يسمعهم يتكلمون بلغته وكانوا قد جاءوا من كل أمة تحت السماء . ومما يلاحظ أن الألسنة النارية استقرت على كل واحد من رسل الرب وتلاميذه، وأتباعه من الرجال والنساء بدون تمييز أو تفضيل أحد على الآخر، فالروح القدس هو روح المساواة روح تلاشي التمييز العنصري فلا تمييز بين عبد وحرّ بين ذكر وأنثى كما يقول الرسول بولس «ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع»(غل ٣ :٢٨).

اجل هذا هو يوم العنصرة الذي استجاب فيه الله صلاة النبي موسى الذي قال يا ليت شعب الرب كانوا أنبياء (عد ١١ : ٢٩) وتنبأ الشعب كله يوم العنصرة، أما الرسل الأطهار والتلاميذ الأبرار الذين اختارهم الرب يسوع من بين الشعب وأنعم عليهم بموهبة الكهنوت ورئاسة الكهنوت، فلسموّ هذه الموهبة السماوية، كانوا قد تقدموا على الآخرين. وعندما اجتمع الناس حول العلية وظنوا أن أولئك الناس سكارى، وقف بطرس هامة الرسل مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم إن هؤلاء ليسوا سكارى كما انتم تظنون لأنها الساعة الثالثة من النهار بل هذا ما قيل بيوئيل النبي: «يقول الله ويكون بعد ذلك أني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبابكم رؤى»(اع ٢ : ١٧) يكون بعد ذلك بعد أن تم الخلاص بالمسيح يسوع ربنا ، بعد أن نلنا الفداء بدمه الثمين ، بعد أن قام المسيح من بين الأموات وصالحنا مع أبيه وبررنا وطهرنا وقدسنا يكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى فذكرهم الرسول بطرس بهذه النبوة، وبكّتهم الروح القدس

فنخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: ماذا نفعل أيها الرجال الاخوة ؟ فقال لهم بطرس «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس»(أع ٢: ٢٨)

وفي تلك الحادثة ظهرت مفاعيل الروح القدس في التلاميذ كافة، فهامة الرسل بطرسٍ مثلاً الذي لخوفه، أنكر المسيح أمام جارية حقيرة صار بطلاً شجاعاً لم يهب أحداً فوبخ رؤساء اليهود على قتلهم المسيح. وبطرس نفسه الذي كان رجلاً بسيطاً صار بعد أن امتلأ من الروح القدس واعظاً ناجحاً لأن الروح القدس هو روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب، (اش ١١ : ٢) هكذا امتلأ بطرس ورفاقه من الحكمة والمعرفة وصاروا خطباء قديرين وشهوداً للمسيح مملوءين شجاعة. ودعا بطرس اليهود بخطابه الشهير ليتوبوا قائلاً لهم «اخلصوا من هذا الجيل الملتوي» فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس (أع ٢: ٤٠ و ٤١) لذلك عُدّ ذلك اليوم عيد ميلاد الكنيسة بوساطة الروح القدس وصار ذلك اليوم أيضاً للمؤمنين بالمسيح يوم تجديدهم إذ صاروا خليقة جديدة فقد ولدوا ثانية ولادة روحية من السماء. وإن الروح القدس الذي حلّ على أتباع الرب في العلية، هو ذاته يحلّ على سائر المؤمنين به والمعتمدين على اسمه على أثر خروجهم من جرن المعمودية ومسحهم بزيت الميرون المقدس. كما أن الشريعة التي أعطاها الرب لموسى في مثل ذلك اليوم قد تجددت أيضاً بشريعة المسيح الذي لم يعطها مكتوبة على لوحين من حجر بل كما قال الله على لسان النبي إرميا: «هذا هو العهد الذي اقطعه ...

أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعباً»(ار ٣١ : ٣٣) وقد ظهرت مفاعيل الروح القدس في العهد القديم أيضا بالأعجوبة التي شاهدها بالرؤيا حزقيال النبي الذي أمره الله أن يتنبأ على العظام الرميم، فتحولت إلى أجساد بدون حياة. ثم أمر الرب النبي ليتنبأ عن الروح فهبت الروح عليهم ومنحتهم حياة فقاموا أحياء.

وهذه الأعجوبة رمز لمفاعيل الروح القدس الذي بإمكانه أن يعطينا حياة في المسيح يسوع ربنا، كما أنه ثابت في الكنيسة المقدسة، يعتني بها ويختار رعاتها، ويرشدهم إلى الحق ويذكرهم بتعاليم الرب يسوع ويهديهم سواء السبيل ويعينهم على إدارة الكنيسة كما ورد في سفر أعمال الرسل أنه بينما كان التلاميذ يخدمون الرب ويصومون: «قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما»(أع ١٣: ٣) والرسول بولس يوصي قسوس الكنيسة في أفسس قائلا: «احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أع ٢٠: ٢٨). ويخاطب الروح القدس رعاة الكنيسة بوسائل عديدة، كما يذكر تاريخ كنيستنا المقدسة، إما بأحلام إلهية أو رؤى، وإما يلهمهم بتأثيره فيخاطب أرواحهم ويؤثر في أفكارهم.

ففي هذا اليوم أحبائي ونحن نحتفل بهذا العيد المقدس، لنسأل الله تعالى أن يؤهلنا لنستدعي الروح القدس ليبكّت ضمائرنا ويوقظها (أع ٢: ٣٧) وأن نتجاوب مع عمله في قلوبنا فنصحو ونستيقظ من سبات الخطية، ونتوب إليه توبة صادقة وأن نجعل أجسادنا هياكل نقية طاهرة للروح القدس الذي فينا (١كو ٦: ١٩).

فلنطع الرب الإله، ولنقتد بالرسل الأطهار باجتماعهم في العلية، فلنجتمع نحن أيضاً في كنيسة الله بنفس واحدة مواظبين على الصلاة الحارة وليحل الروح القدس على كل واحد منا لنثبت في المسيح ونحيا فيه، مكملين وصية الرسول بولس القائل: «اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد»(غل ٥: ١٦) فلنبتعد عن كل ما يغضب الروح القدس طالبين من الرب مع النبي داود قائلين وروحك القدوس لا تنزعه منا آميـــــــن.

المحتوى

تمهيد ٣

المقدمة بحث في الأعياد ٧

يوم الأحد ١٣

بشارة العذراء مريم ٣٥

من مواعظ عيد الميلاد المقدس .... ٤١ ـ ١٣٢

عماد الرب يسوع ١٣٣

عيد الشعانين .... ١٤٠ و ١٤٥

من مواعظ عيد القيامة المجيد .... ١٤٩ ـ ٢٤١

صعود الرب إلى السماء ٢٤٢

العنصرة ٢٤٦

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܟܬܒܢܘܬܐ ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܘܨܪܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܩܕܡ ܒܝܡܐ
ܘܕܚܝܠܐ ܡܢ ܐܝܟ ܡܓܢܒܐ ܘܫܡܝܬܐ ܕܢܗܘܐ ܚܪܡܐ ܘܠܐ
ܠܗ ܠܗ ܫܘܒܩܢܐ ܥܕܡܐ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܟܬܒܐ ܐܡܝܢ
ܘܡܫܥܒܕ ܕܢܥܒܪ ܠܗ ܠܚܪܡܐ ܗܠܝܢ ܒܐܥܦܐ ܢܩܒܠ ܐܢܘܢ

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

قداسة مار إغناطيوس زكا الأول عيواص
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس
في موقف خطابي

Religion: By Author:
Patriarch Zakka I
Beth Mardutho Library

من بيدر المواعظ

ܐܕܪܐ ܕܡܪܬܝܢܘܬܐ

الجزء الأول

تأليف
أغناطيوس زكا الأول عيواص
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق
للسريان الأرثوذكس

ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܙܟܐ ܩܕܡܝܐ ܥܝܘܐܨ
ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ